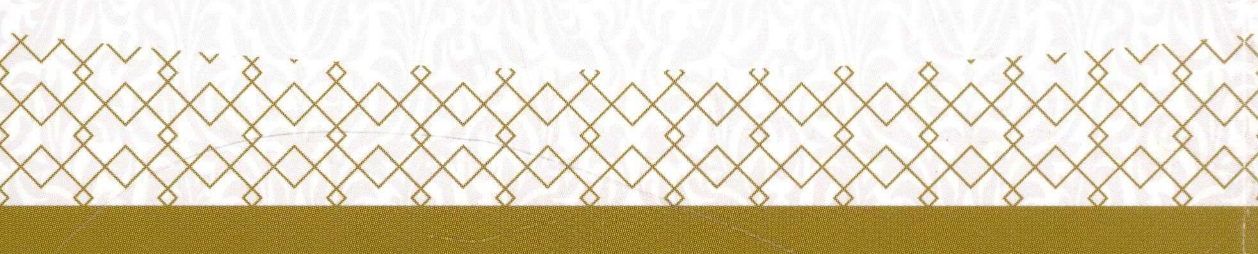








الندوة الدولية العلمية حول

كُتُبُ السِّيَرِ الإِبْاضِيَّةِ

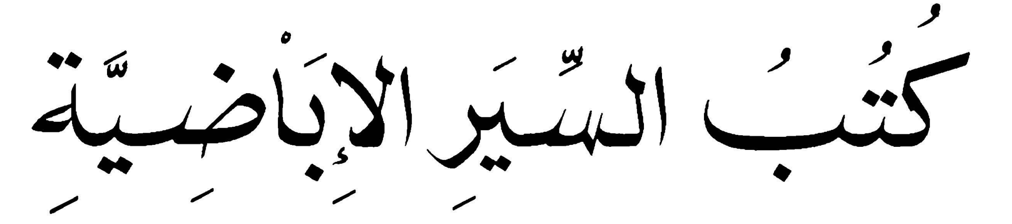
٣١ أكتوبر - ٢ نوفمبر ٢٠١٤م

الجزء الأول



رقم الإيداع المحلي: ٢٠١٥/٤٣٠
رقم الإيداع الدولي (ISBN): ٨-٥٩٨-٠-٩٩٩٦٩-٩٧٨

الندوة الدولية العلمية حول



٣١ أكتوبر - ٢ نوفمبر / ٢٠١٤م

الجزء الأول

١٤٣٧هـ / ٢٠١٥م

مركز الدراسات العُمانية
جامعة السلطان قابوس
ص.ب : ٥٤
الرمز البريدي: ١٢٣
الخوض-سلطنة عُمان
هاتف: ٢٤١٤٥٨٥١
فاكس: ٢٤٤١٣٩٥٣
البريد الإلكتروني: osc@squ.edu.om

....

Omani Studies Center
Sultan Qaboos University
P.O BOX: 54
Postal Code :123
Al koudh-Sultanate of Oman
Tel: 24145851
Fax:24413953
Email:osc@squ.edu.om

إعداد
مركز الدراسات العُمانية بجامعة السلطان قابوس بسلطنة عُمان
بالتعاون مع جمعية جربة التواصل بتونس
تصميم
ليلى زهران محمد السيبانية

فهرس المحتويات

كلمة مدير مركز الدراسات العُمانية

حين وصل المسلمون لشمال أفريقيا، كُتب لتلك البقعة من العالم تاريخًا جديدًا، ليس بدخول الإسلام فحسب، بل بظهور نمط عيش وسلوك مختلف، أسّس لعلاقات اجتماعية وطيدة بين المشرق والمغرب.

إن اختلاف المدارس الفقهية في الإسلام وتنوعها إنما هو اختلاف يثري الآراء، ويجدد النظر للمسائل والأفكار، ولا يمكن اعتباره خلافًا يفسد الود بين المنتمين لها بأي حال من الأحوال.

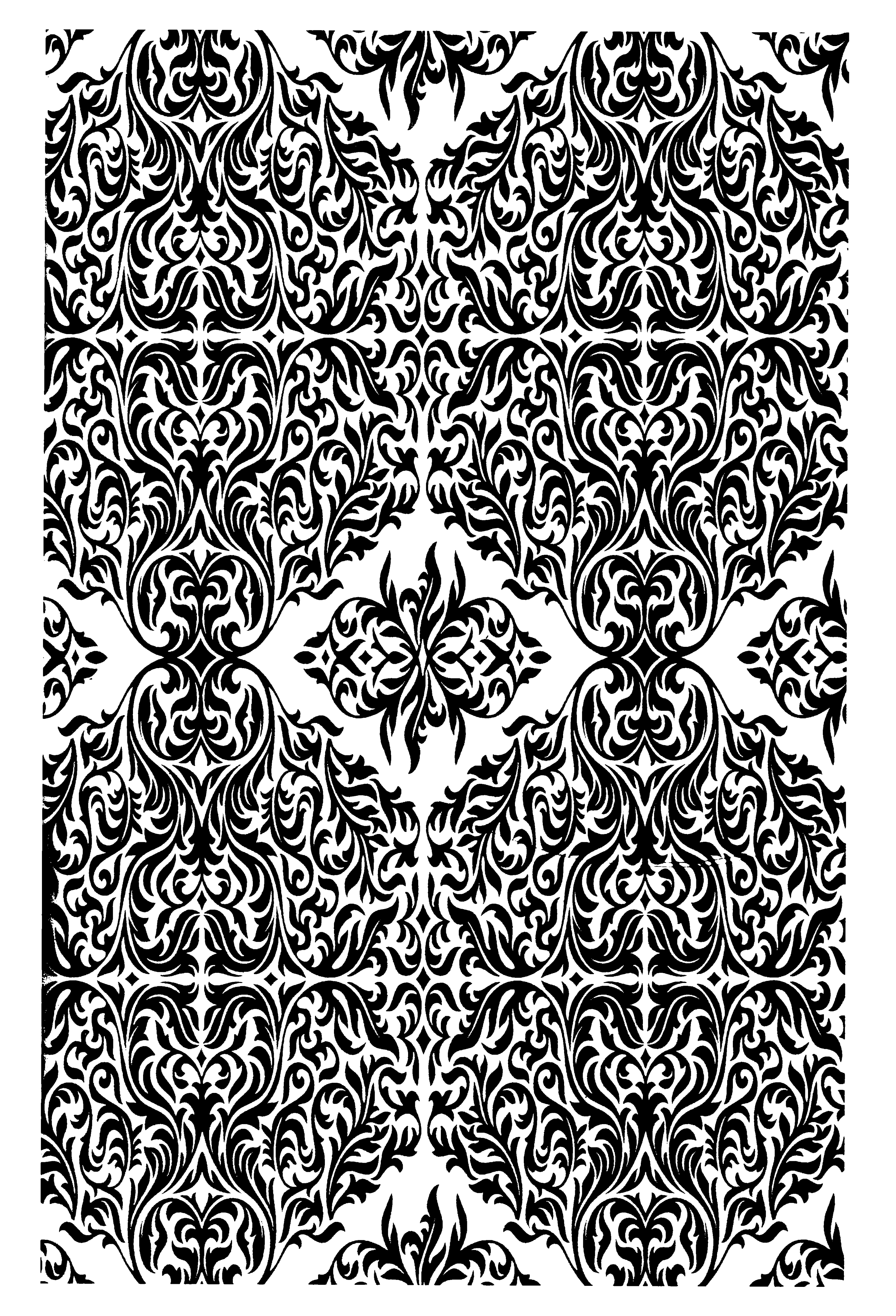
وإذا كانت المعرفة مُلْكًا للجميع، إذ لا مجال لاحتكارها أو كتمها أو إخفائها من جهة، ومعاناة التاريخ من مظاهر التشويه والتعمية للماضي من جهة أخرى؛ فقد صار لزاماً على الباحثين والمفكرين ضرورة إزالة الغشاوة عن أعين من لا يرى بعين سليمة إلى الإرث الإباضي، ونتاجهم الفكري والمعرفي المتنوّع في مختلف المجالات العلميّة، إذ لم تكن السير الإباضية تاريخًا يكتبه الغالب أو يُكتب له، بل هي صورة حقيقية للمجتمع الإباضي؛ فكره، أخلاقه وقيمه، عاداته وعباداته.

وقد اختطّ مركز الدراسات العُمانية في جامعة السلطان قابوس نهجًا واضحًا في بناء ذاكرة عمانية من خلال الاحتفاء بسير العلماء والمُصْلحين، والعناية بها، انطلاقا من أن دراسة التاريخ العماني والعناية به هدف أساس، ينبع من تراث المجتمع، وشعوره بالفخر والاعتزاز بإرثه وماضيه، في زمن تزاحمت فيه الرؤى والأفكار، وتغيَّرت المفاهيم والأدوار.

ويسعى مركز الدراسات العمانية إلى استقصاء التاريخ العماني من مصادره الأصيلة، ووضع الأسس المنهجية السليمة لتحقيق هذه المصادر وتوفيرها لكافة أفراد المجتمع، من هنا يأتي هذا الإصدار تجسيداً لرسالة المركز النبيلة في العناية بالدراسات والعمل على توثيقها؛ لتمكين الدارسين والباحثين من نقل الصورة الحقيقية الصحيحة لسلف صالح طابت سيرتهم، وصَفَتْ سريرتهم، وزَكَتْ أعمالهم في بناء حضارة بشرية ساطعة، ودافعوا عن حرمات دينهم وأخلاقهم.

أ.د علي بن هويشل الشعيلي

مدير مركز الدراسات العُمانية





الكلمات الافتتاحية



كلمة التقديم الترحيبية

سناء مهنّى الباروني

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله النبيّ الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين، اللهم افتح لنا أبواب رحمتك وانشر علينا أثواب حكمتك واجعلنا من عبادك المخلصين

كان الإباضية و مازالوا منذ أن أنشأوا أركان منظومة فكرهم بمختلف أبعادها السياسية و العقدية والفقهية والاجتماعية والدّعوية والحضارية الواسعة تواقين إلى كل ما من شأنه أن يلعب دورا ذا علامة في المحافظة على موروثهم التاريخي وأصالتهم الإسلامية وثقافتهم المتنوعة (الأمازيغية و العربية)تحقيقا وتنفيذا للرؤية السامية للثقافة الإسلامية

ومن سعي أولي الفكر من الجموع الإباضية بالبلاد التونسية، شاءت همّة شيخنا الأستاذ الدكتور فرحات بن علي الجعبيري عقد هذه الندوة العلمية الدولية حول كتب السير الإباضية بمنهج دعامته الموضوعية والجدّة ذات الإضافة البنّاءة من تآليف هذه السير وعليها .همّة فكّرت وسعت لجعل كتب السير الإباضية مجال نظر وفق أطر تستمد حاضرها من ماضيها التليد، ووفق تطلعات مدعومة بنظرة مستقبلية مجدّدة في البحث التاريخي الإباضي ومناهجه ، قابلتها همم لبّت بسعي حميد جادّ ماديا وفكريا، سعيا يثلج الصدر وينبئ بأنّ مدوّنات السير الإباضية مجال بحث ودرس يستهوي الأقلام مشرقا ومغربا إباضية وغير إباضية.

وهنا لا يسع الواحد في مثل هذا اليوم أمام كلّ هذه الهمم الفاعلة إشرافا وتنفيذا وتنظيما ومشاركة وحضورا إلاّ إهداءها مقطوعة رباعية النظم وجهتها القولية لمؤسس المدرسة الإباضية الإمام جابر بن زيد رحمه الله ولأتباعه الذين خلّفوا هذا الإرث التاريخي الثري، أمّا وجهتها العملية فرحبة رحابة الموروث الإباضي لكلّ من بحث ويروم مزيد البحث والدرس

فـي متـون السـير الإباضيّـة.

أبــا الشّــعثاء بالآفــاق بصمتــك فأنظرنــا نخبــر عنهــا الآخرينــا

بمتــن التاريـــخ لهــا ســير صانــت الأثــر والنهـج الرصينـا

والأيمــان فــي أصحابهــا غدقــت مــدادا نقــل الخبــر اليقينــا

وكمــا اتّقــت بالأمــس جهــلا فاليــوم بحصــن العلــم تعتلينــا

فاللهـم علّمنـا مـا ينفعنـا وانفعنـا بمـا علّمتنـا واجعلنـا مـن عبـادك المخلصيـن برحمتـك يـا أرحـم الرّاحميـن .

افتتاحية الشيخ فرحات بن علي الجعبيري

بسم الله الرحمان الرحيم الحمد لله رب العالمين، اشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له و اشهد أن سيدنا و نبينا و عظيمنا محمدا رسول الله اللهم ، صلّ و سلم و بارك عليه و على آله وعلى أصحابه و على من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أيها الإخوة المؤمنون جميعا، نحييكم بتحية الإسلام، السلام عليكم و رحمة الله تعالى وبركاته. أصحاب السعادة، أصحاب الفضيلة الأساتذة الكرام يسرّنا في هذا اليوم الأغر الذي منّ علينا به المولى تبارك و تعالى، و نسأله عز و جل أن يتقبل منا صالح الأعمال، و أن يتجاوز عنا كل السيئات.

اللقاء نعمة من نعم الله تبارك و تعالى، فأهلا و سهلا بكم جميعا ،لم لا نقول في وطنكم الأول الجمهورية التّونسيّة الثانية وأنتم بفضل الله تحضرون عرس ولادتها ،حيث تمر بلادنا من المرحلة المؤقّتة إلى مرحلة الخمس سنوات القارة، نسال الله تعالى أن يجعلها مباركة و أن يؤلف فيها القلوب، و أن يجمع الشمل و أن يجعل هذه التجربة تجربة إيمانية صالحة تجمع جميع فئات المجتمع، مهما كانت مشاربها، لمصلحة واحدة ،هي مصلحة الوطن المشترك.

لا أريد أن أقول إننا من الخليج إلى المحيط، فهذا أمر تعرفونه جميعا، و ليس لنا في هذا المقام إلا أن نحمد الله تبارك و تعالى حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه، و أن نصلي على نبينا محمد صلى الله عليه و سلم، إمام الدعاة أجمعين ،وهو الأمّي معلّم البشرية أجمعين ،اللهم صلّ و سلم

و بارك عليه و على آله و على أصحابه و على من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

و إننا بين يديك يا الله، نقر أننا متّبعون لقرآننا الكريم، و للكلمات الحق التي أقامها سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم .

و في هذا المؤتمر المعنون بكتب سير الاباضية يحق لنا أولا أن نترضى على أصحاب



رسول الله -صلى الله عليه و سلم - بعد أن سلّمنا برسالته ،و آمنا بربنا و ربّه عز و جل, أولئك الصحابة الذين ما فتئوا أن ارتحل الرسول عليه السلام إلى الرفيق الأعلى حتى انتشروا في أرض الله، ووصلنا سنة سبعة و عشرون لهذه البلاد، العبادلة السبعة، ووصلنا إلى جزيرة جربة الصحابي الجليل رويفع بن ثابت الأنصاري، بين اللقاءين، و بين الوصولين عشرون سنة من سنة سبع و عشرين إلى سنة سبع و أربعين للهجرة، هؤلاء الصحابة الذين نجد قبورهم في أطراف العالم الإسلامي، حقيق بنا أن نترضى عليهم و أن نتأسى بخطاهم لأنهم كالنجوم بأيهم اقتدينا اهتدينا.

و يأتي بعد ذلك الرعيل الموالي، هو أيضا نترحم عليه وهو صاحب هذه السيرة التي نحتفل بها سواء أكان الأمر ممن كتبوا أو ممن نقلوا مشافهة، و منطلقا من إمامنا عبد الله بن وهب الراسبي رحمه الله و من جاء بعده من عروة و أبي بلال ثم المجموعة التي أرست هذه السيرة و على رأسها الإمام جابر بن زيد، عبد الله بن إباض، أبوعبيده الربيع، و من والأهم من الرجال و ما معهم من النساء الذين رووا هذه الأخبار و دونوها و رحم الله أبا سفيان محبوب بن الرحيل الذي أرسي تدوينها، و عن طريقه انبثقت الأخبار مشرقا و مغربا، حيثما كانت الأمة الإسلامية إباضية وغير إباضية. لماذا؟

لأننا نعتبر أن كل إمام في مذهبه هو أمام للمسلمين جميعا، الإمام مالك إمامنا، الإمام جابر إمامنا و الإمام أبوحنيفة هم أئمة المسلمين جميعا و بارك الله في المدارس الفقهية، و سامح الله من تعصب لها و حاول أن يفرّق بين هؤلاء الفقهاء و هؤلاء العلماء الذين أرسوا محبة و إخوة ،و ناهيك اللقاءات التي كانت قائمة بين الحسن البصري و بين إمامنا جابر، و كتب التدوين تثبت ذلك، و ينطلق هذا المفهوم الاباضي من البصرة ليصل إلى المشرق و إلى المغرب, و ليتعانق مع جميع من دعا إلى المولى تبارك و تعالى عن طريق حملة العلم ، و عن طريق إقامة الدول، و عن طريق إقامة الدعوة إلى الله تبارك و تعالى و الدعوة إلى الخير و قديما قالوا تجارب المتقدمين مرايا للمتأخرين.

نحن لم ندرس التراث من أجل التراث، ولا ندرس السيرة من أجل أن نبكي على ما فعله أجدادنا أوأن نفخر بذلك، و إنما ندرس ذلك و همّنا أن نستفيد من تجاربهم و القرآن الكريم

علّمنا ألم يكن أغلب القرآن الكريم قصصا؟ و ما هو القصص؟ إنما القصص سيرة الأنبياء عليهم الصلاة و السلام، كذلك سيرة رسولنا محمد صلى الله عليه و سلم. و تأتي سيرة التابعين،و سيرة الأصحاب، تلك السيرة المشرقية و المغربية في كل مدونة من المدونات تتعانق لتبين آثار الصالحين و ماذا قدموا لأجيالهم و ماذا تركوا لمن بعدهم.

نعم ينطلق التأليف في كتب السير مع لواب بن سلام ليصل إلى أبي زكرياء و الوسياني و البغطوري و الدرجيني و البرادي و الشماخي و من بعدهم إلى آخر من يدون الآن هذه النصوص و هذه الآثار و هذه الأخبار.

أقمنا هذه الندوة على بركة الله بتعاون معكم و هذا التعاون تجلى بكل وضوح في هذا اللّقاء فليس لنا إلا أن نشكر كل من مد يديه لنا فكاتب و أرسل و نَاصح و تواصل. فإن شاء الله أجر الله تبارك و تعالى للجميع و ما ذلك إلا من فضل الله تبارك و تعالى علينا.

إخوتي لا أطيل عليكم سيتدارس أصدقاؤنا الكرام الأساتذة بعض القضايا لأن هذا البحر لا ساحل له، و أيام قليلة أو حلقات علمية قليلة لا يمكن إلّا أن تثير بعض الغبار و أن تحيي بعض النواوير و أن ترسي بعض القواعد التي كثيرا ما تنوسيت أمام زحف الزمن.

و قبل أن أختم كلمتي أشكر الله تبارك و تعالى أولا وآخرا، و اسأل الله تعالى أن يبارك في خطواتكم لأنه مهما اثنينا عليكم لا نستطيع أن نفيكم حقكم، و إنما نكل ذلك إلى الله تبارك و تعالى ليجعل هذا اللقاء و هذه الخطوات و هذه الرحلات و جنود الخفاء أن يجعل ذلك في ميزان حسناتنا و حسناتكم جميعا.

جدير بنا أن نترحم على شهداء الإسلام من آل ياسر إلى يوم الناس، و نحن على يقين أنّ قطرات من الدماء اليوم تسكب من أجل أن نعيش آمنين. و ننوه بالجهد الأمني الذي تمتعت به بلادنا في هذه الأيام بجيشها و شرطها و حرسها الجمهوري ومواطنيها. نسال الله تبارك و تعالى أن يجعل هذا درعا ثابتا للأمة لأننا ذقنا مرارة الآلام أيام التسيب «أطعمهم من جوع و آمنهم من خوف»، ربنا تبارك و تعالى منّ على هذه البلاد بخير كثير، رغم بكاء الباكين، فإننا في خير كبير و في نعمة اقتصادية وافرة نسال الله تبارك و تعالى أن يجعلنا من الشاكرين لها، و نحن مع

إقامـة أمـن جمهـوري عتيـد أثبـت نجاعتـه فـي ذلـك اليـوم، فـي ذلـك العـرس، و إن كان يـوم فـرح فانـه كان يومـا عصيبـا الحمـد لله أنـه مـر بسـلام، و إلا يصعـب أن نكـون فـي أمـان فـي مثـل هـذه القاعـة، فلـك الحمـد يـا ربنـا أولا و آخـرا، و نشـكر أمننـا العتيـد الـذي واكـب الوافديـن و صـار يميـز بيـن الغـث و السـمين ، وأن كان مـن قبـل لا يميـز. و نحمـد الله أننـا تحولنـا مـن انتخـاب نعـرف نتائجـه قبـل عـام و نتيجتـه ثمانيـة أو تسـعون و تسـعة و تسـعون بالمائـة. انتخابـات أسـفرت عـن حقيقـة أن الشـعب يختـار ، و الإبـرة تحولـت عـن اليميـن أو الشـمال و كفـة التـوازن قائمـة، و نحـن قادمـون علـى مراهنـة ربنـا تبـارك و تعالـى ينظـر إليهـا و العالـم جميعـا ينظـر إليهـا.

جازاكـم الله تعالـى كل خيـر و نسـألكم الدعـاء علـى ظهـر غيـب لأن أحسـن السـلاح للمسـلمين ليـس الكلاشـينكوف و إنمـا الالتجـاء إلـى الله تبـارك و تعالـى.

استسـمحكم إذا أطلنـا كثيـرا ، أهـلا و سـهلا بكـم و إن شـاء الله تتعايشـون معنـا فـي حلقـات ندوتنـا فـي خيـر وأمـن و سـلام.

أهـلا و سـهلا بالرجـال و النسـاء و لا تعلمـون كـم هـي فرحتنـا الأمر الـذي لا يعلمـه إلاّ الله تبـارك و تعالـى و أهـلا وسـهلا بكـم.

افتتاحية الشيخ أحمد بن سعود السيّابي

بادئ ذي بدئ نتوجّه إلى الشعب التونسي الشقيق على الانتخابات التّشريعيّة التي جرت والتي تعبّر عن مصداقيّة الشعب التونسي وقياداته.

أيّها الإخوة والأخوات :

السّير جمع سيرة والسيرة الإباضيّة هي تلك المنهجية الجامعة بين الحدث التاريخي والأحكام العقديّة والفقهيّة ، أو تراجم الأشخاص وفكرهم، بعد أن كانت السّيرة نطقا ومفهوما مقتصرة على السيرة النبوية الشريفة ، وذلك يعني أنّ مفهوم السيرة توسّع لدى الإباضيّة .

على أنّ السّير الإباضيّة تبيّن الحراك الإباضي داخل المذهب أو تفاعلا مع المذاهب الأخرى وفاقا أو خلافا.

ولئن شهدت المذاهب الإسلاميّة فيما بينها في السابق شيئا من التّجاذبات والتراشق إلى حدّ الوصول إلى التصادم في بعض الأحيان، فإنّ هذا العصر قد ألغى تلك التجاذبات و ابتعد عن التصادمات بفضل الوعي العلمي و المنهج الأكاديمي الأمر الذي جعل العقل الاسلامي يأخذ مكانه و مكانته في التعليل و التحليل للوصول إلى الفهم المشترك لما عليه كل مذهب، حيث البحث عن الحقيقة فقط هو الحادي و المنشد، أخذا بالإيجابيات التي جاء بها الإسلام و أرادها، و تركا للسلبيات التي أوجدتها العقول الملوثة بلوثات التعصب البغيض التي جاء الاسلام العظيم لوأدها، و ليت الأمر كما تمنى أبو مسلم البهلاني الرواحي عندما قال:

وما الدين إلا واحد ولئي نرى ... ضلالات أتباع الهوى تتقارع

وما ترك المختار ألف ديانة ... ولا جاء في القرآن هذا التنازع

ويا ليت أهل الدين لم يتفرقوا ... وليت نظام الدين للكل جامع

لينتقل الأمر من تمني أبي مسلم إلى رؤية علي يحيى معمر في عبارته الشهيرة المعرفة

و التعـارف و الاعتـراف التـي أصبحـت نظريـة تشـكل خارطـة طريـق للتقـارب بيـن المذاهـب، فـلا إقصـاء ولا تكفيـر، و إنمـا وحـدة إسـلامية و تعـارف مـع الآخـر و اعتـراف بذلـك الآخـر.

أيهـا الإخـوة و الأخـوات إنّ مؤتمركـم هـذا - لاشـك - أنـه يعمـل علـى التعريـف بالمذاهـب مـن خـلال السير الإباضيـة فـي الداخـل الإسـلامي و فـي الخـارج الإسـلامي علـى حـد سـواء، ففـي الداخـل الإسلامي سـوف يعمـل علـى التقـارب مـع المذاهـب الاسـلامية، و التقريـب بيـن المذاهـب الإسـلامية، و فـي الخـارج الإسـلامي سـوف يعمـل علـى التعريـف بـه الـذي هـو فـي الحقيقـة تعريـف بالإسـلام عمومـا.

بعـد أن مـرّت بالمذاهـب قـرون مـن الإقصـاء أو محاولـة الإقصـاء، ومـن الانكفـاء لعوامـل داخليـة و خارجيـة، فالعوامـل الداخليـة هـي تلـك الانهزاميـة النفسـية المذهبيـة لـدى الإنسـان الإباضـي أو التـي أصابـت الإنسـان الإباضـي، أمـا العوامـل الخـارجيـة فكانـت تتمثـل فـي الهجـوم الظالـم عليهـم مـن مخالفيهـم قـولا و فعـلا.

أمّـا الحاضـر الـذي نحـن فيـه و نعيشـه فقـد توافـرت فيـه وسـائل الاتصـال والتواصـل، فعلـى جميـع أصحـاب المذاهـب استعمـال هـذه الوسـائل فـي الاتصـال و التواصـل مـع بعضـهم بعضـا، منشـدين قـول الشـاعر:-

حدثـت بانـة الحمـى عـن صفاهـا عـن ثنيّـات مكـة عـن صفاهـا
أن عهـد الوصـال آن ووافـى وزمـان النـوى انقضـى وتناهـا

و أخيـرا : ليس بوسـعنا إلاّ أن نقدّم الشـكر جزيـلا لجمعيـة جربـة للتواصـل علـى الهمـة العاليـة لعقد هـذا المؤتمـر المبـارك إن شـاء الله تعالـى و نسـأل الله التوفيـق للجميـع.

افتتاحية سليمان بن علي بن عامر الشعيلي

بسم الله الرحمن الرحيم

المشايخ الأجلاء، أيها السادة الحضور، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد

فإنـي أحمـد الله أن جمعنـا فـي هـذا اليـوم المبـارك، وفـي هـذا الملتقـى العلمـي النافـع، والـذي أسـأل الله العلـي القديـر أن يجعلـه فـي موازيـن حسـناتكم جميعـا. ويشـرفني باسـم جامعـة السـلطان قابـوس، ممثلـة فـي اللجنـة المشـاركة مـن العلمـاء الأجـلاء والأسـاتذة الكـرام ، أن أتقـدم بجزيـل الشـكر ووافـر التقديـر ، لشـيخنا العلامـة الكبيـر فضيلـة الدكتـور فرحـات بـن علـي الجعبيـري، رئيـس هـذه الهيئـة الخيـرة المباركـة، حفظـه الله، وإلـى اخوتـه وطلابـه الذيـن أعانـوه علـى القيـام بهـذا الجهـد العظيـم وأمثالـه مـن أعمـال الخيـر والبـر. اسـأل الله تعالـى أن يبـارك فـي أوقاتهـم وفـي أعمارهـم وفـي أرزقاهـم، وأن يحقـق لهـم مـا يصبـون إليـه مـن خيـر وصـلاح لهـذه الأمـة .

كمـا تعلمـون أيهـا المشـايخ والعلمـاء أن السـير ليسـت روايـات تاريخيـة فحسـب، وإنمـا تعنـى بروايـة أحـداث تاريخيـة كانـت أو سياسـية أو معامـلات اقتصاديـة، أو اجتماعيـة، أو تقـرر مبـادئ إنسـانية أو قواعـد دينيـة، أو تشـرح عقيـدة، أو تبيـن أحكامـا.

السـير ليسـت تاريـخ يكتبـه الغالـب أو يكتـب لـه، وإنمـا هـي صـورة حقيقيـة للمجتمـع ؛ فكـره، وأخلاقـه وقيمـه، وعاداتـه، وعباداتـه... ومـن هنـا تأتـي أهميـة السـير كوثائـق مهمـة يعتمـد عليهـا الدارسـون والباحثـون فـي نقـل الصـورة الحقيقيـة الصحيحـة عـن مجتمـع مـا فـي حقبـة زمنيـة معينـة.

إن الاحتفـاء بسـير العلمـاء والمصلحيـن والعنايـة بهـا واخراجهـا لهـو أفضـل مـا يقـدم للأجيـال ، فـي زمـن تزاحمـت فيـه الأفكـار، وكثـرت فيـه الفتـن، وتغيـرت المفاهيـم ، وانعكسـت فيـه الأدوار.

زمـن أصبـح فيـه المسـلمون حديـث السـاعة، لا مـن حيـث نشـرهم الخيـر والعـدل والهـدى،



وهو الدور المنوط بهم ، وإنما من حيث ما يقوم به أفراد منهم يتسمون باسم الإسلام، وجماعات تنتسب إلى الإسلام، من تشويه لتعاليم هذا الدين وأخلاقه ومثله، التي أنزلها الله رحمة للعالمين.

في وسط هذا الظلام ينبلج نور هذا الدين، في بعض بقاع الأرض، يحمله عدول خلف لسلف طابت سيرتهم، وصفت سريرتهم، وزكت أعمالهم ، تحقيقا لوعد الله على لسان نبيه الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام «يحمل هذا الدين من كل خلف عدوله ، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، ..الحديث هذا وقد من الله علينا أن نكون اليوم بين أنموذج من هؤلاء العدول، هذه الفئة الخيرة المباركة، في هذه الأرض الطيبة، لنقبس شيئا من هذا النور، «والبلد الطيب يخرج نباته بإذن الله».

هذه الفئة المباركة ما هي إلا امتداد لذلك السلف الصالح في هذه الجزيرة التي ساهم أبناؤها في الحضارات البشرية، ودافعوا عن حرمات دينهم وأخلاقهم ، وصارعوا من أجل اثبات شخصيتهم.

هذا الحصن الشامخ الذي صمد وما زال ، أمام كل غاز يريد استثمار خيراته وامتلاك أرضه، وطمس هويته، ودينه.

كان علماء هذه الجزيرة على وعي تام بأهمية التواصل وتوثيق الصلات مع إخوانهم في المشرق حين زار عمان في القرن السابع الهجري، الشيخ الحاج سعيد بن زكريا، الذي فتح الباب لهذا الخير العميم ولا يزال مفتوحا بجهود هذه الفئة الخيرة المباركة .

بارك الله هذه الجهود الخيرة، ونفع بها الإسلام وأهله، وأمد الله في أعمار القائمين على هذه المؤسسات المباركة، وجزاهم عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

افتتاحية د.محمد بن قاسم ناصر بوحجام

بسم الله الرّحمن الرّحيم

فضيلة الأستاذ الدّكتور فرحات بن علي الجعبيري المحترم, رئيس ندوة كتب السّير الإباضيّة. حضرات الإخوة أعضاء جمعيّة التّواصل جربة، حضرات المشائخ والعلماء والأساتذة الموقّرين، أيّها السّادة الحاضرون.

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته

قال الشّيخ محمد البشير الإبراهيمي: « إنّ غفلتنا عن إحياء ذكريات أمجادنا هي التي أزهقت في الأمّة الإسلاميّة روح التّأسّي، وأفقرتها من الرّجال، وجعلت تاريخ أبنائها خاليًا من المثل العليا.»

وقال أحمد شوقي:

وإذا فاتك التفاتٌ إلى الما ضي، فقد غاب عنك وجه التّأسّي

حضرات السّادة العلماء والمثقفين والمهتمّين بالعلم الصّحيح والثّقافة الأصيلة، دعينا إلى هذه النّدوة المباركة، ولّبينا الدّعوة وجئنا مسرعين مستبشرين مهلّلين؛ لنكشف عن تراث عظيم، ونبرز من خلاله خلالاً ومقوّمات نحتاجها في عملنا البنائي والإعدادي والتّربوي، في زمان تفرّقت فيه على النّاس السّبل في التّربيّة، واختلفت عليهم الطّرق في التّوجيه..وغابت عنهم القيم الحقيقيّة والمقوّمات الأصيلة، فتخبّطوا في تخطيط أمور حياتهم خبط عشواء، وخلطوا عملا صالحًا وآخر سيّئًا في بناء نفوس من هم تحت كفالتهم ورعايتهم ومسؤوليّتهم.

جئنا إلى هذا البلد الطّيّب الأمين لنرزق فيه ثمرات من السّير التي أرادت لها جمعيّة جربة التّواصل أن تكون سبب اجتماعاتنا المباركة، ومحور لقاءاتنا العلميّة، ومجمع قراءاتنا لهذا

الإرث الفكري الحضاري الكبير..لننشر بواسطتها المثل العليا، ونأخذ بأنفسنا وبنابتتنا إلى حيث مكامنُ العبر والتّأسّي. قدمنا لنحضر ونحاضر في ندوة (السّير الإباضيّة)؛ عسانا نفيد منها ما ينفعنا

إذا عرف ا لإنسان أخبار من مضى   توهّمته قد عاش من أوّل الدّهر
وتحسبه قد عاش آخر عمره   إلى الحشر، إن أبقى الجميل من الذّكر
فكن عالمًا أخبارَ من عاش وانقضى   وكن ذا نوال، واغتنم أطول العمر

حضرات السّادة الكرام اسمحوا لي أن أقول لكم:

فإلى تونس حَثَثْنَا المسيرا   سِيَرٌ نادت ترتجينا الحضورا
تبتغينا نغوصُ في عمقها نسـ   تخرج التّاريخ الوضيءَ الأثيرَا
ساد من للتّاريخ عاش مديرًا   نظراتٍ في عمقه مستنيرًا
يُحضرُ الذّكرى، شارحًا محتواها   ذاكرًا منها كنهَها والجذورَا
شاكرًا للرّجال فضلاً سنيًّا   مُعليًا قدرهم وفاءً وفيرًا
فاحصًا أطوارًا جرَتْ في المواضي   ناقلاً للشباب إرثًا كبيرًا
إنّما التّاريخ الأصيلُ مَعين   يُرتوَى، منه ما يُقيل القُصورا
إنّما التّاريخ القويّ ملاذٌ   للقلوب، يُثير فيها الشّعورَا
إنّما التّاريخ الغنيّ مجال   للنّفوس، يذبُّ عنها الفتورَا
من تلا منه زادَ عقلُه نضجًا   واستبانَ السّبيل،يبغي المسيرَا

إنّ السّير بما تحمل من خصائص ومميّزات وأبعاد تربويّة وتكوينيّة وتوجيهيّة وأدبيّة وفنيّة...هي مجال فسيح وعريض لمن يريد السّير فيه لتحقيق فرص البناء والتّكوين والإعداد، وبحرٌ مديد وعميق لمن يبغي الإبحار فيه والغوصَ لاستخراج لآلئ، تعينه في التّوجيه والإرشاد.. وموئل حصين وقويّ لمن يبتغي الحصول على ما يقيه من أخطار الاستلاب والتّفسّخ والانحلال

والذّوبان في غير أصوله ومقوّماته، وما يساعده على الانشداد إلى أهدافه الحقيقيّة. مستنيرًا بالآية الكريمة التي تحدّد مسار المسلم بين نقطتين: نقطة المبادئ ونقطة الغاية ﴿وأنَّ هذا صراطي مستقيمًا فاتّبعوه ولا تتّبعوا السّبل فتَفَرَّقَ بكُم عن سبيلِه ذلِكُمْ وَصَّاكُمْ بهِ لَعَلَّكُمْ تتَّقُون﴾ (الأنعام/١٥٣)

إنّ السّير الإباضية التي هي محور اجتماعنا وسبب دعوتنا إلى هذه النّدوة المباركة أسهمت بشكل كبير وفعّال في تأسيس منطلقات العمل التّربوي، وفي وضع قواعد البناء الحضاري.. ماذا نجد فيها من ذلك؟ نجد فيها أصول الدّين والفنّ والأدب والأخلاق والقيم والتّاريخ...التي هي مقوّمات التّربيّة والوَحدة وشروطُ ضمان الانتماء والولاء والوفاء. وماذا نقرأ فيها؟ نقرأ فيها مواقف الإباضيّة: العقديّة والفقهيّة والتّاريخيّة والسّياسيّة والحضاريّة..أي نلتقي فيها مع الفكر الإباضي بكلّ فروعه ومجالاته منذ القرون الأولى...

إنّ إقامة هذه النّدوة تندرج في إطار النّظرة الشّاملة والعميقة والرّصينة للتّقريب بين المسلمين؛ بتسخير العلم والمعرفة في هذا العمل الحضاري، واعتمادِ ثلاثيّة الشّيخ علي يحي معمر - رحمه الله – (المعرفة والاعتراف والتّعارف) قاعدةً في التّحرّك بكلّ أشكاله ووسائله وأهدافه ومخطّطاته. فإنّ التّعريف بجانب من الفكر الإسلامي لطائفة من المسلمين عاملٌ مهمّ في إزالة ما قد يكون بينهم من سوء الفهم، الذي يؤدّي إلى سوء المعاملة، الذي يوصل إلى تفرّق الشّمل وتمزّق أوصال الأمّة.

إنّ تقديم الإرث الإباضي للبحث والدّراسة والنّظر فيه، تدعو إليه ضرورة إزالة الغشاوة عن أعين من لا يرى بعين سليمة إلى حقيقته، ويدفع إليه واجب تمكين الباحثين عن الحقيقة العلميّة من التّعرّف عليه، ويفرضه منطق أنّ المعرفة ملك الجميع، فلا مجال لاحتكارها أو كتمها أو إخفائها..والسّير الإباضية من مميّزاتها أنّها تحوي بين أسطرها نتاجًا معرفيًا وفكريًا متنوّعا في مختلف المجالات العلميّة..الاطّلاع عليه ودراسته يقدّم تصوّرًا واضحًا عن الفكر الإباضي بكلّ جوانبه.نسأل الله التّوفيق في بلوغ الأهداف المسطّرة لهذه النّدوة، وتحقيق المبتغى والمرجو منها.

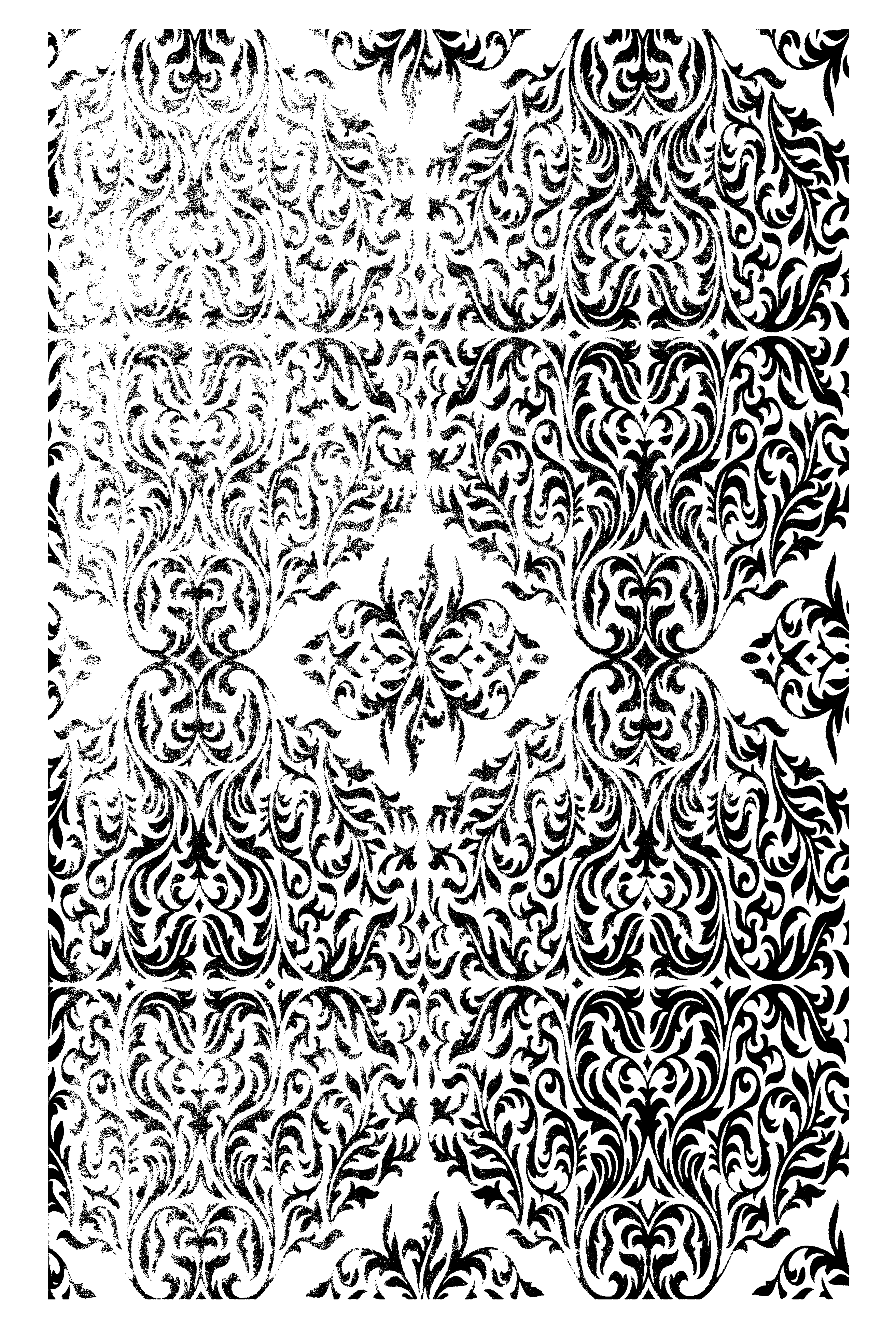


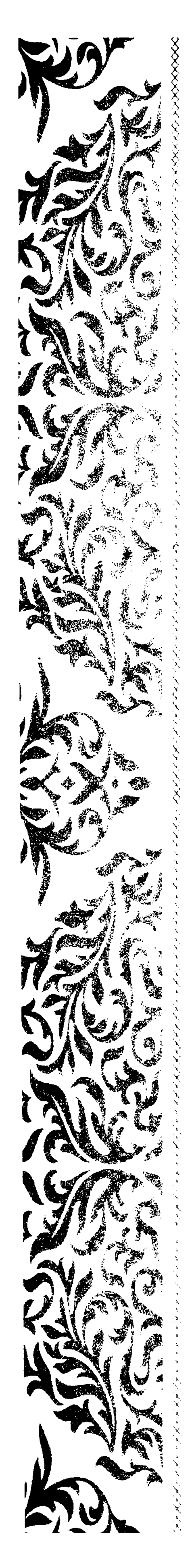
اسمحوا لي أن أذكر هنا بهذه المناسبة أبياتًا قالها مفدء زكريّاء في الذّكرى الثّالثة لعيد الجمهوريّة التّونسيّة:

أتونسُ والخضرا تَجُــرُّ ذُيولَهــا مُرَنَّحةَ الأعْطافِ مَرتَعُها خِصبُ
تُباكِرُها الأفْراحُ، والبِشْرُ طافحٌ وروضُ المُنَى غَضٌّ، وغُصْنُ الهوى رَطْبُ
شَرِبْنا بها نَخْبَ التَّهاني، وإنَّما بعيدِكِ يا خضراءُ يحلُو لنا الشُّربُ
...أتونُسُ! هذي نبضةٌ صاغَ نظمَها بتونسَ ولهَانٌ بها عاشقٌ صَبُّ
تُعاوده الذِّكرى وتهفُو به المُنَى وتُلهمه النَّجوى، ويسمو به الحبُّ[1]
بلادٌ بها للحرِّ أهلٌ وجيرة وتونُسُ للأحرار، ملجؤُها رحبُ

باسم العلماء والأساتذة المشاركين في ندوة السّير الإباضيّة نقدّم شكرنا الجزيل لجمعية جربة التّواصل وللعاملين فيها، وللقائمين على هذه النّدوة، أوّلا لإتاحتهم لنا فرصة اللّقاء فيما بيننا إخوةً في الله، ثانيًا لإلقاء محاضرات وبحوث في هذه السّير، ثالثًا لتلقّي معلومات جديدة عن الفكر الإباضي...جزى الله الجميع خيرًا ووفّقنا لمزيد من الأعمال العلميّة الهادفة, وجمع بيننا بخير في لقاءات قادمة. إنّه نعم المولى ونعم النّصير.

(١) اللّهب المقدّس، ط٢، منشورات وزارة التّعليم الأصلي والشّؤون الدّينيّة، الجزائر، فيفري ١٩٧٢، ص: ١٨٢ – ١٨٤





الأوراق البحثية



دولة الإمامة من خلال سيرة العلامة المنير بن النير الجعلاني العماني

د. ناصر بن علي بن سالم الندابي
باحث بوزارة التربية والتعليم /سلطنة عمان

dr.alnadabi@gmail.com

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى أله وصحبه أجميعن، أما بعد:. بداية أتقدم بالشكر الجزيل إلى جمعية جربة التواصل وكل القائمين عليها، على أن اتاحوا لي الفرصة للمشاركة في هذه الندوة المباركة ندوة السير الإباضية، سائلا الله عزوجل أن يوفقهم لما فيه الخير والصلاح، داعيا الله أن تكون هذه الجمعية همزة الوصل بين مشرق العالم الإسلامي وغربه وأن تعيد أمجاد السلف الصالح من أصحاب هذا المذهب العزيز الذين حافظوا على التواصل على الرغم من بعد المسافة ومشقة السفر.

ومن المعلوم إن السير الإباضية كانت منتشرة في القطر الإباضي مشرقه ومغربه، فالسير العمانية المتناثرة في ثنايا الكتب والمصادر العمانية سواء الفقهية منها أو التاريخية، تبرز لنا جوانب من التاريخ العماني الزاهر، وإن هذه الندوة - ندوة السير الإباضية - التي ألقت على عاتقها سبر أغوار هذا الفن المميز في تاريخنا الإباضي على وجه العموم، ليشعرنا بمدى إحساس القائمين عليها بأن هذا المجال لم يتم التطرق إليه، ولم يعط حقه من الدراسة والتمحيص، وأنه قد آن الآوان لنبش هذا التراث الأصيل، وإبرازه للعامة بصورة عامة، وللمثقفين على وجه الخصوص، وكل ذلك من أجل لفت انتباه الباحثين لأهمية هذا التراث ودوره في تغطية جوانب عدة في التاريخ الإباضي وفقهه .

ومن هذا المنطلق فإنه يشرفني أن اتقدم بهذه المداخلة والتي هي بعنوان « دولة الإمامة من خلال سيرة العلامة منير بن النير الجعلاني العماني» وإن هذا الاختيار لم يأت من فراغ وذلك

لأهمية هذه السيرة في تاريخنا العماني لأنها تحكي لنا ما كانت عليه الإمامة الإباضيةالأولى، إمامة الامام الجلندى بن مسعود (١٣٢هـ - ١٣٤هـ). وإن أهمية هذه السيرة تكمن في طرحها لجوانب عدة في هذه الإمامة الأولى من نوعها في المنطقة، فقد غطت هذه السيرة أمور شتى، على رأسها الجانب السياسي والجانب الإداري والجانب الاجتماعي. كما أن أهمية هذه السيرة تكمن في اعتماد الكثير من الأئمة والعلماء عليها، أولئك الذين جاءوا من بعد الإمام الجلندى. كيف لا وهي في أصلها ما كتبت إلا كنصحية للإمام غسان بن عبدالله (١٩٢ هـ – ٢٠٧هـ) للسير على مناهج سلفه، وإن يخطو خطاه ويهتدي بهديه .

ونهدف من خلال هذه المداخلة إلى دراسة هذه السيرة، والتعرض للكل الجوانب التي ركز عليها العلامة الجعلاني، محاولة منا لإعطاء تصور عام عن طبيعة الإمامة الإباضية في بداياتها الأولى، وكيف كانت تدار من قبل الإمام، وما هي السمات السياسية والادارية والاجتماعية التي سارت عليها، والتي أصبحت فيما بعد من القواعد التي لا يحيد عنها الإمام الإباضي عبر عصور الإمامة في عمان.

ونسعى من خلال هذه المداخلة أيضا إلى التركيز على جانب الشراة، هذه الفئة التي كانت لها أهمية كبيرة في مجتمع عمان زمن الإمام الجلندى، سواء كان هذا الدور في وقت الحرب أم السلم، ونرغب من خلال هذه الأسطر أن نعطي للمهتمين بالجانب الاجتماعي طبيعة المجتمع العماني والشرائح التي كانت فيه، ومدى علاقتها مع بعضها البعض ، وكيفية تعامل الإمام مع كافة هذه الشرائح.

وسننهج في مداخلتنا هذه إلى منهج التحليل التاريخي، المبني على استقراء كل ما حوته هذه السيرة، من تفاصيل، والقراءة بين الأسطر لاستجلاء أسلوب العلامة الجعلاني وهدفه من هذه السيرة وما سعى إليه من خلالها، وما يمكن أن نستشفه عن المكانة التي تميز بها هذا العالم وأنداده من الذين والشخصيات التي ذكرت في السيرة.ذكروا في ثنايا هذه السيرة.

وقد قمنا بمحاولة ضبط نص السيرة من خلال ثلاث مصادر وضحناها في ثنايا البحث، رغبةً منا للوصول إلى النص الأقرب إلى الصحة، من أجل أن نتمكن من تقديم تفسيرا صحيحا لكل ما ورد فيها مما يتعلق بموضوع ورقة عملنا هذه .

وسنتطرق في مداخلتنا هذه إلى العناصر التالية : عصر العلامة المنير بن النير ثم سنتحدث عن الشخصيات البارزة في هذه السيرة، وبعدها نعطي لمحة سريعة عن السيرة، ثم نتبعها بالتنظيمات السياسية والإدارية والاجتماعية في دولة الإمامة من خلال هذه السيرة، ثم نختم ورقتنا هذه بخاتمة وسنضيف إليها ملحق فيه السيرة بعد ضبط نصها.

- **عصر العلامة المنير بن النير الجعلاني**

قبل الولوج إلى سبر أغوار هذه السيرة وكاتبها وما حوتها من جوانب فإن المنهج العلمي يحتم علينا أن نعطي لمحة مختصرة وسريعة عن عصر كاتبها، لنعيش تلك الحياة التي عاشها الكاتب بشتى تفاصيلها وأحداثها لنعي المعلومات التي بثها في ثنايا سيرته ونفهم كنهها وغايتها.

من المعلوم أن العمانيين دخلوا الإسلام طواعية دون حرب، فلم يطأ رسول الله ساحتهم بجيشه، ولم يتجشم الطريق للوصول إليهم وتبليغ دعوته لهم، وإنما اكتفوا بالدعوى التي جاءتهم على لسان عمرو بن العاص حاملا رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وقد كافأ رسول الله العمانين بأن أبقى ملوكهم معززين مكرمين بعد أن دانوا بالحنيفية السمحة، فجعل حكم عمان بيد العمانيين. فاعترفت عمان بهذا الفضل لسيد البشرية، وأيقنت برسالته العالمية، فتعهدت رسوله بالحفظ والأمان، وارجعته إلى المدينة المنورة معززا مكرما، وحافظت على إسلامها حين ارتدت القبائل من حولها، واستمرت عمان تدين للخلافة الراشدة، حتى ظهرت الفتنة في عهد عثمان بن عفان ثم الإمام علي بن أبي طالب، فما كان منها إلا نأت بنفسها عن الخوض في تلك الفتنة، وفضلت الحياد(١).

وما إن وصل معاوية بن أبي سفيان (٤٠هـ) إلى السلطة بتلك الطريقة التي لم تخلو من الدهاء واستخدام القوة، حتى قرر العمانيون عدم الإنضواء تحت راية بني أمية، وظلو يحكون أنفسهم بأنفسهم بعيدا وبمعزل عن سياسة بني أمية، واستمر الأمر على هذا الحال حتى عهد

(١) الأزكوي: سرحان بن سعيد، كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة، تحقيق: محمد حبيب صالح، محمود بن مبارك السليمي، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، سنة: ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م، ط١، ج٥، صص١٤٩-١٥٦. السالمي: عبدالله بن حميد ، تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، مكتبة مسقط، سلطنة عمان، سنة: ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ج١، صص٥٠-٧٠ .

عبدالملك بن مروان، الذي سعى إلى ضم عمان إلى دولته، عن طريق واليه على العراق الحجاج بن يوسف الثقفي (ت : ٩٥هـ)، فقام الأخير بإرسال عدد من الجيوش للسيطرة على عمان، وبعد محاولات عدة نجح في ذلك، فخضعت عمان للدولة الأموية وتعاقب عليها مجموعة من الولاة لم تكن سيرتهم محمودة، واستمر الوضع على هذا الحال حتى نهاية الدولة الأموية وفي عام ١٣٢هـ تمكن العمانيون من لمّ شملهم، ورأب صدعهم، وتوحيد كلمتهم، فاجتمعت رايتهم تحت شخص منهم يدعى: الجلندى بن مسعود فبايعوه إماما عليهم[1].

ولم تقم تلك الإمامة من فراغ فقد استعد لها العمانيون ايما استعداد، كما انه قد خُطط لها تخطيطا دقيقا من قبل زعيم الإباضية في البصرة الإمام أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي (ت : ١٤٥هـ)، الذي بدوره أرسل عددا من طلابه العمانيين لإقامتها وكان على رأس هؤلاء الطلاب شخصيتنا التي نتحدث عنها -العلامة منير بن النير الجعلاني- وقد صحبه مجموعة من زملائه [2].

ولكن لم ينعم العمانيون بهذه الإمامة فترة طويلة من الزمن، فقد انتخب لها العباسيون جيشا للقضاء عليها، رغبة منهم في ضم عمان إلى دولتهم، فأرسلوا لها جيشا بقيادة خازم بن خزيمة فتمكن الأخير من القضاء على هذه الإمامة الوليدة وقتل إمامها الإمام الجلندى بن مسعود، ومعه أبرز قادته وأفضل علماء عصره[3].

ثم عادت عمان مرة أخرى تتبع الدولة الإسلامية، منذ عام ١٣٤ه، حتى عام ١٧٧هـ عندما اجتمع العمانيون مرة أخرى وقرروا الاستقلال وإعادة دولة الإمامة، بعد إن ذاقوا الظلم والجور من ولاة بني العباس، فاعلنوا الإمامة وبايعوا الإمام محمد بن أبي عفان (١٧٧هـ

---

(١) الأزكوي: كشف الغمة، م.س، ج٥، صص١٦٢- ١٦٤.ابن رزيق : حميد بن محمد ، الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيدين، تحقيق: عبدالمنعم عامر، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان سنة: ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م، ط٥، صص١٨٧- ١٩٥السالمي: تحفة الأعيان، م. س، ج١، صص٧١-٧٥

(٢)العوتبي: أبو المنذر سلمة بن مسلم ، الأنساب ، تحقيق: محمد إحسان النص، وزارة التراث والثقافة، سنة: ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، ط٤، ج١، ص٢٦٨ .ج٢، صص٧٨٤-٧٨٥ ، هاشم: مهدي طالب: الحركة الأباضية في المشرق العربي، دار الحكمة، لندن، سنة: ٢٠٠٩، ط٣، ص١٥٧.

(٣) الأزكوي: كشف الغمة، م. س، ج٥، صص١٦٣-١٦٤. ابن رزيق: الفتح المبين، م. س،صص:١٩٥-١٩٦. السالمي: تحفة الأعيان، م. س، ج١، صص٨٥ -١٠٤

١٧٩هـ)، وذلك بمباركة من علماء عمان- أهل الحل والعقد- ومن بينهم عالمنا الجليل المنير بن النير الجعلاني، واستمرت عمان تدار من قبل الإئمة الإباضية- ما إن يموت إمام حتى يبايع الاخر إلى أن وصلت الإمامة بيد الإمام غسان بن عبدالله اليحمدي الذي نحن بصدد الحديث عنه في هذه السيرة[١] .

• **أبرز الشخصيات التي تعرضت لها السيرة :**

حين نمر على هذه السيرة بصورة سريعة نجد أنها تعرضت لثلاث شخصيات مهمة في التاريخ العماني، شخصية الكاتب : العلامة المنير بن النير الجعلاني، وشخصية الإمام الذي وجهت إليه هذه السيرة: الإمام غسان بن عبدالله، والشخصية الثالثة كانت مثار الحديث عنها وعن عصرها وعن رجالاتها وجعلها نموذجا يحتذى به، وسراجا منيرا للإمام غسان ليهتدي بهديها، إنه الإمام الجلندى بن مسعود.

وبما أن هذه الشخصيات ستكون مثار الحديث، والمحور الذي ستدور عليه كل الأحداث في هذه السيرة فإنا إرتأينا أن نعرف بها هنا من أجل أن يعي القارئ المكانة التي تميزت بها كل شخصية، والدور الاساسي الذي قامت به، وما قدمته كل منها في صناعة التاريخ العماني المجيد في قرونه الأولى.

١- العلامة المنير بن النير الجعلاني

هو منير بن النير بن عبدالملك بن وسار بن وهب بن عبيد بن الصلت بن يحيى بن مالك بن حضرمي بن رنام[٢] الريامي، ولد ببلدة جعلان عمان من أعمال عمان، ثم رحل إلى البصرة في طلب العلم، فتتلمذ على يد الإمام أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة، وعلى يد الإمام الربيع بن حبيب، ثم عاد إلى عمان مع ثلة مباركة متكونة من : بشير بن المنذر النزواني (ت: ٧٨هـ)، وموسى بن أبي جابر (ت: ١٨١هـ) محمد بن المعلا الكندي الفشحي (ت: نهاية القرن الثاني الهجري)، وتبعهم أنجب طلاب أبي عبيدة وخليفته: الإمام الربيع بن حبيب الفراهيدي الذي

---

(١) الأزكوي: كشف الغمة، م. س، ج٥، صص ١٦٦- ١٦٩. ابن رزيق: الفتح المبين، م.س، صص١٩٧-٢٠٠. السالمي: تحفة الأعيان، م. س، ج١، صص١٠٥- ١٢٠.

(٢) العوتبي: الأنساب، م.س، ج١، ص٢٦٨.

خلف استاذه في زعامة المذهب وكان أحد أعمدة العلم في عمان وأحد أبرز الشخصيات التي قامت على يديها الإمامة[1].

وتتلمذ على يد العلامة المنير بن النير عدد من علماء عمان يأتي في مقدمتهم العلاء بن أبي حذيفة ومحمد بن هاشم، والوضاح بن عقبة، وغيرهم، ومن أثاره العلمية هذه السيرة التي بين أيدينا، ومسائل عديدة في كتب الأثر. ويعد المنير ممن جازت عليهم سلسلة نسب الدين عند المشارقة، وممن أحيى السنن وأخمد البدع[2].

وهناك شخصيتان بنفس الأسم – المنير بن النير الجعلاني- أولهما شخصيتنا التي نتحدث عنها، أما الشخصية الأخرى فقد مات صاحبها شهيدا عام ٢٨٠هـ ، إذ كان ضمن جيش الأهيف بن حمام الهنائي الذي خرج لقتال محمد بن بور الذي بعث به الخليفة المعتضد العباسي للسيطرة على عمان[3].

ويظهر من هذه السيرة إن العلامة الجعلاني كان مخضرما إذ أدرك الإمامة الإباضية الأولى (١٣٢- ١٣٤هـ) وبداية الإمامة الإباضية الثانية (١٧٧هـ - ٢٨٠هـ)، ولذلك فقد كانت سيرته هذه همزة وصل بين الفترتين، فهو شاهد عيان، وأساس من أسس قيام الإمامة، فجاءت سيرته هذه عبارة عن مقارنة بين ما كان عليه الناس في عهد الإمامة الأولى وكيف أصبح حالهم عند سقوطها، ثم كيف رجع الوضع وعاد التألق إلى عمان بعد قيام الإمامة الثانية. ويتبين لنا من خلال السيرة التي بين أيدينا أن المنير بن النير كان في مسقط رأسه حين بويع الإمام غسان بن عبدالله، وإن هذه الرسالة لم يكتبها من تلقاء نفسه وإنما كانت ردا على رسالة بعث بها الإمام غسان، كان يحث فيها المنير على القدوم إليه لنصرة الإمامة، وإظهار الحق، ويظهر ذلك من قوله:» أتاني كتابك تحثني على الإقبال إليك في الأمر الذي عرفت قبل اليوم رغبتي فيه وحرصي عليه للذي أرجو فيه من القوة للدين وأهله، والبركة والعذر مع الله والمسلمين...»

---

(١) البطاشي: سيف بن حمود بن حامد، اتحاف الأعيان في بعض تاريخ علماء عمان، مكتب المستشار الخاص لجلالة السلطان قابوس للشؤون الدينية والتاريخية، سلطنة عمان، سنة: ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م، ط٢، ج١، ص٢٢٥.

(٢) السعدي: فهد بن علي بن هاشل، معجم الفقهاء والمتكلمين الإباضية، (قسم المشرق)، مكتبة الجيل الواعد، سلطنة عمان، سنة: ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، ج٣، ص٢١٩.

(٣) السالمي: تحفة الأعيان، م. س، ج١، ص٢٦٠. البطاشي: إتحاف الأعيان، م.س، ج١، ص٢٢٦.

[1]، ولعل إلحاح الإمام على قدوم المنير إليه لرغبته في جعله من المستشارين المقربين - أهل الحل والعقد - أو لعله يرغب في تنصيبه قاضيا للدولة كونه كان على رأس علماء عصره في ذلك العهد، كما يبدوا أن المنير لم يكن وحده في جعلان ونواحيها وإنما كان معه ثلة من علماء عصره ممن يشار إليهم بالبنان، فهم الذين شاركوا المنير في صياغة هذه السيرة ويظهر ذلك في قوله:» فإني كتبت إليك وأنا ومَن قِبلي من إخوانك وأهل رعيتك من أهل خاصتك على ما تحب، والله المحمود.» [2]وإن طلب الإمام مقدمه لعلمه أن علماء عصره حتما سيصحبوه في هذه الرحلة، أو بعضا منهم إن لم يكن كلهم، فتقوى بهم الإمامة، ويصبحوا عينا للإمام وعونا. ويبدو أن المنير لم يرفض هذا الطلب كليا ولكن اقترح أن يسيّر له أحد من أنداده من علماء عصره وذكرهم له حين قال : «فإذا استعنتم أنفسكم ومن معكم واستقامت أموركم على ما مضى عليه من كان قبلكم من أسلافكم، واستقام على المسير مبارك بن جعفر،وسليمان بن عثمان، والحكم بن بشير، ومسعدة بن تميم، والأزهر بن علي، وعلي بن عزرة، وجعفر بن زياد، وعبدالله بن أبي قيس، وعبدالله بن نافع، ورايس بن يزيد ، وأبو مالك بن هزبر، والأشعث بن محمد، والأزهر بن عبدالملك، وعبدالعزيز بن عبدالرحمن، وضرباؤهم من المسلمين فاكتب إلينا فيأتيك مَنْ أحببت منا وكرامة لك ونعم عين»[3]، ولعل هؤلاء هم الذين شاركوا المنير في صياغة عبارات هذه السيرة .

ويظهر أن المنير بن النير قد استجاب لنداء الإمام غسان فتوجه إليه، ولكن من المعلوم أن عاصمة الإمامة في عهد الإمام غسان كانت مدينة نزوى، والروايات تؤكد أن وفاة المنير كانت في مدينة صحار[4]، فما الذي كان يفعله المنير في هذه المدينة؟!، وبما أنه لا توجد رواية تبين سبب وجوده هناك فأننا نرجح أنه تولى منصب القضاء أو الولاية في هذه المدينة من قبل الإمام غسان. وقد وافته المنية في مدينة صحار، ولا نعرف تاريخا محدد لوفاته، ولشدة حب عالمنا لمسقط رأسه – جعلان - فقد أوصى بأن يدفن فيها حتى وإن كانت وفاته في مكان بعيدا عنها، وفعلا فقد تم نقل جثمانه من صحار عن طريق البحر، فأنزل في بندر الحد ثم أخذ إلى جعلان

(١) انظر البحث: ص٢٧

(٢) انظر البحث: ص٢٧.

(٣) انظر البحث: ص٤١

(٤) البطاشي: اتحاف الأعيان، م.س، ج١، صص٢٢٦-٢٢٧.

ودفن فيها، ومن كراماته أن جسده لم يتأثر حتى ووري التراب(١).

٢- الإمام الجلندى بن مسعود المعولي (١٣٢هـ - ١٣٤هـ)

هو الإمام الجلندى بن مسعود بن جيفر بن الجلندى من بني معلومة بن شمس، تتلمذ على يد الإمام أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي، شارك في إمامة الإمام طالب الحق عبدالله بن يحيى الكندي باليمن (١٢٩هـ - ١٣٠هـ)، وبعد سقوطها توجه الجلندى إلى عمان واستقر فيها(٢).

إرتأت القيادة الإباضية في البصرة إقامة الإمامة في عمان بعد سقوطها في اليمن، فاجتمع العلماء لهذا الشأن وعلى رأسهم علامة العصر الشيخ موسى بن أبي جابر الأزكوي، فترشح لديهم شخص الإمام الجلندى لما تميز به من سمات تؤهله لهذا المنصب في مقدمتها العلم والتقوى والورع والزهد، ولكونه من المجاهدين في سبيل الله إذ كان من المشاركين في أمامة طالب الحق كما أسلفنا، وكذلك فإن الجلندى ينحدر من سلالة الملوك إذ كان أجداده ملوك عمان في العصور الإسلامية المنصرمة، كل هذه الخصال وغيرها جعلت من أهل الحل والعقد يتفقون على مبايعة الجلندى، فبويع بالإمامة في عمان عام ١٣٢هـ.(٣)

لم تهنأ عمان بهذا الإنجاز الكبير، فقد ظهر على الساحة جيش للصفرية بقيادة قائدها وزعيم مذهبها شيبان اليشكري، الذي كان ملاحقا بجيش من قبل الدولة العباسية بقيادة خازم بن خزيمة، وعندما وصل إلى حدود عمان تفاوض مع الإمام الجلندى لدخول عمان والاحتماء بها من كيد خازم وجيشة فوافق الإمام ولكن بشرط أن يتخلى شيبان وجماعته عن الأفكار الصفرية الخارجية التي يدينون بها وعلى رأسها الاستعراض ولكنهم أبوا، فبعث إليهم الإمام جيشا بقيادة يحيى بن نجيح وتمكن الأخير من الانتصار على الجيش الصفري وقتل قائده.

---

(١) البطاشي: اتحاف الأعيان، م.س، ج١، صص٢٢٦-٢٢٧.

(٢) الراشدي: مبارك بن عبدالله بن حامد، الإمام أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي وفقه، سلطنة عمان، سنة: ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م، ط١، ص٩٦.

(٣) الأزكوي: كشف الغمة، ج٥، صص١٦٢- ١٦٣. ابن رزيق: حميد بن محمد، الصحيفة القحطانية، تحقيق: محمد حبيب صالح، محمود بن مبارك السليمي، علال الصديق الغازي، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، سنة: ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م، ط١، ج٥، ص٧٨. السيابي: عمان عبر التاريخ، م.س، ج١، ص٢٢٩.

ولما بلغ خبر مقتل شيبان وهزيمة إلى مسامع خازم بن خزيمة، فرح لذلك فتوجه إلى عمان، وطلب من العمانيين تسليم سيف شيبان وخاتمه لكي يأخذه دليلا للحاكم العباسي على مقتل من شيبان واتباعه، كما طلب خازم بن خزيمة أن تعلن الإمامة الإباضية الخضوع للدولة العباسية، وأن تدعوا للحاكم العباسي على منابرها، فشاور الإمام الجلندى علماء عصره في أمر الخاتم والسيف كأحد الحلول لإبعاد هذا الجيش عن الأراضي العمانية إلا أنهم لم يروا تسليمهما وأنهما من حق ورثة شيبان، حينها قرر الإمام صد هذا الجيش، فدخل معه في معركة شرسة، - عرفت في التاريخ العماني بمعركة جلفار -، انتهت بهزيمة الجيش العماني وقتل إمامه، ووقعت هذه المعركة في عام ١٣٤هـ[١].

وبمقتل هذا الإمام سقطت عمان في أيدي الدولة العباسية، وأصبحت تدار من قبل الولاة العباسيين، ولكن العمانيون لم يرضو بهذا الوضع فاجتمعوا مرة أخرى تحت لواء علمائهم، وقرروا إرجاع بلادهم من قبضة العباسيين، فكان لهم ذلك، ففي عام ١٧٧هـ تمكن العمانيون من إعلان الاستقلال عن الدولة العباسية ومبايعة الإمام محمد بن أبي عفان. ويعد هذا الإمام أول إمام في سلسلة أئمة الإمامة الإباضية الثانية التي بدأت بمبايعته عام ١٧٧هـ واستمرت حتى عام ٢٨٠هـ عندما عادت عمان مرة أخرى إلى الدولة العباسية على يد القائد العباسي محمد بن بور زمن الحاكم العباسي – المعتضد بالله - [٢].

٣- الإمام غسان بن عبدالله اليحمدي (١٩٢هـ - ٢٠٧هـ / ٨٠٧م - ٨٢٢م)

هو الإمام غسان بن عبدالله بن أحمد بن عبدالله بن حمد بن أحمد الفجحي اليحمدي الخروصي، بويع بالإمامة عام ١٩٢ه / ٨٠٧م ، وكان في مقدمة العلماء الذين بايعوه العلامة مسعدة بن تميم، والعلامة سليمان بن عثمان[٣]، ويعد الإمام غسان ثالث إمام في الإمامة الإباضية الثانية،

(١) الأزكوي: كشف الغمة، م. س، ج٥، صص١٦٢-١٦٥. ابن رزيق: الصحيفة القحطانية، م. س، ج٥، صص٧٨-٨٠.السالمي: تحفة الأعيان،ج١، صص٨٥- ١٠١.

(٢) ابن رزيق: الصحيفة القحطانية، م. س، ج٥، صص٨٠-٨١. السالمي: تحفة الأعيان، م. س، ج١، صص١٠٥-١٠٦.

(٣) السالمي: تحفة الأعيان، م. س، ج١، ص١٢٠. السيابي : سالم بن حمود بن شامس، عمان عبر التاريخ، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، سنة ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م، ج٢، ص٣٧. السليماني: عبدالرحمن بن أحمد بن عبدالله، مدينة نزوى في عهد الإمامة الإباضية الثانية، النادي الثقافي، سلطنة عمان، سنة: ٢٠١١م، ط١، ٩٤.

إذ سبقه الإمام محمد بن أبي عفان (١٧٧ه - ١٧٩ه / ٧٩٣م - ٧٩٥) والإمام الوارث بن كعب الخروصي (١٧٩هـ - ١٩٢هـ / ٧٩٥م – ٨٠٧م) [١].

وكان الإمام غسان أحد أركان الدولة في حياة سلفه الإمام الوارث بن كعب إذ اعتلى منصب الولاية على مدينة صحار، ومن المعلوم أن هذا المنصب كان من المناصب الكبيرة في الدولة فقد كان يطلق عليه (الوالي الأكبر)، [٢] وذلك نظرا لأهمية هذه المدينة في ذلك العصر، وعرف الإمام غسان بالحزم والعزم والعلم، فقد وطأ أثار أسلافه من الأئمة العدول، وتمكن من السير بعمان نحو الأمام، وكان له نظر ثاقب، وعزيمة ثابتة، فحين بدأ القراصنة يقتربون من المياه العمانية، وأصبحوا يشكلون عنصر تهديد لتجار عمان وتجارتها، قرر الإمام إنشاء أسطولا بحريا مجهزا بالعدة والعتاد لمقاومة القراصنة، وأشرف على هذا المشروع بنفسه، وتابعه عن قرب، إذ تذكر الروايات أنه خرج إلى صحار من أجل الوقوف بالمقربة من جيوشه في هذه المهمة ، وبهذا تمكن الإمام من القضاء على القراصنة وألحق بهم الهزائم، وطهر جميع أنحاء الخليج منهم[٣].

وحكم الإمام غسان عمان بشدة وحزم، وقضى على من كل من بغى، وسعى في الفساد، فقد أمر بقتل الصقر بن محمد بن زائدة عندما علم أنه ثار ضد الإمامة وأراد السوء والخيانة لعمان وأهلها، كما أمر بهدم بعض دور بني الجلندى عندما تيقن أنها تستخدم في إيذاء المسلمين، وتتبع عوراتهم[٤].

وازدهرت عمان اقتصاديا في عصره، فقد عرف عهده بالرخاء الاقتصادي، وعاش الناس في ثراء ونعمة، فقد ظلت عمان خصبة لفترة طويلة في عهده، فظهر الاهتمام بالزراعة،

---

(١)لمزيد من المعلومات عن الإمام محمد بن أبي عفان والإمام الوارث الرجوع إلى : الأزكوي: كشف الغمة، ج٥، صص١٦-١٦٧. السالمي: تحفة الأعيان، ج١، ص١٠٧، ص١١٢. السيابي: عمان عبر التاريخ، ج٢، ص١٨. ص٢٠.

(٢) الكندي : محمد بن إبراهيم: بيان الشرع، تحقيق: سالم بن حمد الحارثي، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، سنة: ١٩٨٤م، ج٤٨، ص٣٤١. الكندي: أحمد بن عبدالله، المصنف، تحقيق: عبدالمنعم عامر، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، سنة: ١٩٨١م، ج٣٢، ص٣٠٢، السليماني: مدينة نزوى، م. س، ص٩٥.

(٣)الأزكوي: كشف الغمة، م. س، ج٥، ص١٧٠. السالمي: تحفة الأعيان، م. س، ج١، ص١٢١. السيابي: عمان عبر التاريخ، ج٢، صص٣٨-٣٩.

(٤)الأزكوي : كشف الغمة، م. س، ج٥، صص ١٧٠-١٧١.السالمي: تحفة الأعيان، ج١، صص١٢٥-١٢٧.

والذي قابله اهتمام منقطع النظير بالتجارة، خاصة بعد أن تمكن الإمام من تأمين الطريق التجاري والقضاء على القراصنة[١].

وبلغت عمان أوجها في الجانب العلمي، إذ أصبحت مدينة نزوى كعبة العلماء، ومهوى أفئدة الطلبة، وأطلق على نزوى في عهد « بيضة الإسلام» نظرا لكثرة العلماء الذين قطنوها واستوطنوها. واستمر الإمام غسان في منصبه حتى وافته المنية عام ٢٠٧هـ / ٨٢٢م، فكانت إمامته خمسة عشر سنة وسبعة أشهر وسبعة أيام[٢]

• لمحة مختصرة عن السيرة

السيرة التي بين أيدينا تعود إلى القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، وهي تقع في تسع صفحات مخطوطة، طبقا للنسخ التي اعتمدنا عليها، وهي كالتالي: نسخة من مكتبة جامعة لفوف، الأوكرانية (The Library of the University of Lwów)، تحت رقم : (١٠٨٢II)، وهي ضمن مجموعة مخطوطة بعنوان «تِجَارَةُ العُلماء والسِّيَر العُمَانِيَّة». منسوخ سنة ١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م[٣]. والنسخة الثانية هي عبارة عن نسخة مخطوطة من مقتنيات مكتبة جامعة السلطان قابوس بسلطنة عمان[٤]. وطبعت هذه السيرة من قبل وزارة التراث والثقافة بسلطنة عمان ، وبلغ عدد صفحاتها (٢٢ صفحة) مع تحقيق بسيط من قبل سيد إسماعيل كاشف. كما اعتمدنا على الجزء الذي اقتبسه الإمام نور الدين عبدالله بن حميد السالمي من هذه السيرة، ودونه في ثنايا كتابه «تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان»، إذ أورد في كتابه المذكور جزء من السيرة المتعلقة بوضع الإمامة في عهد الإمام الجلندى بن مسعود.

أما من حيث كاتبوا هذه السيرة، فقد عاشوا في هذه الفترة الذهبية من التاريخ العماني، فهي وإن عُنوِنت بسيرة العلامة منير بن النير، إلا أنها قد كتبت من قبل أكثر من شخص، فقد جاء في سيرة :» فإني كتبت إليك وأنا ومَن قِبلي من إخوانك وأهل رعيتك من أهل خاصتك على

(١) السالمي: تحفة الأعيان، م. س، ج١، ص١٢٥. السليماني: مدينة نزوى، م. س، ص٩٦.

(٢) ابن مداد: سيرة العلامة المحقق عبدالله بن مداد، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، سنة: ١٩٨٤م، العدد٥٦ ، سلسلة تراثنا، ص٥٩. الأزكوي: كشف الغمة ، ج٥، ص١٧١. السيابي: عمان عبر التاريخ، ج٢، ص٤٦.

(٣) وقد زودني بهذه النسخة الاستاذ الباحث : سلطان بن مبارك الشيباني .

(٤) زودني بها الاستاذ الباحث : يعقوب البرواني .

مـا تحـب، والله المحمـود»[1]، ولكـن كمـا يبـدو أن العلامـة الجعلانـي كان علـى رأس هـؤلاء العلمـاء، فلعلـه كان مجتهـد عصـره وإليـه ترجـع رئاسـة العلم فـي عمـان.

إن هـذه السيرة وإن كانـت قديمـة، إلا أنهـا لا تعـد الأولـى مـن نوعهـا، فقـد اتخـذ الإباضيـة هـذا النهـج فـي مختلـف أطـوار تاريخهـم، مـن ذلـك تلـك الرسـالة التـي بعـث بهـا الإمـام أبـو عبيـدة مسلم بـن ابـي كريمـة ومـن معـه مـن مشـائخ البصـرة، إلـى الإمـام طالـب الحـق عبدالله بـن يحيـي الكنـدي

(ت : ١٣١هـ) [2] ، ورسـالة مـن الإمـام أبـي عبيـدة أيضـا إلـى تلميـذة أبو الخطـاب عبـد الأعلى بـن سـمح المعافـري حيـن بويـع الإمامـة عـام ١٤٠هـ فـي بـلاد المغـرب، غيرها[3].

وبصـورة عامـة فإنـه يمكننـا أن نسـتخلص ثـلاث أفكـار رئيسـية ناقشـتها هـذه السـيرة وهـي كمـا يلـي :

١. الأولى: نصح للإمام غسان بن عبدالله، وتذكيره بما كان عليه السلف الصالح.

٢. الثانية: تردي أوضاع الناس حين تسقط الإمامة ويحل محلها حكم الظلمة.

٣. الثانية : ذكر ما كان عليه الإمام الجلندى وأتباعه من الصلاح والهدى .

وقـد نـوّع العلامـة المنيـر بـن النيـر فـي نصحـه وأبـدع، وانتقـى الكلمـات انتقـاءا فريـدا مـن نوعـه، فجـاءت نصيحتـه متصفـة باللين الممـزوج بالإخـلاص، المقـرون بإعطـاء الأمثلـة والنمـاذج الرائعـة مـن سيرة السـلف الصالـح، وكأن لسـان حالـه يقـول: إن أردتـم الخيـر والسـير فـي طريـق الهـدى فالمثـال بيـن أيديكـم وعلـى أرضكـم ومـن بنـي جلدتكـم، الإمـام الجلنـدى بـن مسـعود ومـن كانـوا معـه.

بـدأ نصحـه بالدعـوة إلـى تقـوى الله " وأوصيـك ونفسـي بتقـوى الله الـذي خلقـك فبـرأك فـي خلقـك،

---

(١) انظر البحث، ص٢٧.

(٢) الندابي: ناصر بن علي ، الإمامة الإباضية في اليمن وامتداد نفوذها إلى الحجاز ، رسالة ماجستير للباحث في مجال التاريخ، من جامعة السلطان قابوس، سلطنة عمان، بحث غير منشور ، ص.٦٤

(٣) الندابي : ناصر بن علي ، العلاقة الثقافية والاجتماعية بين عمان وبلاد المغرب في العصر الإسلامي الوسيط، جامعة مولاي إسماعيل، المملكة المغربية، رسالة دكتوراة في التاريخ الإسلامية غير منشورة، ص٢٠٣.

ورزقك فلم يرزقك معه رازق"[1]، وقد كرر هذه النصح نفسه في ثنايا السيرة «فعليك بتقوى الله واتباع طاعته التي وصف بها أولياءه»[2] وختم بها السيرة ايضا حين قال : « فاتق الله وردّ الأمور عن الجور والعدوان إلى قصد السبيل»[3]. ثم عرج إلى تذكير الإمام بنعم الله عليه حين قال :

« وأنعم عليك نعما ظاهرة وباطنة في خصال شتى يعجز عنها الإحصاء ، ويضعف عنها الشكر إلا ما وفق الله من الخير وحمل عليه من مكروه الطاعة، وذلك بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم»[4]. كما دعاه إلى عدم الركون إلى الناس واتباع أهوائهم، بهدف إرضاءهم والتقرب منهم، وخوّفه من مغبة اتباع هذا الطريق» واعلم أن الوهن والتقصير وتألف الناس على ما لا يوافق الحق لا يزيد في الرزق ولا يمد في العمر ولا يزيد لأهله إلا مقتاً ووهناً وخساراً»[5].

وكما يبدو من السيرة فإنها كتبت ردا على رسالة بعث بها الإمام إلى شخص المنير بن النير، يدعوه للقدوم إليه «أتاني كتابك تحثني على الإقبال إليك»[6]، ليكون سندا للإمام وعونا، ولتستفيد منه دولة الإمامة، وخاصة كونه قد عاصر الإمامة الأولى، وقد أوضح له المنير أنه أحرص على هذا الأمر منه، لما يرجو فيه من الخير والصلاح للدولة، « في الأمر الذي عرفت قبل اليوم رغبتي فيه وحرصي عليه للذي أرجو فيه من القوة للدين وأهله، والبركة والعذر مع الله والمسلمين، من دنا منهم أو قصى، والمناصحة لله»[7]

وتخلل السيرة إعطاء نماذج رائعة من السلف الصالح، لتكون نبراسا للإمام، ومثالا يحتذى به، وقد نوّع في هذه الشخصيات بين أسماء بعض الصحابة، وبعض التابعين، ومجموعة من أئمة عمان وعلمائها. عمار بن ياسر، ومن أخذ أخذه من أصحاب صفين، وأصحاب النهروان، وأصحاب حروراء ، وأصحاب النخيلة، وقريب والزحاف، وأبو بلال، وعبدالله بن

---

(١) انظر البحث، ص٢٧.

(٢) انظر البحث، ص٣٠.

(٣) انظر البحث، ص٤١.

(٤) انظر البحث، ص٢٧.

(٥) انظر البحث، ص٤١.

(٦) انظر البحث، ص٢٧.

(٧) انظر البحث، ص٢٧.

يحيى، والجلندى بن مسعود، وأصحاب الخطم..» [١] وقد ركّز العلامة المنير على جانب مهم وهدف أسمى جمع بين هذه الفئات المذكورة وهو الجهاد في سبيل الله من أجل إعلاء كلمة الحق، فلم يخرجوا :» ضيم في دنياهم ، أو غضب لعشائرهم ، أو طمع لعرض الدنيا، أو حمية أو عصبية، أو على عمى أو ضلال من سيرتهم، أو إرادة الملك"[٢]. وإنما كان خروجهم:» جهاداً في سبيل الله، وابتغاء مرضاته، لا يريدون شيئاً من أعراض الدنيا ولا يخافون في الله لومة لائم، ولا يخشون الدوائر ولا يهتمون للعواقب، ولا ينزلون الناس عندهم لشرف، ولا قوة ولا أرحام، ولا قرى ولا فقه، ولا قرابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا منهم إلا بحيث أنزلوا أنفسهم من طاعة الله ومعصيته حتى مضوا لسبيلهم - رحمهم الله وغفر لنا ولهم- على الصدق والوفاء، فلنا ولكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً"[٣].

ثم بعد ذلك تعرضت السيرة لعهد الإمام الجلندى بن مسعود، والجوانب الإدارية والسياسية والاجتماعية في عهده، وكيف كان يتعامل مع فئات المجتمع وشرائحه المختلفة، وهذا الموضوع سنتناوله بشيء من التفصيل لأنه جوهر ورقتنا وغايتها.

- **التنظيمات الإدارية والسياسية والاجتماعية في دولة الإمامة من خلال هذه السيرة**

تعد إمامة الإمام الجلندى بن مسعود من أهم وأبرز الإمامات التي مرت على عمان كونها البذرة الأولى من نوعها في تاريخ المجتمع العماني، وقد كان الهدف الأول منها هو إرجاع النهج الذي سار عليه الخلفاء الراشدين، وتحكيم شرع الله في أرضه بعد أن حادت الدولة الأموية عن هذا الطريق باستثناء الخليفة عمر بن عبدالعزيز – رضي الله عنه- وأكملت هذه الطريق المعوج الدولة العباسية، فلم تكن أحسن حالا من سابقتها، فقد أهمل الحكام شرع الله وحكموا أهوائهم، وعاثوا فسادا في الأرض، وفي خضم هذه الغوغائية ظهر النموذج الناصع، الذي سعى إلى إرجاع الناس إلى الجادة وتذكيرهم بما كان عليه السلف الصالح منذ عهد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، إلى عصر الخلفاء الراشدين.

---

(١)انظر البحث، ص٣١.

(٢)انظر البحث، ص٣١.

(٣)انظر البحث، ص٣١.

وقد وصف المنير بن النير الإمام الجلندى ورجال الدولة في عهده بأحسن الأوصاف حين قال: « وعن الجلندى بن مسعود ومن معه من بوارع كل قوم وما عرفوا به من المعروف والعدل والإحسان والصدق والصبر والاقتصاد والبصيرة والمعرفة والورع والزهد والتحرج والعبادة والسمت بالحسن الجميل»[1].

ومن هذا المنطلق سنتعرض في الأسطر القادمة الوضع الذي كانت عليه الدولة في عهد الإمام الجلندى بن مسعود، وسنضيف إليه ما تعرض له المنير بن النير متحدثا عن الإمام غسان بن عبدالله، على حسب ما ورد في هذه السيرة. وهذه الجوانب هي كالتالي:

١- الجانب السياسي

إن مؤسسة الإمامة تختلف تماما عن المؤسسات والحكومات السابقة التي جثمت على صدور العمانيين ردحا من الزمن، والتي كانت تدار من قبل ولاة تابعين للدولة الأموية ثم العباسية. ولعل أهم ما يميز مؤسسة الإمامة أن إمامها يتم اختياره بالشورى، هذه الطريقة التي تجاهلها بنو أمية وبنو العباس، ضاربين بكل الآيات القرآنية ونصوص السنة عرض الحائط، متخذين من الحكم إرثا ينتقل إلى الابن بعد وفاة الأب.

ولعل من الأسباب الرئيسية في الحفاظ على مؤسسة الإمامة، وعلى هيبة الإمام ونفاذ رأيه، وحسن تدبيره تلك الفئة التي كانت بمثابة المجلس الاستشاري للإمام والتي يطلق عليها في الفكر الإباضي بأهل الحل والعقد، وقد كانوا من خيار الناس وأفاضلهم، وكيف لا تكون الدولة كذلك وهي تُقاد من قبل علمائها وخيار الناس فيها. وقد تعرضت لهم السيرة حين وصف المنير الصفات التي كانت تعرضت للصفات التي كانت تميزهم عن غيرهم فقال : "أهل فقه وأهل علم وحلم وتوددة، ووقار وسكينة ولب وعقل وبرّ ومرحمة وصدق ووفاء وتخشع وعبادة، وورع وتحرج وصلة ونصيحة ظاهرة مقبولة ، لا يطمعون بمطامع السوء ، ولا يتعاطون من الناس الحقوق، ولا يدخلون في خصومات الناس ولا يجتعلون على استخراج الحقوق ، ولا يَستَرشون على طلب الحوائج التي تعنيهم من أهل الرعية ، ولا يستفضلون في الرزق على السعة ، ولا يغتاب

---

(١)انظر البحث، ص٣٩.

بعضهم بعضاً ، ليس من شأنهم الغيبة ولا البغي ولا الحسد ولا التقاطع ولا التدابر ولا البغضة ولا شيء من أخلاق أهل الريبة ، يحرصون على ما زانهم في الدين ومع أهل الدين ويكرهون العيوب، ويهجرون أخلاق الفجور والمعاصي"[1].

فعندما نتمعن في هذه الصفات التي اتصف بها هؤلاء القوم يتبين لنا لماذا تمكن الإمام من الحفاظ على استقرار الدولة، وكانت آرائه نافذة ومسددة، فما الإمام إلا واحد من هؤلاء بل هو أفضل القوم وأحسنهم. لذلك حق للمنير بن النير أن يصفهم بقوله:» هم أنوار في الأرض غرباء في الناس ، يعرفون بسيماهم. وكيف لا يكون كذلك مَنْ باع لله نفسه ينتظر حتفها صباحاً ومساءً ؟[2]»

وبعد مبايعة الإمام الجلندى بن مسعود بالإمامة، نعمت عمان بالاستقرار والأمان، كما يتبين أنه لم تظهر على الساحة أي ثورة معارضة لحكم الإمام، كما لم تتعرض لأي غزو من الخارج طوال السنتين التي حكم فيهما الإمام (١٣٢هـ -١٣٤هـ). ونستشف هذا الأمر من خلال بقاء الجيش العماني فترة من الزمن دون أن يشتغل بالحروب مما حدى ببعض شراته أن يفكروا في الزواج وتكوين الأسر ، فمن المعلوم أن النفس البشرية لن تفكر في هذا الأمر إن كانت مشتغلة بأمر أهم وهو الجهاد في سبيل الله " غير أن رجالا منهم(الشراة)، فيما بلغنا، تاقت أنفسهم إلى النساء، فلما ذكروا ذلك استوحش منهم أئمتهم وقادتهم[3].

ويظهر لنا أيضا من خلال هذه السيرة أن هناك علاقات خارجية لإمام مع القيادة الإباضية في البصرة، وهذا دليل على أن إمامة الإمام الجلندى بن مسعود كانت بتنسيق واعداد من إباضية البصرة بزعامة الإمام أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة، ونأخذ هذا الأمر من تواصل الإمام مع علماء العراق حين رغب بعض الشراة في الزواج " أن يعرضوا أمرهم على أهل الفضل من أهل العراق"[4]. ويدل على هذا التواصل المستمر ذلكم الرد السريع الذي جاء من

---

(١)انظر البحث، ص٣٦.

(٢)انظر البحث، ص٣٦.

(٣)انظر البحث، ص٣٤.

(٤)انظر البحث، ص٣٥.

قبل علماء العراق لهذه الإشكالية المطروحة فمما جاء في رسالتهم الجوابية:» إنكم كتبتم إلينا تخبروننا عن الشراة أن أنفسهم تنازعهم إلى النساء، وهذا أمر عظيم ، غير أنهم إن لم يقدروا على الصبر فليعرض الفقير منهم نفسه على النساء المسلمات الصالحات ، فإن قبلته المسلمة بعشرة دراهم ينجزها إياها ولا يبقى لها عليه ديْن بعد العشرة فليتزوج، وإن صبر عن النساء فهو خير له»[1].

٢- الجانب الإداري

من أهم الوظائف الإدارية التي كانت موجودة في عهد الإمام الجلندى كما يظهر ذلك من ثنايا السيرة: الوالي، وقابض الصدقات، والقاضي، « لا يولون أمرهم ولا يبعثون في حوائجهم ولا يستعملون على صدقاتهم وأهل رعيتهم ولا يستقضون إلا أهل الثقة وأهل العلم والفهم والورع»[2].

- وقد وجدت شروط مشتركة لاختيار الشخص الذي سيعتلي تلك المناصب ومن أهمها أن يكون :
  - من أهل الثقة .
  - عالما فاهما.
  - من أهل الفضل الورع.
  - من ذوي المكانة والشأن في قومه .
  - غير متهم في نسبه أو عرضه ولا دعي على قومه.
  - مرضي في سيرته بين إخوانه.
  - ذو رأي نير في الحق.
  - يستخرج رأيه وأحكامه من الشرع القويم.

وقد أوضح العلامة الجعلاني هذه الصفات في قوله :" أهل الثقة وأهل العلم والفهم والورع والتحرج المعروفون بالفضل، الموصوفون بالخير من أهل البيوتات من قومهم، غير سقاط ولا

(١) انظر البحث، ص٣٤.

(٢) انظر البحث، ص٣٤.

أدعياء، ولا متهمين ولا مقترفين... لا يتعلق عليهم بالسيئات، ولا يلجأ إليهم القبيح، ولا يتهمون في دينهم، مرضيون في إخوانهم، متبع رأيهم، معروف فضلهم معروفون به . قد احتمت آراؤهم في قوة الحق، وأحكام أمور الدين.." [1].

وتعرضت السيرة لمناذج من هذه الشخصيات التي تولت هذه المناصب، ولكن مما يؤسف له أن كاتب السيرة لم يذكر قرين كل شخصية المنصب الذي كان يشغله في دولة الإمامة. وهؤلاء الأشخاص هم:

- موسى بن أبي جابر.
- الحسن بن عقبة.
- الوليد بن خالد.
- موسى بن سعيد.
- جعفر بن بشير.
- معين بن عمر.
- لوط بن سام.
- حميم بن المغيرة.
- والهماس بن مغلس.
- النير بن عبدالملك.
- عبدالله بن أُبيّ .
- عمارة بن همام.
- محمد بن عبدالله بن سوم.
- عمر بن يحيى.
- حميد بن عبدالله.
- يحيى بن يزيد.
- عمر بن عبدالله .

ولئن تعرض المنير بن النير إلى هذه الاسماء مبينا أنهم كانوا من الصفوة التي اعتلت تلك المناصب إلا أنهم ذكر أنهم ليسوا وحدهم في الساحة بل هناك آخرون أمثالهم، وما ذكره لهؤلاء إلا من باب إعطاء نماذج لهم ليس إلا ويظهر ذلك من قوله : «وضرباؤهم من الناس»[2].

وتعرضت السيرة لجانب آخر من الجوانب الإدارية الممزوجة بالجانب الديني، وهي مسألة الصدقات والجزية، فالصدقات تؤخذ بحقها وتوضع في مواضعها، وهذا الأمر هو الذي ساعد على استقرار المجتمع ووحدته، فالفقير يعلم علم اليقين أن حقه من الزكاة سيصله حتما، والغني قد أيقين ووثق في مصداقية مؤسسات الإمامة التي على رأسها أفاضل المجتمع وخياره

(١)انظر البحث، ص ٤٢.

(٢)انظر البحث، ص ٣٣.

وعلم أن صدقته أو زكاته ستصل إلى مستحقيها. «بل أخذوها بحقها بعد إحكام الأمور التي تعنيهم في دين الله وأهل الرعية، ثم وضعوها في مواضعها، وقسموها على أهلها بحكم القرآن، فريضة من الله والله عليم حكيم»[1].

ويتجلى لنا من السيرة الأسلوب الإداري العادل المبني على الصدق والإنصاف، المتمثل في إنصاف المسلم، فالإمام لم يكن يأخذ الصدقة أو الزكاة من الناس إلا إن تأكد لديه مقدرة الدولة على حمايته والذود عن عرضه، والحفاظ على ماله ونفسه وعياله. «ولم يستحلوها من الناس على غير الإثخان في الأرض والحماية والكفاية والمجاحشة عن حريم المسلمين»[2].

ولذلك نجدهم يترفعوا عن مطالبة الصيادين ومرتادي البحر من المسلمين أو غيرهم بالصدقة أو الزكاة أو الجزية(لأهل الذمة) لأنهم لا يقدروا على حمايتهم في المسطحات المائية، إلا ما طابت أنفسهم به للدولة. « يرفضوا بصدقة البحر إلا ما طاب بأنفس الناس أن يفعلوه له لما يتخوفون من الدخل عليهم في سبيل الله إذ لم يحموه»[3].

٣- الجانب العسكري

أوضحت لنا السيرة أحد الجوانب العسكرية في عهد الإمامة، والمتمثل في فئة الشراة، هذه الفئة التي يمكن معرفة ماهيتها ودورها من خلال اسمها، فمفهوم الشراء جاء من الآيات القرآنية التالية: «إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ»[4]. وقوله عزوجل: «فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا»[5].

---

(١) انظر البحث، ص ٣٣.

(٢) انظر البحث، ص٣٣.

(٣) انظر البحث، ص٣٣.

(٤) التوبة: الاية (١١١).

(٥) النساء: الاية (٧٤).

وقوله تعالى: «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ»[1]

وقد كان هناك اهتمام منقطع النضير بهذا الفئة، فلا يسمح لأي فرد بالانخراط فيها إلا أن كان متصفا بهذه الصفات: البُعد عن الدنيا وملذاتها، والبُعد عن جمع حطامها، راغبا عن شهواتها وملذاتها، بائعا نفسه لله ولإعلاء كلمته « ليس الدنيا من ذكرهم ، ولا جمع المال من شأنهم ، ولا الشهوات من حاجاتهم. وكيف لا يكون ذلك كذلك من باع لله نفسه ليجود بها على ترك الدنيا ويزهد بما فيها !!» [2]. ولم يتوقف الحد عند هذا ، إذ أن هذه الصفات قد يتصف بها أي فرد سواء من الشراة أم من غيرهم، ولكن الشرط الذي ميز هذه الفئة عن غيرها، وجعلها فعلا قادرة على المقاومة في أحلك الظروف، والتضحية بنفسها رخيصة في سبيل الله، هو الإيمان المحض بمبدأهم. ثم قانون عدم السماح لهم بالزواج وتشكيل الأسر، هذا القانون الذي جعلهم لا يفكرون في شي من هذه الحياة الدنية قد يخسرونه أو يحسبون حسابه، فمن المعلوم أن الانتصار على فرد ليس لديه شيء يخسره في هذه الحياة يعد ضربا من المستحيلات. ولذلك استنكر العلماء عليهم أيما استنكار حين ذكر أن بعضم تاقت أنفسهم للزواج: «غير أن رجالا منهم، فيما بلغنا، تاقت أنفسهم إلى النساء، فلما ذكروا ذلك استوحش منهم أئمتهم وقادتهم»[3].

ويتبين من خلال هذا النص أن هؤلاء هم نواة الجيش العماني في ذلك العصر، ويظهر أيضا أنه لم يكن هدف الواحد منهم المال الذي يأخذه من الدولة جراء انضمامه إلى الجيش، لأنه كان مبلغا زهيدا جدا في ظل ارتفاع الأسعار وغلاء للمعيشة، « وكان المرء يرزق منهم في الشهر سبعة دراهم في غلاء من السعر فيصبر على القوت اليسير رغبة في الآخرة والثواب من عند الله، وقد بلغنا أنه ربما بقي مع الرجل منهم الدرهم والدرهمان فيتطوع بذلك الفضل فيرده في فيء المسلمين»[4]، ويبدو أن الدولة كانت تمر بوضع اقتصادي سيء، ولهذا لجئت إلى هذا الأسلوب الذي يعد حلا مناسبا لتأمين حمايتها وتجهيز جيشا مستعدا للمقاومة بروح معنوية عالية،

---

(١)البقرة: الآية (٢٠٧).

(٢)انظر البحث، ص ٣٤.

(٣)انظر البحث، ص٣٤.

(٤)انظر البحث، ص٣٥..

دون أن يشكل ذلك إرهاقا لخزينتها المالية.

ولقد كان هناك إحساس مشترك بهذه الأزمة المالية عند الحاكم والمحكوم عند القائد والمقود، فكان الشاري يعتبر نفسه جزء من هذه الحكومة، فلا بد أن يقف مع الإمام في كل ظروفها، فقد كان هناك ولاء عظيم للإمام ومؤسسات الإمامة، تمثل في تبرع هذا الجندي الشاري بجزء من راتبه الزهيد الذي يتقاضاه نهاية كل شهر، فلم يفكر في نفسه فحسب بل كان هم المجتمع شاغل باله : «وقد بلغنا أنه ربما بقي مع الرجل منهم الدرهم والدرهمان فيتطوع بذلك الفضل فيرده في فيء المسلمين»[1]

أما من حيث التنظيم العسكري الرائع الذي ابتدعته الإمامة في إدارة هذه الفئة، فقد كان مثالا ونموذجا رائعا، ذكره المنير بن النير من أجل أن يقدم للإمام غسان أسلوبا ناجحا مجربا في عصر سلفه وسابقه الإمام الجلندى بن مسعود، وقد تمثل هذا النظام في الآتي: قسّم الإمام فئة الشراة إلى مجموعات كل مجموعة يتراوح عدد أفرادها بين المائتين والثلاث والأربع مائة، وعلى رأس كل مجموعة قائد عام، ثم قسّم كل مجموعة من هذه المجموعات الكبرى إلى فئات صغيرة، كل فئة تضم عشرة أفراد، ثم جعل على كل عشرة قائد لهم.: «على مائتين من الشراة إلى ثلاثمائة إلى أربعمائة قائد من أهل الفضل والحجة والبصيرة والثقة والمعرفة والعلم والفقه والحزم والقوة ، على كل عشرة من أصحابه مؤدب»[2].

وقد تم اختيار القائد بعناية، سواء ذلك القائد العام الذي يقود المجموعات الكبرى المؤلفة من مائتين أو ثلاثمائة أو أربعمائة، أو القائد الأدنى منه والذي يقود مجموعة صغيرة لا يتعدى عدد أفرادها عن العشرة، فمن أهم الصفات التي ينبغي أن تتوفر فيه أن يكون : «من أهل الفضل والرحى، والبصيرة والثقة والمعرفة والعلم والفقه والحزم والقوة»[3]. لأن مهمتهم لا تقتصر على تدريب الجنود التدريب العسكري فحسب، وإنما هو : «مؤدب ... يعلمهم الدين ويؤدبهم على

---

(١) انظر البحث، ص ٣٥.

(٢) انظر البحث، ص٣٤.

(٣) انظر البحث، ص ٣٤.

المعروف، ويسددهم عن الزيغ، ويقيمهم على الطريقة، ويهديهم سبيل الرشاد»[1].

كذلك يمكننا أن نستشف الاهتمام الكبير الذي أولاه الإمام الجلندى بأخلاق الجند، فاختيار القائد بتلك الصفات يدل على هذا الأمر، فلم يطلق عليه المنير قائد وإنما سمّاه مؤدبا كدليل على أن مهمته الكبرى هي تأديب الجيش على الأخلاق الحميدة، وهذا الاهتمام الكبير بأخلاق الجند يدل على الحنكة العسكرية والحس الديني الذي اتسم بها الإمام، كما يدل على تمرسه وخوضه للعديد من المعارك، وخبرته الطويلة في إدارة الجنود، ومعرفته الواسعة بما قد يصدر من الجندي أثناء المعارك من أعمال قد تسيء إلى سمعة القيادة بصورة خاصة وإلى الجيش بأكمله على وجه العموم، فلطالما حذر العلماء من معرة الجيش وما قد يقوم به الجيش في حال الانتصار على الخصم، إذ قد تظهر في نفوس الجند الرغبة في الانتقام والتشفي من العدو.

٤- الجانب الاجتماعي

عند قراءة السيرة قراءة متأنية نجد أنها تعرضت لعدد كبير من فئات المجتمع وشرائحه، فقد تعرضت للعلماء، وللقضاة، وللولاة، ولقادة الجيش، وللجنود، ولجباة الزكاة والصدقات، ولأهل الذمة وللنساء، ولطبقة العامة من السواد الأعظم.

وأظهرت السيرة الكيفية المثلى في التعامل مع كافة شرائح المجتمع، من ذلك عدم أخذ الصدقة أو الزكاة منهم في حال عدم مقدرة الدولة على حمايتهم، كما بيّنا ذلك آنفا.

ومن خلال السيرة نجد أن الإمام الجلندى بن مسعود قد أقر شروطا خاصة للنساء لضبط المجتمع، والحفاظ عليه من الإنحراف، من تلك القوانين: أن طالب المرأة بمزيد من الحشمة والعفة، فأرشدها إلى تغطية جميع جسدها سوى الوجه والبنان، فأمرها بـ : «إدناء الجلابيب على النساء، ورفع الخمر فوق الأذقان، وستر النواصي، وسائر الزينة إلا الوجه والبنان"[2] ، وعندما نتمعن في هذا النص يظهر لنا الصورة والهيئة الإسلامية الحقة التي كانت تخرج بها حين تجبر على الخروج، فلا ترى أقدامها، إذ قد أدنت جلبابها إلى أسفل قدميها، ولا يرى من وجهها

(١)انظر البحث، ص٣٤.

(٢)انظر البحث، ص ٣٥.

إلا جزءا بسيط فخمارها قد أحاط بوجهها ولم يظهر منه سوى جزء بسيط، فالناصية مستترة والخمار يصل إلى الذقن. ولم يجد عذرا للمرأة الفقيرة التي قد تعتذر عن ذلك الستر بسبب قلة ما بيدها ، بأن أمرها « أن تتزر فوق درعها»[1].

ومن القوانين التي وضعها الإمام أيضا أنه نهى النساء عن الجلوس في السكك، كل ذلك من أجل الحفاظ على نزاهة المجتمع وعفة نساءه ورجاله، كما نهاهن عن الخروج وقت تساقط الأمطار، وحين اشتداد الريح، لما قد تتعرض له المرأة من إنكشاف لعورتها في هذه الظروف الاستثنائية. «ونهى النساء عن الجلوس في السكك والخروج في يوم المطر أو الريح العاصف»[2].

ووضع قوانين متعلقة بالرجال خاصة، فأمرهم برفع الذيول، وقص الشعر إذا زاد عن الحد المتعارف عليه، كذلك نهاهم عن إبداء العورة، والمتمثلة فيما فوق الركبة، والتي قد يغفل عنها الكثير من الناس، فالأمر بتقصير الثياب – رفع الذيول – لأن إطالتها مدعاة إلى التكبر والخيلاء، أما تقصير الشعر فلما في ذلك من تشبه بالنساء «ورفع ذيول الرجال وتقصير أشعارهم إذا أسبغت على العواتق... ونهي الرجال أن يبدوا ما فوق الركب» [3] ، وهذا في حد ذاته أمر في غاية الأهيمة، ففيه عدد من الجوانب التي تدل على السمو الحضاري لمؤسسة الإمامة وعلى رأسها الإمام نفسه، والرقي الفكري لشخص الإمام وحسن تدبيره، فهذه الأوامر تدل على اهتمام الدولة بجانب النظافة، والحفاظ على مظهر الرجل والتأسي بهدي المصطفى صلى الله عليه وسلم.

ومن الجوانب المهمة أيضا أن نهى المسلمين أن يتشبهوا بزي أهل الذمة، وكذلك العكس، فقد نهى أهل الذمة أن يتشبهوا بالمسلمين ويلبسوا نفس لباسهم، وهذا أمر في غاية الأهمية وهو ما يسمى في وقتنا الحاضر بالحفاظ على الهوية الوطنية، من أجل تعزيز مبدأ الوطنية في نفوس العمانيين، وتميزهم عن غيرهم من الناس الذين يشاركوهم السكنى على أرض الوطن.

---

(١) انظر البحث، ص٣٥.

(٢) انظر البحث، ص ٣٦.

(٣) انظر البحث، ص٣٦.

الخاتمة

الحمد لله على تيسيره وتوفيقه، والصلاة والسلام على الهادي المبعوث رحمة للأنام.وبعد.. بعد طفنا سوية في ربوع سيرة العلامة منير بن النير تحليلا وتفسيرا واستخلاصا للعديد من جوانب الحياة الاجتماعية والإدارية والسياسية فإننا نصل إلى نهايتها لنضع بعض النقاط التي خرجنا بها من هذا العمل، ومن أهم هذه النقاط ما يلي :

- أهمية السير في الكشف عن الكثير من الأحداث التاريخية، وبيان مدى حقيقتها.
- السير لها أهمية كبيرة في إيضاح تفاصيل الحياة الاجتماعية التي قد يغفل عنها المؤرخ .
- تعد سيرة المنير بن النير هذه الوحيدة من نوعها التي كشفت عن تفاصيل الحياة في عهد الإمام الجلندى بن مسعود.
- هذه السيرة هي من مصادر التاريخ العماني في القرن الثاني الهجري فهي تكشف عن الوضع الذي كانت فيه عمان عبر قرابة خمسين سنة من عمر التاريخ .
- السيرة أوضحت فئة الشراة ودورها في المجتمع العماني والصفات التي يتميز بها الشاري.
- السيرة كشفت لنا طريقة تعامل الإمام الجلندى مع كافة شرائح المجتمع.
- السيرة أوضحت لنا الحياة الاقتصادية التي كانت تعيشها عمان إبان إمامة الإمام الجلندى.
- السيرة أوشحت لنا دور العلماء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وحرصهم على ذلك .
- السيرة بينت لنا أنه لا عدل في الحكم، ولا مساواة ولا تطبيق لشرع الله إلا إن تركت الدولة تدار من قبل علمائها ومخلصيها.
- السيرة أوضحت لنا المستوى الحضاري الذي بلغته عمان في عهد الإمام الجلندى بن مسعود.
- السيرة اعطت لنا أساليب رائعة في إدارة المجتمع والإدارة العسكرية.
- السيرة قارنت لنا بين فترتين من فترات التاريخ عمان العريق (الإمامة الإباضية الأولى والإمامة الإباضية الثانية).

• سيرة منير بن النير الريامي الجعلاني[١]إلى الإمام غسان بن عبدالله (رحمهما الله)

بسم الله الرحمن الرحيم

سلام عليك، أما بعد فإني أحمد إليك الله[٢] وأوصيك ونفسي بتقوى الله الذي خلقك فبرأك في خلقك، ورزقك فلم يرزقك معه رازق ، وأنعم عليك نعما ظاهرة وباطنة في خصال شتى يعجز عنها الإحصاء ، ويضعف[٣] عنها الشكر إلا ما وفق الله من الخير وحمل عليه من مكروه الطاعة، وذلك بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم. وأن نسأل الله الذي له مقاليد السموات والأرض أن يفتح لنا ولك من رحمته ومفاتيح فضله، وما يبلغنا وإياك لكرامة الآخرة ويعصمنا وإياك به مما نحاذر من فتن الدنيا وشرور أهلها فإنما نحن به وله.

أما بعد، أحسن الله إليك في الأمور كلها وبارك لنا ولك في عواقبها ، فإنه ولي ذلك ومولاه والقادر أن يهب لنا ولك ما نسأله، ويبلغنا وإياك من رحمته ما لم نبلغه[٤]بهمتنا ولم نمض[٥] فيه مسألتنا . فإني كتبت إليك وأنا ومَن قِبلي من إخوانك وأهل رعيتك من أهل خاصتك على ما تحب، والله المحمود[٦]. حبب[٧] إلينا سلامتك [٨]صلاحك ورشدك ورضيك[٩]، وما زاد الله لك من مزيد رحمته

---

(١)اعتمدنا في التحقيق على السيرة الواردة في كتاب السير والجوابات الذي حقق من قبل الدكتورة سيدة اسماعيل كاشف وطبعتها وزارة التراث القومي والثقافي، واضفنا الاختلاف الوارد والزيادة التي وجدناها في مخطوطة من مقتنيات مكتبة جامعة لفوف (The Library of the Universty Of Lwow) تحت رقم : ١٠٨٢II)) وهو ضمن مجموعة بعنوان " تجارة العلماء والسير العمانية " منسوخ سنة : ١٣٣٢هـ / ١٩١٤م . وقد حصلت على هذه النسخة من الأخ الفاضل سلطان بن مبارك الشيباني وسنرمز لها بالحرف (أ) . كما قارن ما ورد في السيرة المحقق والمخطوطة بما ورد في تحفة الأعيان للإمام السالمي وسنرمز لها بالحرف (ت) . ومخطوط منسوخ من مكتبة جامعة السلطان قابوس وسنرمز لها بالحرف (ج).

(٢)في (ج) : العبارة ساقطة (سلام عليك، أما بعد فإني أحمد إليك الله)

(٣) في (ج) : (يعجز)

(٤) في (ج) : (مالم نبلغه ساعة بهمتنا ...)

(٥) في (ج) : (تمض)

(٦) في (ج) : (محموده)

(٧) في (ج) : (حببت)

(٨) في (أ) : سقطة كلمة (سلامتك).

(٩) في (أ) : (ودينك). وفي (ج) : (ورويتك)

عزيز علينا عنتك[1] وفسادك، حراص في الأمور كلها على ما يسرك من موافقة الحق ولا قوة إلا بالله.

أتاني كتابك تحثني على الإقبال إليك في الأمر الذي عرفت قبل اليوم رغبتي فيه وحرصي عليه للذي أرجو فيه من القوة للدين وأهله، والبركة والعذر مع الله والمسلمين، من دنا منهم أو قصى، والمناصحة لله والحجة على من شك وارتاب، أو عرض إلى شيء من الباطل، مع إظهار السنّة وإطفاء البدعة، ونشر المعروف ونسب[2] الدين الذي أنزل الله به الكتاب وأرسل به الرسول صلى الله عليه وسلم، ومضى عليه أئمة المسلمين وقاداتهم وخوارجهم، وما أثروا بأعقابهم من الحسن الجميل الذي زينهم الله به في الدنيا وأوجب لهم به عليه الكرامة في الآخرة، وذلك الذي طلبوا. لم يخرج من خرج منهم [3] لأعراض الدنيا وباطلها ، ولا رضوا لأنفسهم بالوهن في الدين، والتقصير عما سمى[4] أسلافهم من المبالغة في دين الله، مناصحة لله، وغيرة للدين، إذ ترك الدين وسنّة الدين وشرعة الدين. واختلفت الأهواء وتفرقت بالناس السبل فألقى الله البصر في صدورهم، فأبصروا من الحق ما جهل الناس، وعرفوا منه ما أنكر الناس، وحافظوا[5] منه على ما ضيع الناس ولزموا [6] ما ترك الناس، لا يخافون في الله لومة لائم، ولا يخشون الدوائر، ولا ينظرون في عواقب أمور الدنيا. فسار من سار منهم في دار العلانية بسيرة معروفة موصوفة منسوبة غير مخزية لهم ولا فاضحة لهم، ولا متعقب عليهم ما لا يوافق الحق ولا يواطئ رضوان الله، حتى مضوا على الصدق والوفاء وما بدلوا تبديلا. لم يزدادوا في أيام الحياة إلا زهدا بالدنيا، ورغبة في الآخرة ، قد تركوا الدنيا وراء ظهورهم، وجعلوا الآخرة بين أعينهم، للذي [7] يرجون من موعود الله الذي لا خلف له، قوله : {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ * وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ

---

(١) في (أ) : (عبثك). وفي (ج) : (عتبك)

(٢) في (ج) : (وتثبيت)

(٣) في (أ) : (لم يخرج منهم...)

(٤) في (ج) : (سمى إليه..)

(٥) في (أ) : (وحفظوا)

(٦) في (ج) : (منه ما...)

(٧) في (أ) : (للذين).

اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}[1].فشمر القوم لا يألون تنافساً وسباقاً[2] إليه مع الذي وفوا[3] الله من البيعة التي اشترى عليهم {أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ}.[4]

ثم وصف الخصال التي جرت عليها البيعة فيما بينه وبينهم، وثبتت [5]بها لهم عليه الجنة فقال: (التائبون) من كل ذنب وخطيئة وعيب وريبة [6] وعمىً وشبهة وشك وفتنة وباطل وضلال ، (العابدون) المخلصون لله العبادة لا يريدون به غير الله ولا يريدون بها إلا ما عنده، (السائحون) في الصيام والخيرات، (الراكعون) مع أهل الركوع بتمام ما فرض الله من الركوع على المصلين الصلاة، (الساجدون) الحامدون ، (الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر) ، {وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ}وسار « أهل التقية « منهم في دار التقية سيرة بيّنة معروفة غير ملبس عليهم فيها ، ولا شُكّاك ولا مرتابين، يعرفون بسيماهم وورعهم وتحريهم[7] وفضلهم الذي فضلهم الله به في الناس، وبما خصهم به دون الناس من معرفة الحق وصدق الإخاء والوفاء[8]بما كتب الله عليهم واصلون لمن وصل الله بحقه، قاطعون من عصى الله في حكمه، التراوف والتراحم فيما بينهم[9]مقبولة، كلمتهم واحدة بالحجج الواضحة على من خالف الحق ولزم الباطل. هم والناس {خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ * يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ * وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ * كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ}[10]فمنهم المشرك بالله الكافر الخارج بشركه، ومنهم

---

(١)التوبة: الأياتان (١٢٠ – ١٢١)

(٢)في (ج) : (ومساقا)

(٣)في (ج) : (وفق)

(٤)التوبة : الأية (١١١).

(٥) في (أ) : (ويثبت)

(٦) في (أ) : كلمة (وريبة) ساقطة

(٧)في (ج) : (ونجدتهم)

(٨)في (أ) : (معرفة الحق والصدق والإخاء والوفاء...)

(٩)في (ج) : (ظاهرة)

(١٠)الحج : الآية (١٩).

الحاكم بغير ما أنزل الله، ومنهم المُعين عليه، ومنهم الشاك فيه المرتاب المتحير، ومنهم المبتدع المشرع[1] في الدين ما لم يأذن به الله، الخارج من الإيمان ببدعته الداخل بها في الكفر، ومنهم ذو الطمع البائع خلافه بالثمن القليل، ومنهم الجبار الظالم المتعدي الظهير على الله باستحلال المحارم، ومنهم ذو الشهرة الذي تنازعه نفسه إلى مباشرة ما يدين بتحريمه، فكل هؤلاء يجمعهم الكفر، وبه دخلوا النار، وإن تفرقت بهم المنازل وتشتتت بهم الأهواء، فهؤلاء قد عرفهم المسلمون.[2] .

وفرقة أخرى[3] دخلوا مع المسلمين من الباب الأعظم وخرجوا من النفق الأصغر، سماهم الله المنافقين بما استحقوا به عند[4] المسلمين وأفضوا فيه إلى الله[5] ، فعظمت مئونتهم على المسلمين ، وكفى لهم بالله جازيًا بعلمه فيهم . فكل هؤلاء سقاط قد سقطوا من الإسلام، خارجون من الإيمان، داخلون في الكفر، فإنا نسأل الله أن يستنقذنا وإياكم من جميع الأخلاق الموبقة لأهلها.

ونكر الخصم الذين أبصروا سبيل الحق وعرفوا به جور الناس عنه، وأنكروا على الناس ترك ما تركوا من طاعة الله وركوب ما ركبوا من معصية الله وتضييع ما ضيعوا من حقوق الله واشتراع ما شرعوا مما لم يأذن الله به، فأنكروا ذلك وخصموا الناس بالحجج الواضحة والحق المبين ، فأفلجهم[6] الله على خصمهم في الدنيا والآخرة، وذلك قوله : {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ}[7]. فلا يهديهم لهم[8] في الدنيا ولا في الآخرة ويفعل الله ما يشاء. فبالذي أبصروا من الحق واستقاموا عليه من أمر الله من بعد البصيرة والمعرفة والتمسك بجملة الطاعة والانتهاء عن جملة المعصية، ثبت لهم الإيمان ودخلوا به الجنة. فعليك بتقوى الله واتباع طاعته التي وصف بها أولياءه . فإنا وإياك قادمون على الله ومسئولون

(١) في (ج) : (المسترع)

(٢)في (أ) اضافة كلمة (واختصموهم) وفي (ج) : (واحتموهم)

(٣)في (ج) : (وفرقة أخرى منهم دخلوا)

(٤) في (ج) : (من)

(٥)في (ج) : (وافضوا به الي الله تعالى..)

(٦)في (أ) و (ج) : (فأفلحهم)

(٧)إبراهيم : الآية (٢٧).

(٨) في (أ) : (الله). وفي (ج) : (له)

عن العمل والعمر والنعم والتقدمة ، فأعدّ واستعدّ للقاء الله ، ثم انظر[١] فيما مضى عليه أئمة المسلمين وقادتهم فإن يكن الذي مضوا عليه هو الحق فتركه ضلال، وقال الله : {فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ}[٢]

فقد بلغك إن كان بلغك الذي مضى عليه المسلمون قبلنا وقبلك، عمار بن ياسر، ومن أخذ أخذه من أصحاب صفين، وأصحاب النهر[٣]، وأصحاب حروراى ، وأصحاب النخيلة، وقريب والزحاف، وأبو بلال، وعبدالله بن يحيى، والجلندى بن مسعود، وأصحاب الخطم[٤]، فإن كانوا خرجوا من بيوتهم عن إخراج أو ضيم في دنياهم ، أو غضب لعشائرهم ، أو طمع لعرض الدنيا، أو حمية أو عصبية، أو على عمى أو ضلال من سيرتهم، أو إرادة[٥] الملك، فقد خالفوا الحق . فعند من نرجو الحق بعدهم؟! وإن كانوا خرجوا جهاداً في سبيل الله، وابتغاء مرضاته، لا يريدون شيئاً من أعراض الدنيا ولا يخافون في الله لومة لائم، ولا يخشون الدوائر ولا يهتمون للعواقب، ولا ينزلون[٦]الناس عندهم لشرف[٧]، ولا قوة ولا أرحام، ولا قرى[٨] ولا فقه، ولا قرابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا منهم إلا بحيث أنزلوا أنفسهم من طاعة الله ومعصيته حتى مضوا لسبيلهم - رحمهم الله وغفر لنا ولهم- على الصدق والوفاء، فلنا ولكم فيهم[٩] أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً .فقد بلغني أن عمار بن ياسر - رحمه الله - كان يقول لعليّ بن أبي طالب: ويلك يا عليّ ، الحق بالله قبل أن يحكم الحكمين، وذلك أنه كان يتخوف عليه الركون إلى

---

(١)في (ج) : (انظروا)

(٢)يونس : الآية (٣٢)

(٣)في (أ) : (النهروان)

(٤) في (ج) : (الحطم)

(٥)في (ج) : (وإرادة)

(٦) في (أ) و (ج) : (ينزل)

(٧) في (ج) : (بشرف)

(٨) في (أ) : (قراءة)

(٩) في (أ) : كملة (فيهم) ساقطة

الدنيا، وليس بين قوم[1]وبين الهلاك إذا أمكن لهم دينهم واستخلفوا في الأرض وأهلك عنهم عدوهم إلا أن يركنوا إلى الدنيا بما يكون فيه وهن الدين وضعف عن الحق .

وقد بلغنا عن عبدالله بن [2] الراسبي - رحمه الله- أنه[3]قال لما حكم الحكمان في دين الله قال : لا حكم إلا لله ولو حكم الحاكمون بغير ما أنزل الله، والله يقضي بالحق وهو خير الفاصلين. وبها كانت لهم الحجة على من حكم في دين الله بغير ما أنزل [4]. فأوضح الله عذرهم وأفلج[5]حجتهم وأعلى كلمتهم، وجعلها كلمة باقية، في أعقابهم موروثة عنهم، يتبع فيها من أبصر الحق سبيلهم. وبلغنا عن المرداس بن أدية - رحمه الله- ، أنه لما أراد الخروج كان ينتخب أعلام المسلمين وتقاتهم يشترط عليهم لله وللدين ولأهل الدين على الخروج في سبيل الله: إنك تخرج جهاداً في سبيل الله وابتغاء مرضاته لا تريد شيئاً من أعراض الدنيا ولا لك في الدنيا حاجة، ولا لك إليها رجعة، أنت الزاهد في الدنيا المبغض لها الراغب في الآخرة الجاهد في طلبها الخارج إلى القتل لا غيره ، فاعلم أنك مقتول وأنك لا رجعة لك إلى الدنيا، وأنك ماض أمامك لا شيء إلا[6] الحق حتى تلقى الله، فإن كنت على هذه الحال فارجع إلى ما وراءك فاقض من الدنيا حاجتك ولبانتك[7]، واقض دينك ، واستر نفسك وجد في أمرك بالفراغ، وودع أهلك وأعلمهم أنه لا رجعة لك إليهم ، فإذا فرغت بايعتك).فما سمعنا بقوم قلوا في كثرة الناس، أوفَى بيعةً ولا أمضى مقدماً، ولا أظهر ديناً ولا أوضح عذراً، ولا أفشى عدلاً ولا أكرم صبراً منهم، حتى مضوا لسبيلهم - رحمهم الله- وغفر لنا ولهم وجزاهم عن الإسلام وأهله خيراً .

وقد بلغنا عن أبي يحيى -رحمه الله- ، والمختار بن عوف، وبلج بن عقبة، وأصحابهم من

---

(١) في (ج) : (القوم)

(٢) في (أ) : (وهب)

(٣) في (ج) : (أنه) ساقطة

(٤) في (أ) : (الله)

(٥) في (أ) و (ج): (وأفلح)

(٦) في (أ) : (عن) . وفي (ج) : لا تنثني.

(٧)في (أ) : (وشانك)

مكارم الأخلاق وما ليس[1] لأحد من أهل الباطل عليهم فيه متعلق، إلا من ظلم نفسه وترك الحق ودخل في الباطل، فقد وضح عذرهم واستبان سبيلهم لمن وطئ عنهم العدل الذي أثروا بأعقابهم ، وما انتشر في البلاد من الفضل الفاخر في سيرتهم وخطبهم ، وما نشروا من المعروف حتى مضوا لسبيلهم ،- فغفر الله لنا ولهم -.[2]وعن الجلندى بن مسعود ومن معه من بوارع[3] كل قوم[4] وما عرفوا به من المعروف والعدل والإحسان والصدق والصبر[5] والاقتصاد والبصيرة والمعرفة والورع والتزاهد[6] والتحرج[7] والعبادة والسمت بالحسن الجميل. لم يأخذوا الصدقة بغير حقها ولم يضعوها في غير مواضعها[8]، ولم يستحلوها من الناس على غير الإثخان في الأرض والحماية والكفاية والمجاحشة[9] عن حريم [10] المسلمين [11]، بل أخذوها بحقها بعد إحكام الأمور التي تعنيهم في دين الله وأهل[12] الرعية، ثم وضعوها في مواضعها، وقسموها على أهلها بحكم القرآن، فريضة من الله والله عليم حكيم.

ثم بلغنا عنهم والذي[13]استقام عليه رأيهم أن يرفضوا بصدقة البحر إلا ما طاب بأنفس الناس أن يفعلوه[14] لهم [15] لما يتخوفون من الدخل عليهم في سبيل الله إذ لم يحموه ، ولا يولون أمرهم ولا

---

(١)في (أ) : (ما لبس)

(٢)في (ت) : (من هذه النقطة بدأت السيرة في تحفة الأعيان)

(٣)في (ج) : (توارع)

(٤)في (ج) : (قوام)

(٥)في (ت) : غير موجودة كلمة (الصبر)

(٦)في (أ) : (الزاهد). في (ت) : (الزهد)

(٧)في (أ) : (التخرج)

(٨)في (أ) و (ج) : (موضعها)

(٩)في (أ) : (المكافحة)

(١٠) في (أ) : (تحريم)

(١١) في (أ): توجد عبارة (ولا على غير ذيادة عن حمى الله). و (ج) : (ولا على غير الذيادة عن حما الله)

(١٢)في (أ) : (وحفظ)

(١٣)في (أ) : (فيما)

(١٤)في (أ) : (يبذلوه)

(١٥)في (أ) : (وذلك لما)

يبعثون في حوائجهم ولا يستعملون على صدقاتهم وأهل رعيتهم ولا يستقضون[١] على أهل ولايتهم ، إلا أهل الثقة[٢] وأهل العلم والفهم والورع والتحرج[٣]المعروفون بالفضل، الموصوفون بالخير من أهل البيوتات من قومهم[٤]، غير سقاط ولا أدعياء، ولا متهمين ولا مقترفين[٥] . منهم موسى بن أبي جابر، والحسن بن عقبة، والوليد بن خالد، وموسى بن سعيد، وجعفر بن بشير، ومعين بن عمر، ولوط بن سام، وحميم بن المغيرة، والهماس بن مغلس[٦]، والنير بن عبدالملك، وعبدالله بن أبيّ ، وعمارة بن همام ، ومحمد بن عبدالله بن سوم ، وعمر بن يحيى، وحميد بن عبدالله، ويحيى بن يزيد،[٧]وعمر بن عبدالله ، وضرباؤهم من الناس، لا يتعلق عليهم بالسيئات[٨]، ولا يلجأ إليهم القبيح، ولا يتهمون[٩] في دينهم، مرضيون في إخوانهم، متبع رأيهم، معروف فضلهم معروفون به . قد احتمت[١٠] آراؤهم في قوة الحق، وأحكام أمور الدين. على ماتبيّن من الشراة إلى ثلاثمائة إلى أربعمائة قائد من أهل الفضل والرحى [١١]والبصيرة والثقة والمعرفة والعلم والفقه والحزم والقوة ، على كل[١٢]عشرة من أصحابه مؤدب من أهل الفقه يعلمهم الدين ويؤدبهم على المعروف ويسددهم عن الزيغ ويقيمهم على الطريقة ويهديهم سبيل الرشاد . ليس الدنيا من ذكرهم، ولا جمع المال[١٣]من شأنهم ، ولا الشهوات من حاجاتهم. وكيف لا يكون ذلك كذلك من باع لله نفسه ليجود

---

(١)في (أ) : (يستقصون)

(٢)في (ج) : (الفضل)

(٣)في (أ) : (والتخرج)

(٤) في (ج) : (قوم)

(٥)في (أ) : (متفرقين)

(٦)(أ) : (والعماس بن مملس) وفي (ج) : (والهمام بن المعلس)

(٧)في (ت) : لا يوجد يحيى بن يزيد وانما ورد (حميد بن عبدالله بن يزيد)

(٨)في (ت) : (بالسباب)

(٩)في (ت) : (يتهموه)

(١٠)في (ت) : (احكمت) وفي (ج) : (اجتمعت)

(١١)في (ت) : (الحجا) . وفي (أ) : (والرجا) وفي (ج) : (والرحا)

(١٢)في (أ) : (له على)

(١٣)في (أ): (مال)

بها علـى تـرك الدنيـا ويزهـد بمـا فيهـا !! غيـر أن رجـالا منهـم، فيمـا بلغنـا[١]، تاقـت أنـفسـهـم إلـى النـسـاء، فلـمـا ذكـروا ذلـك استوحش منهـم أئمتهـم وقادتهـم، فلـم يكـن مـن القـوم إذ ذكـروا النـكاح نظـر إليـه دون أن يعرضـوا أمرهـم علـى أهـل الفضـل مـن أهـل العـراق . فلمـا وصـل ذلـك إليهـم فزعوا منـه وسـاءهم ذكـر[٢] الشـراة الذيـن بـاعـوا آلله أنفسـهم للنسـاء وطلـب الشـهوات، فكتبـوا إليهـم : إنكـم كتبتـم إلينـا تخبروننـا عـن الشـراة أن أنفسـهم تنازعهـم إلـى النسـاء، وهـذا أمـر عظيـم ، غيـر أنهـم إن لـم يقـدروا علـى الصبـر فليعـرض الفقيـر منهـم نفسـه علـى النسـاء المسـلمات الصالحـات ، فـإن قبلتـه المسـلمة بعشـرة دراهـم ينجزهـا إياهـا ولا يبقـى لهـا عليـه ديْـن بعـد العشـرة فليتـزوج، وإن صبـر عـن النسـاء فهـو خيـر لـه ، فـإن لـم يقـدر علـى وفـاء حقهـا فـلا يحمـل علـى نفسـه لامـرأة ولا لأحـد مـن النـاس دينـاً للـذي طـوق نفسـه مـن البيعـة وحمـل علـى نفسـه مـن الميثـاق، فلمـا عـرض القـوم أنفسـهم علـى النسـاء بذلـك الشـرط لـم يقبـل منهـم إلا قليـل منهـم، فصبـر القـوم علـى مـا لـم يقـووا لـه وقبلـوا النصيحـة واهتـدوا بهـدي أهـل الفضـل[٣] واتبعـوا أمرهـم، ولـو خالفوهـم إلـى مـا نهوهـم عنـه، وكرهـوا عليهـم مـن ذلـك مـا كان لهـم واسـعاً .وكان المـرء يـرزق منهـم فـي الشـهر سبعة دراهـم فـي غـلاء مـن السـعر فيصبـر علـى القـوت اليسـير رغبـة فـي الآخـرة والثـواب مـن عـنـد الله[٤]. وقد بلغنا أنـه ربـمـا بقـي مـع[٥] الرجل منهم الدرهـم والدرهمـان فيتطـوع بذلـك الفضـل فيـرده فـي فـيء المسـلمين -رحمهـم الله وجزاهـم خيـراً - مـع مـا أظهـروا مـن السنّة، [٦]وإدنـاء الجلابيـب علـى النسـاء، ورفـع الخمـر فـوق الأذقـان، وسـتر النواصـي، وسـائر الزينـة إلا الوجـه والبنـان، أمـا مـا وراء[٧] ذلـك فهـو حـرام علـى مـن أبـداه مـن النسـاء أو[٨] نظـر إليـه مـن الرجـال شـهوة. والنطـاق مـن تحـت الـدرع؛ إلا فقيـرة لا تقـدر علـى درع سـابغة علهـا[٩]

---

(١)في (ت) : (فيما بلغنا) غير موجودة

(٢) في (ج) : (ذك)

(٣) في (أ) : (واهتدوا بأهل الفضل) وفي (ج) : (واقتدوا هذا أعل الفضل)

(٤)في (أ) : (وكان امرأة منهم ترزق في الشهر سبعة دراهم في غلاء من السعر ، فتصبر على القوت اليسير)

(٥)في (أ) : (فضل من)

(٦)في (ت) : (والأمر بإدناء)

(٧)في (ت) : (أما ما وراء ذلك)

(٨)في (أ) : (و)

(٩)في (ج) : (فلها)

أن تتزر فوق درعها [١]ونهى النساء عن الجلوس في السكك والخروج في يوم المطر أو الريح العاصف، ورفع ذيول الرجال[٢]وتقصير أشعارهم إذا أسبغت على العواتق، والإنكار[٣] على أهل القِبلة أن يتشبهوا بزي[٤] أهل الذمة والإنكار على أهل الذمة أن يتشبهوا بزي أهل الإسلام، ونهي الرجال أن يبدوا ما فوق الركب. [٥]أهل فقه وأهل علم وحلم وتوددة[٦] ووقار وسكينة ولب وعقل وبرّ ومرحمة[٧] وصدق ووفاء[٨] وتخشع وعبادة،[٩] وورع وتحرج وصلة ونصيحة ظاهرة مقبولة ، لا يطمعون بمطامع السوء ، ولا يتعاطون من الناس الحقوق، ولا يدخلون في خصومات الناس ولا يجتعلون[١٠] على استخراج الحقوق ، ولا يَستَرشون على طلب الحوائج التي تعنيهم[١١] من أهل[١٢] الرعية ، ولا يستفضلون في الرزق على السعة[١٣] ، ولا يغتاب بعضهم بعضاً ، ليس من شأنهم الغيبة ولا البغي ولا الحسد ولا التقاطع ولا التدابر ولا البغضة ولا شيء من أخلاق أهل الريبة[١٤]، يحرصون على ما رابهم[١٥] في الدين ومع أهل الدين ويكرهون العيوب، ويهجرون أخلاق الفجور والمعاصي .

(١)في (أ) : (على درع سابغة فلها أن تبرز فوق درعها)

(٢)في (ت) : (وأمر الرجال برفع ذيولهم)

(٣) في (ت) : (وأنكر)

(٤)في (ج) : (بهدي)

(٥)في (ت) : (وكانوا أهل)

(٦)في (أ) : (تؤدة) . وفي (ت) : (تؤدة وتودد)

(٧)في (ج) : (رحمة)

(٨)في (ج) : (ووقار)

(٩)في (ج) : زيادة كلمة (وزهادة)

(١٠)في (أ) : (يختلعون)

(١١)في (أ) : (تغنيهم)

(١٢)في (ت) : (أمر)

(١٣)في (ت) و (ج) : (الشبعة)

(١٤)في (أ) : (الزينة)

(١٥)في (أ) : (مآربهم) . وفي (ت) : (آدابهم). وفي (ج) زانهم

هم أنوار في الأرض وعود[1] في الناس ، يعرفون بسيماهم. وكيف لا يكون كذلك مَنْ باع لله نفسه ينتظر حتفها صباحاً ومساءً ؟!! ليس لهم في شيء من الأمور ولا لأحد من الناس دنت رحمته[2] أو بعدت أو عظم خطره أو صغر[3]، أو ارتفع شأنه أو تواضع، هو[4] إلا ما وافق الحق مع ما لا يحصى من أخلاقهم الحسنة الجميلة التي زينهم الله بها في الدنيا، وترك عليهم الثناء الحسن الجميل في من خلف بأعقابهم[5]، حتى إذا خلفوا الدنيا وفتنتها وتركوا وراء ظهورهم ما فيها ، نزل بأقوام تسموا بعدهم بالإسلام فاعتقدوا الشرى في غير صدق أهله ، فركنوا إلى الدنيا ومال بهم الهوى إلى باطلها ، ورضوا بالحياة الدنيا من الآخرة . قال الله[6] : {فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ}[7] . فباعوا الكثير الباقي بالقليل الفاني، وصغر الدين في أعينهم وهان عليهم فأهانهم الله وأنزل بهم الخزي وألبسهم شيعاً وأذاق بعضهم بأس بعض ، فتركوا الدين ودعوة الدين وتداعوا إلى القبائل، وأدخلوا قومهم في أمرهم، ودانوا بالحمية والعصبية وعرضوا إلى أطماع الدنيا وباطلها وركنوا إلى الحياة الدنيا. فقد رأيتم[8] كيف فعل الله بهم إذ بدلوا الدين ونكثوا البيعة ونقضوا الميثاق ، هتك الله[9] سترهم وفضحهم وسفك دماءهم على البغي والضلال والعمى والحمية[10]وتواكل أهل الرجاء والتقية في الدين في أمرهم ، تركت النصائح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. قال الله[11] : {فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ}[12].

---

(١)في (أ) : (وعونا) . وفي (ت) : (غرباء). وفي (ج) : (غربا)

(٢)في (أ) : (رحمه)

(٣)في (ج) : (ضفرة)

(٤)في (ت) : (هوى)

(٥)في (ت) : (توقف عند هذه النقطة ولم يكمل بقية السيرة)

(٦)في (ج) : (الله تعالى)

(٧)التوبة : الاية (٣٨)

(٨)في (أ) و (ج) : (رأيتهم)

(٩)في (ج) : ساقطة (لفظ الجلالة)

(١٠)في (أ) و (ج) : (الحمايا)

(١١)في (ج) : (جل من قائل)

(١٢)هود : الآية (١١٦)

فلما ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بعث عليكم شراركم ، فقد رأيتم كيف دانوكم[1] وكيف كانت سيرتهم فيكم وما أظهروا في الأرض من الفساد، وتعاونهم على الإثم والعدوان، وتطاولهم على الناس بالمعاصي، حتى قطعت السبل واستحلت المحارم ونكحت الفروج حراما ، وأهرقت دماء المسلمين بغير حلها، ودخلت البيوت بغير إذن أهلها، وأكلت أموال اليتامى ظلما، وأموال الناس بالباطل، وحكم على الناس بغير ما أنزل الله، مع ما لا يحصى من جورهم وعداوتهم[2] ولؤمهم وسوء سيرتهم . لا ينظرون لدين ولا لدنيا ، ليس معهم من الدين شيء ولا من أخلاق ذوي الحفاظ ولا يغارون[3] لعربي إن اعتدى عليه علج منهم بسبيل أو حر ، ولا لعربية غلبها علج على نفسها حراماً ، حتى صار الناس لا يدرون من يثقون [4] ، إذ صارت الأمة أميرا[5] والعبد أميرا[6]، وسائر أتباعهم من أعرابي جافٍ[7] لا يعرف لأسباب الأمور طريقاً في دين الله ولا دنيا، ومقطع[8] من الناس لا يعرف له أصل ، ولا من أين مدّ إليهم بعد أن يتبع سبيلهم فهو ما من[9] الأمر في عشائرهم وأهل رعيتهم بما لا تستطيع حمله السموات ولا الأرض ولا الجبال ، وهم وأتباعهم وبنو عمهم أخبث من الأتباع وأسوأ سيرة وسبيلا .

ثم إن الله تبارك وتعالى ابتعث أقواماً من بار وفاجر فأظهرهم عليهم فأزال بهم النعل عن مملكتهم وما كانوا فيه ومكن للمسلمين دينهم الذي ارتضى لهم، وأبدلهم من الخوف

---

(١) في (ج) : (فكيف رأيتم كيف دانوكم)

(٢)في (ج) : (وعدوانهم)

(٣)في (أ) : (يعادون)

(٤)في (أ) : (يثقوى). وفي (ج) : (ما يتقون)

(٥)في (أ) : (أمينا)

(٦)في (أ) : (أمينا)

(٧)في (ج) : (عرابي حاف)

(٨)في (أ) و (ج) : (أو مقطع)

(٩)في (أ) : (ماض)

أمنـا، يبلـوا[١] بذلـك أخبارهـم ، ويمحـص بـه مـن أرادتـه ارادة الخيـر وافلـج[٢] ويمحـق الكافريـن و {قَـالَ عَسَـى رَبُّكُـمْ أَنْ يُهْلِـكَ عَدُوَّكُـمْ وَيَسْـتَخْلِفَكُمْ فِـي الْأَرْضِ فَيَنْظُـرَ كَيْـفَ تَعْمَلُـونَ}[٣] . فقـد كانـت فـي القـوم سير مـا نعرفهـا فـي الديـن ولا نقرؤهـا فـي كتـاب الله ولا نطـأ[٤] عليهـا مأثـورا مـن سـنّة نبـي الله -صلـى الله عليـه وسـلم، ولا أثـراً مـن التابعيـن بإحسـان، ولا بقـول أحـد مـن الثقـة[٥] فـي الديـن والبصيـرة فـي الأمـور، والمعرفـة بهـا ، والتحـرج عـن حـرام الله وضـع لهـم تلـك السـير ، ولا كتبهـا لهـم ولا دلَّهـم عليهـا . فقـد اعترضـت الأمـور [٦] وأخـذت بغيـر الحـق واسـتحلت الغنائـم مـن أهـل القبلـة ، وأخـذت لأقـوام[٧] أيديهـم مـا ادعـوا مـن الحقـوق بغيـر حكـم ، وأحرقـت المنـازل واشـتريت الامتعـات، ولا بقـول احـد مـن الثقـة[٨]، واسـتعمل السـفهاء واعتقـد الشـر[٩] لعـرض الدنيـا وباطلهـا فـي غيـر صـدق ولا حسـن سـمت، انتهكـوا فيـه مـا زجـر عنـه غيرهـم مـن نـكاح النسـاء بالكـذب وموعـود الباطـل حتـى استحلت فـروج النسـاء بمـا يعـاب علـى اليهـود والنصـارى، فمـن[١٠] بعدهـم مـن أهـل الكفـر والمعاصـي. وبعـث فـي الصدقـات غيـر أهـل الثقـة، واسـتعمل أقـوام أنفسـهم بغيـر إذن الأئمـة فـي طلـب الدنيـا والحـرص علـى جمعهـا، وأخـذت الصدقـات بحقهـا وبغيـر حقهـا، وقسـمت فـي غيـر أهلهـا، وقـال الله : {إِنَّمَـا الصَّدَقَـاتُ لِلْفُقَـرَاءِ وَالْمَسَـاكِينِ وَالْعَامِلِيـنَ عَلَيْهَـا وَالْمُؤَلَّفَـةِ قُلُوبُهُـمْ وَفِـي الرِّقَـابِ وَالْغَارِمِيـنَ وَفِـي سَـبِيلِ اللَّهِ

---

(١)في (أ) و (ج) : (يتلو)

(٢)في (أ) و (ج) : (منهم)

(٣)الأعراف : الاية (١٢٩)

(٤)في (ج) : (يطأ)

(٥)في (أ) و (ج) : (ولا نقول أن أحد من أهل الثقة)

(٦)في (أ) : هذه الجملة ساقطة (والمعرفة ... اعترضت الأمور)

(٧)في (ج) : (الأقوام)

(٨)في (أ) و (ج) : هذه الجملة ساقطة (ولا بقول أحد من الثقة...)

(٩)في (أ) و (ج) : (الشراء)

(١٠)في (ج) : (فيمن)

وَابْـنِ السَّـبِيلِ فَرِيضَـةً مِـنَ اللهِ وَاللهُ عَلِيـمٌ حَكِيـمٌ}[1]

غيـر أنـه قـد اسـتقام الحديـث علـى تـرك سـهم المؤلفـة قلوبهـم وسـهم المسـاكين مـن أهـل الكتـاب، وأمـر النبـي صلـى الله عليـه وسـلم أن يـرد عليهـم مـن الجـزء الـذي يؤخـذ مـن أغنيائهـم. واسـتقام قسم الصدقـات علـى سـتة أسـهم للفقـراء سـهم، وسـهم للعاملـين عليهـا، وسـهم فـي السـبيل، وسـهم لأبنـاء السـبيل، وسـهم فـي الرقـاب، وسـهم للغارميـن. فمـن شـهد الصدقـة فيمـا بيـن الثمرتيـن، مـن ابـن سـبيل أو غـارم أو شـارع في رقبـة [2] علـى قـدر غرمهـم وضعفهـم وبعـد سـعيهم[3]، فـإن فضـل مـن هـذه السـهام[4] شـيء إلـى دراك ثمـرة أخـرى، ردّ الفضـل فقسـم علـى ثلاثـة أسـهم: للفقـراء سـهم وفـي السـبيل سـهمان . فتـرك ذلـك وجمـع فـي ثلاثـة أسـهم غيـر مـا فـرض الله فـي كتابـه .وذهـب بصدقـة البحـر رأسـاً فحرمهـا الفقـراء، وابـن السـبيل، والغارميـن، وفـي الرقـاب. وصدقـة البحـر والسـواحل لا تحـل علـى غيـر الحمايـة والكفايـة والذيـادة عـن حمـى الله ،وخمسـون علجـاً فـي مركبيـن قطعـوا سـبيل البحـر فيمـا بيـن البصـرة وغـروب عمـان، وجاسـوا سـرب أهـل البـر وأخرجوهـم مـن صياصيهـم ومعايشـهم ومنافعهـم ، والسـعاة فـي الصدقـات رصـداً لهـم إنمـا ينظـرون مـا صفـا[5] لهـم فيأخـذون منـه الصدقـة ويتركـون مـا كـدر عليهـم . و [6] سـلب العـدو وسـبي وقتـل لا يطلبهـم طالـب ولا يتهيـأ [7] لهـم منهـى[8] ، ولا ينفـق فـي طلبهـم مـال، ولا تبـذل فيـه قـوة، ولا يوجـف عليهـم خيـل ولا ركـاب[9] مصنعـة[10] السـواحل مـن عسـاكر المسـلمين مرغـد

---

(١)التوبة : الاية (٦٠)

(٢)في (ج) : (اعطوا)

(٣)في (ج) : (سقيهم)

(٤)في (ج) : (السهام الثلاثة)

(٥) في (ج) : (صفي)

(٦)في (أ) و (ج) : (وقد سلب)

(٧)في (أ) و (ج) : (ينهينا)

(٨)في (ج) : (منتهى)

(٩)في (أ) : (ولا مصنعة)

(١٠)في (ج) : (ولا ركاب مضيعة)

[1] حماه الله أن يذاد عنه[2]، وإنما الجهد والعمل في طلب جمع الصدقات لتوكل بغير حقها، واحد يرزق ثلاثين كل شهر وآخر عشرين وآخر عشرة. والبقية كل واحد عشرة لا يزاد[3] عليها . وذلك أن الرجل والنفر من الشراة يبعثون إلى بلد من غروب[4] عُمان أو شروقها[5] فيكرون[6] أو يزاد لهم في الرزق ، فيرون[7] تلك الزيادة الذين خرجوا ، زعموا جهاداً في سبيل الله وابتغاه مرضاته !! ويطلب المرء البيعة على الشراء وعليه عشرة دينا أو أقل أو أكثر فيكره حتى يقضي دَيْنه ، فيذهب فيقضي ما كان عليه ثم يبايع على الشرى ، حتى إذا اعتقد عليه الشرى عمد إلى امرأة غنية فقبل لها بثمانين نخلة وشربها[8] وثلاثمائة درهم أو أقل أو أكثر وبأربعة وصفا ، وليس وراء ظهره شيء فمضى لهم ذلك وتركوا عليه، ولم ينزلوا حيث أنزلوا أنفسهم ، فما حرّم عليهم دين عشرة دراهم قبل الشراء و[9] أحل له قيمة ثلاثة آلاف درهم أو أكثر بعد الشراء، مع أشياء لا تحصى من رغبة أنفسهم وشحها واختلافهم فيما بينهم وتشتيت أهوائهم وقلة بصرهم وشدة عماهم، وأخذ القربان من الناس، الفقير منهم والغني، من بعد أن يفرض[10] عليهم دراهم ثم يؤاخذوا بها جبراً ، وأخذ أقوام الحقوق لأنفسهم بلا وزن يعرف ولا عدد يحصى ولا كيال ولا قيمة ولا بصيرة الا الحراف[11] على الظن والهوى، فهل لهذا مدة أو انصرام، أو يعرف ميقات هذا وغايته ؟! فانظر رحمك

---

(١)في (أ) : (من عد). وفي (ج) : (من عد حما الله)

(٢)في (ج) : (أن لا يذاد عنه)

(٣)في (أ) : (يزال) . وفي (ج) : (والتقية لعله أراد والنفقة ...)

(٤)في (أ) : (غرب)

(٥)في (أ) ، (ج) : (شرقها)

(٦)في (أ) : (فيكرهون)، وفي (ج) : (فيكرون لعله أراد فيكرهون)

(٧)في (أ) و (ج) : (فيرشون)

(٨)في (أ) و (ج) : (وشربها)

(٩) في (أ) : (أو أحل)

(١٠) في (أ) : (يعرض)

(١١) في (أ) : (الجزاف)

الله فيما كتبت إليك به، فإن يكون الذي عبت من هذا ونقمت عيباً أو نقماً تبصر[1] وجهه فاتق الله وردّ الأمور عن الجور والعدوان إلى قصد السبيل، فإنه خير لك في المعاد وأوضح لعذرك وأوفق للحق معك. واعلم أن الوهن والتقصير وتألف الناس على ما لا يوافق الحق لا يزيد في الرزق ولا يمد في العمر ولا يزيد لأهله إلا مقتاً ووهناً وخساراً . وإني لخائف إن لم تقبلوا الذي ساق الله إليكم بشكر، وتأخذوه بقوة وتمضوا فيه لأمر الله، وتعملوا فيه بفرائض الله، أن تكون عاقبة ترك ما تركتم وتضييع ما ضيعتم منه ووهن وهنتم منه ، ذلا وصغاراً، وأن يكون الذي نقمت وعبت ليس بعيب وهو لكم واسع في الدين، فاكتبوا إلينا ببيان توسيعه في كتاب الله وسنّة نبيّه وسنن المسلمين قبلنا، فإنه يوطأ ما أثرنا بأعقابنا كما وطئنا عن القوم الذين خلوا قبلنا ما أثروا لنا بأعقابهم .

واعلم أن الذي كان مما كتبت إليك به ونقمت وعبت ردّ عنا هداة المسلمين من اليمن وخراسان وغيرهم وحولهم[2] ان أنكروا ما لا يعرفون، والذي أنكروا إن شاء الله منكر فإن عرفت صوابه ووثقت من نفسك ومن أتباعك ووزرائك بالاستقامة عليه، فالتوبة خير لنا ولكم من الإصرار على الذنوب والمضي على القبيح ، والله يحب التوابين ويحب المتطهرين.

وإن استقام على المسير معك في الأرض على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فابدءوا بمن معكم ممن تعرفون خطأه وسوء سيرته من سائر وقاعد، فاعملوا فيه بالصلاح ومراجعة الحق وترك الباطل. وإياك أن تكثر بمن يشين[3] ولا يزين ، ويفسد ولا يصلح، فإنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين . نسأل الله أن يتولانا وإياك بما تولى به المتقين، وأن يردنا وإياكم إلى الحق [4]وأهل الحق، ويجمعنا وإياك عليه، ويهدينا وإياك لما اختلف فيه من الحق بإذنه ، إن الله رءوف رحيم.

---

(١)في (أ) : (ببصرة)

(٢)في (ج) : (وحق لكم)

(٣)في (ج) : (يسير معك)

(٤) في (ج) : (وإلى أهل الحق)

فـإذا اسـتعنتم[١] أنفسـكم ومـن معكـم واسـتقامت أموركـم علـى مـا مضـى عليـه مـن كان قبلكـم مـن أسـلافكم، واسـتقام علـى المسـير مبـارك[٢] بـن جعفر،وسـليمان بـن عثمـان، والحكـم بـن بشـير، ومسـعدة بـن تميـم، والأزهـر بـن علـي، وعلـي بـن عـزرة، وجعفـر بـن زيـاد، وعبـدالله بـن أبـي قيـس، وعبـدالله بـن نافـع، ورايـس بـن يزيـد[٣]، وأبـو مالـك بـن هزبـر، والأشـعث بـن محمـد، والأزهـر بـن عبدالملـك، وعبدالعزيـز بـن عبدالرحمـن، وضرباؤهـم مـن المسـلمين فاكتـب إلينـا فيأتيـك مَـنْ أحببـت منـا وكـرامة لــك ونـعم[٤]عيـن، فـإن عرفتـم حقـه ورفضتـم بـه ، فكيـف تدعـون النـاس إلـى الحـق وأنتـم تاركـون !! وإن كـره النفـر الذيـن سـميت لـك فـي الكتـاب السـير[٥] فنحـن أضعـف عنـه وأبعـد داراً وأكثـر دينـا ، وأشـد حاجـةً إلـى المقـام فـي صنعتنـا[٦] ومعايشـنا ، ولـو خلونـا مـا سـرنا[٧]إلا معهـم وإن عرفنـا فضلـه، لأنـا نرهـب تغيّـر النـاس وشـرورهم[٨] فذلـك الـذي يردعنـا عـن المسـير وإن كنـا عنـه ضعفـاء ، عافانـا الله وإيـاك والسـلام عليـك ورحمـة الله وبركاتـه .(تمـت الرسـالة) [٩]

---

(١)في (أ) : (استقمتم) وفي (ج) : (استعتبتم)

(٢) في (ج) : (منازل)

(٣) في (أ) : (نويد) وفي (ج) : (راشد بن يزيد)

(٤) في (أ) : (ونعمة)

(٥)في (ج) : (المسير)

(٦) في (أ) و (ج) : (ضيعتنا)

(٧)في (ج) : اضافة هذه العبارة (تمت الرسالة)

(٨) في (ج) : (وسرورهم)

(٩) في (ج) : (وحق لكم)

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.

٢. الأزكوي: سرحان بن سعيد، كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة، تحقيق: محمد حبيب صالح، محمود بن مبارك السليمي، وزارة التراث والثقاف، سلطنة عمان، سنة: ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م، ط١.

٣. البطاشي: سيف بن حمود بن حامد، اتحاف الأعيان في بعض تاريخ علماء عمان، مكتب المستشار الخاص لجلالة السلطان قابوس للشؤون الدينية والتاريخية، سلطنة عمان، سنة: ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، ط٢.

٤. الجعلاني : المنير بن النير، سيرة العلامة المنير بن النير إلى الإمام غسان بن عبدالله، نسخة من مخطوطة من مقتنية من مكتبة جامعة لڤوف، الأوكرانية (The Library of the University of Lwów)، تحت رقم : (II١٠٨٢)، وهي ضمن مجموعة مخطوطة بعنوان «تِجَارَةُ العُلماء والسِّيَر العُمَانِيَّة». منسوخ سنة ١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م.

٥. الجعلاني: المنير بن النير : نسخة من مخطوط سيرة العلامة المنير بن النير إلى الإمام غسان بن عبدالله، نسخة من مقتنيات مكتبة جامعة السلطان قابوس ، سلطنة عمان .

٦. الراشدي: مبارك بن عبدالله بن حامد، الإمام أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي وفقه، سلطنة عمان، سنة: ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م، ط١.

٧. ابن رزيق: حميد بن محمد، الصحيفة القحطانية، تحقيق: محمد حبيب صالح، محمود بن مبارك السليمي، علال الصديق الغازي، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، سنة: ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م، ط١،

٨. ---------: الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيدين، تحقيق: عبدالمنعم عامر، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان سنة: ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م، ط٥ .

٩. السالمي: عبدالله بن حميد ، تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، مكتبة مسقط، سلطنة عمان، سنة: ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

١٠. السعدي: فهد بن علي بن هاشل، معجم الفقهاء والمتكلمين الإباضية، (قسم

المشـرق)، مكتبـة الجيـل الواعـد، سـلطنة عمـان، سـنة: ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، ج٣.

١١. السـليماني: عبدالرحمـن بـن أحمـد بـن عبـدالله، مدينـة نـزوى فـي عهـد الإمامـة الإباضيـة الثانيــة، النــادي الثقافــي، سـلطنة عمـان، سـنة: ٢٠١١م، ط١

١٢. السيابي : سـالم بـن حمـود بـن شـامس، عمـان عبـر التاريـخ، وزارة التـراث القومـي والثقافـة، سلطنة عمـان، سنة ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م

١٣. العوتبـي: أبـو المنـذر سـلمة بـن مسـلم ، الأنسـاب ، تحقيـق: محمـد إحسـان النـص، وزارة التـراث والثقافـة، سـنة: ١٤٢٧ه/ ٢٠٠٦م، ط٤، ج١، ص٢٦٨ .ج٢.

١٤. الكنـدي : محمـد بـن إبراهيـم: بيـان الشـرع، تحقيـق: سـالم بـن حمـد الحارثـي، وزارة التـراث والثقافـة، سـلطنة عمـان، سـنة: ١٩٨٤م.

١٥. الكنـدي: أحمـد بـن عبـدالله، المصنـف، تحقيـق: عبدالمنعـم عامـر، وزارة التـراث والثقافـة، سـلطنة عمـان، سـنة: ١٩٨١م،

١٦. مجموعـة مؤلفيـن: السير والجوابـات، تحقيـق: سـيدة إسـماعيل كاشـف، وزارة التـراث القومـي والثقافـة، سـلطنة عمـان، سـنة: ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م ، ط٢.

١٧. ابـن مـداد: سـيرة العلامـة المحقـق عبـدالله بـن مـداد، وزارة التـراث والثقافـة، سـلطنة عمـان، سـنة: ١٩٨٤م، العـدد٥٦ ، سلسـلة تراثنـا.

١٨. الندابـي: ناصـر بـن علـي ، الإمامـة الإباضيـة فـي اليمـن وامتـداد نفوذهـا إلـى الحجـاز، رسـالة ماجسـتير للباحـث فـي مجـال التاريـخ، مـن جامعـة السـلطان قابـوس، سـلطنة عمـان، بحـث غيـر منشـور.

١٩. الندابـي : ناصـر بـن علـي ، العلاقـة الثقافيـة والاجتماعيـة بيـن عمـان وبـلاد المغـرب فـي العصـر الإسـلامي الوسـيط، جامعـة مـولاي إمسـاعيل، المملكـة المغربيـة، رسـالة دكتـوراة فـي التاريـخ الإسـلامية غيـر منشـورة.

٢٠. هاشـم: مهـدي طالـب: الحركـة الأباضيـة فـي المشـرق العربـي، دار الحكمـة، لنـدن، سـنة: ٢٠٠٩، ط٣،

الأخلاق والقيم في السّير الإباضية
كتاب طبقات المشايخ بالمغرب للدرجيني نموذجا

د. يحيى بن بُهون حاج امحمد
أستاذ محاضر بجامعة غرداية/الجزائر
yahiabenbouhoun@yahoo.fr

الملخص

لقد كان من سير "العزّابة" ولا يزال العناية الكبرى بالأخلاق والقيم، أين تتجلى أسمى معاني القدوة الحسنة في المجتمع، وإليهم يُشار بالبنان في كل مكان وزمان؛ ومما اشتهر به "العزّابة" التورع عن ما في أيدي الناس، والأكل من عرق الجبين، والزهد عن الكماليات ومُتع الحياة الزائفة...؛ ومن فضائلهم أيضاً إجلال أهل الحق والتقى، وعدم موالاة من حاد الله ورسوله، وأنهم ينقطعون للعلم والمطالعة معظم أوقاتهم، ويقومون على رعاية شؤون الخلق ويحسنون حتى لمن أساء إليهم...؛ إلى غير ذلك مما يُبرز القيم المثلى والصفات الفضلى في معاملاتهم ومعاشرتهم للناس، وهم في ذلك من قبس القرآن يستوقدون ومن أنوار النبوة يستهدون.

وقد أوردت كتب السّير الإباضية أخباراً كثيرة ومواقف عديدة تصف أخلاق وشيم "العزّابة"، ومن أهم تلك التآليف والمصنّفات نجد كتاب "طبقات المشائخ بالمغرب" لأبي العباس أحمد بن سعيد للدرجيني (ت: ٦٧٠هـ)، الذي يعدّ أحد أهم مصادر السّير الإباضية وأشرفها، وهو حافلٌ بذكر أخبار السلف الصالح من أهل الدعوة والاستقامة، ومع مرور الزمن وتبدّل الطبائع تزداد حاجة بني الإنسان عموماً والمسلمين خصوصاً إلى التمسك أكثر وأكثر بالقيم والفضائل كي تستقيم شؤون حياتهم التي تتسارع وتيرتها يوماً بعد يوم؛ وفي ذلك يسعى "العزّابة" إلى غرس القيم والفضائل في نفوس الشباب والناشئة؛ انطلاقاً من تجسيد القدوة الحسنة وتدريس كتب السّير واستخراج ما فيها من الرقائق والأخلاق بما يعزز في نفوس الناشئة قيم التواضع والعفاف والرغبة في طلب العلم... إلخ؛ والدعوة إلى كل ما يُحيي القلوب ويربط ماضي السلف بحاضرنا

اليوم ويستشرف المستقبل الواعد بحول الله.

من هنا جاءت فكرة هذا البحث والذي تتلخص أهم محاوره حول النقاط الآتية، وهي:

١- الملخص.

٢- الدرجيني حياته وآثاره.

٣- بين يدي كتاب "طبقات المشائخ بالمغرب".

أ- موضوع الكتاب وأبوابه.

ب- منهج المؤلف في الكتابة.

ج- القيمة العلمية للكتاب.

٤- الأخلاق والقيم في كتاب طبقات المشائخ.

٥- نماذج من سيرة العزّابة في كتاب طبقات المشائخ.

٦- ما يستفاد من ذكر مجموعة القيم والأخلاق.

٧- الخلاصة والتوصيات.

٨- قائمة المصادر والمراجع.

- **الدرجيني حياته وآثاره**

هو أحمد بن سعيد بن سليمان بن علي بن يخلف الدرجيني (أبو العباس) (توفي حوالي: ٦٧٠هـ/ ١٢٧١م)؛ من أشهر علماء درجين ببلاد الجريد، جنوب تونس، واحد من العلماء الخمسة في سلسلة نسبه، كلُّهم علماء نحارير.

تلقَّى تعلُّمه الأوَّل بدرجين، ثمَّ رحل إلى وارجلان سنة ٦١٦هـ/ ١٢١٩م، وأخذ العلم عن الشيخ أبي سهل يحيى بن إبراهيم بن سليمان لأعوام، ثمَّ عاد إلى موطنه درجين.

فقية ومؤرّخٌ وشاعرٌ، وكان إماماً قدوة؛ له قصائد كثيرة وشعر فائق، وله أجوبة بالشعر، وألغاز في الفرائض؛ وقد ذكر في بعض قصائده أنّه أنشدها قبل البلوغ؛ وجمع بعض قصائده أبو طاهر إسماعيل بن موسى في كتاب الفرائض والحساب.

بالإضافة إلى فقهه، وقوّة لغته وبلاغته وشعره، فهو مؤرِّخ من المحقِّقين، لم يكتف بنقل ما سبقه إليه غيره من كتّاب سير الإباضية، وإنّما أبدع منهجاً جديداً في كتابة السيرة الإباضية، وهو منهج الطبقات، إذ وضع في ذلك مؤلَّفه المشهور: «طبقات المشايخ بالمغرب» في جزأين، وجعل كلّ طبقة خمسين سنة، بدأ بالطبقة الثانية (٥٠ ــ ١٠٠هـ/٦٧٠-٧١٨م)، ولم يتكلَّف الكتابة في الطبقة الأولى، لأنّها في اعتقاده أشهر من أن يضيف إليها شيئاً، ولذلك جاء أبو القاسم البرادي بعده بقرنين تقريباً (حي ٨١٠هـ/١٤٠٧م) ليكتب: «الجواهر المنتقاة فيما أخلّ به كتاب الطبقات»؛ وهو من وراء كتابه هذا يهدف إلى تبيين أنّ هذا الدين ورد إلينا بالتواتر، جيلا عن جيل، وطبقة عن طبقة؛ والحقيقة أنّ طبقات الدرجيني مجموعة من السير والتاريخ والفقه، وهو مفيد في تاريخ الإباضية بالمغرب، فيه معلومات قيِّمة عن واحات وارجلان وأريغ بتُقُّرت، ووادي سوف، وجربة، وجبل نفوسة... وغيرها.وتعتبر "طبقات الدرجيني" أحد المصادر المهمّة لصناعة معجم أعلام الإباضية، لما حواه من التواريخ الدقيقة[1].

• بين يدي كتاب "طبقات المشايخ بالمغرب".

أ- موضوع الكتاب وأبوابه.

كتاب طبقات المشايخ بالمغرب؛ حلقة رئيسية في التعرف على أعلام وتاريخ المذهب الإباضي بالمشرق والمغرب، من القرن الأول الهجري إلى القرن السابع منه، إذ الباحث أو الدارس للتاريخ في المغرب الإسلامي القديم لا يمكن أن يستوفي تفاصيله إلا بالاطلاع على مادة هذا الكتاب.

ويبدأ المؤلف كتابه بشرح بعض المصطلحات التي يتردد استعمالها في الكتاب وبخاصة

(١) معجم أعلام الإباضية؛ مجموعة من الباحثين، نشر جمعية التراث، غرداية – الجزائر، ط١، ١٩٩٩، ج ٢، ص ٨٩.

مصطلحات: "العزَّابي"، و"الختمة" و"الهجران"...؛ ثم يذكر بإجمالٍ طبقات المشايخ وتسمية المشاهير منهم بما يشبه فهرساً عاماً لمادة كتابه؛ ثم يذكر أول الدعاة لمذهب الإباضية ببلاد المغرب، كما خصَّص فصلاً ذكر فيه فضائل الفُرس والبربر.

ليشرع في صلب الموضوع منطلقاً من الحديث عن حملة العلم الخمسة إلى المغرب، ثم إمامة الرستميين بتيهرت، ثم موقعة مانو الشهيرة وانقراض الإمامة بسببها، ووصول الدعوة العُبيديَّة الشيعية وانتشارها بأرض المغرب، وتفاصيل أخرى عن ثورة أبي يزيد مخلّد بن كيداد، ثم يذكر شيئاً من أخبار أبو يزيد بن مخلد وأبو خزر يغلى بن زلتاف الوسيانيين، كما يذكر شيئاً من أخبار أبي مسور بن يوجين اليراسني وابنه أبو زكرياء.

ويأتي بعد إلى ذكر تفاصيل بديعة وفريدة سماها: "لُمع من سير الحلقة، وما ينبغي لأهل طريق العزَّابة أن يلتزموه ويعلموه مما رتبه الشيخ أبو عبد الله[1]"؛ وفيه: هيئة لباس العزَّابة من أهل الحلقة، والمهام التي يتولاها الشيخ، وأدب العزَّابة في العبادة، وكذا أوقات الدراسة والنوم... إلخ؛ هذا بالنسبة للجزء الأول من الكتاب.

أما الجزء فقد خصصه المؤلف لذكر سير أعلام الإباضية طبقاتٍ طبقات من الخمسين الثانية إلى عصره هو.

ب- منهج المؤلف في الكتابة.

في التقديم الذي وضعه الشيخ عبد الرحمن بن عمر بكلي _البِكري_ لتحقيق كتاب طبقات المشايخ بالمغرب، حديث حسنٌ ومستفيضٌ عن مادة الكتاب ومنهج مؤلفه فيه؛ منه قوله: "...ذكر المؤلف في صدر الكتاب أنه قد قسمه إلى جزئين، جزء التاريخ وجزء السيرة، كما قسّم كلّ قرنٍ _على غرار أبي عمار عبد الكافي_ إلى طبقتين: الخمسين الأولى والخمسين الثانية،

(١) محمد بن بكر بن يوسف الفرسطائي النفوسي (أبو عبد الله)؛ (و: ٣٤٥هـ / ٩٥٦م - ت: ٤٤٠هـ / ١٠٤٩م): أحد أقطاب الإباضِيَّة في المغرب،؛ وصفه الدرجيني بقوله: «هو الطود الذي تضاءلت دونه الأطواد، والبحر الذي لا تقاس به الثماد»؛ وهو خضمٌ عظيم من جلائل السير والآثار، ولد بفرسطاء بجبل نفوسة؛ ثمَّ تنقَّل بين عدَّة مدن للاستزاده من الفنون على يد أكابر العلماء في زمانه. سافر إلى قصطيلية بحثا عن أبي عمران موسى بن زكرياء، ليأخذ عنه الفقه والفروع، إلاَّ أنَّ وفدا من جربة اضطرُّوه إلى التحوُّل من مرحلة التعلُّم إلى مرحلة التعليم وتأسيس حلقة العزَّابة. وقد تميَّز أبو عبد الله بتأسيسه لنظام هو الآية بين النظم الاجتماعية «نظام حلقة العزَّابة»...؛ ينظر: معجم أعلام الإباضية؛ ج٤، ص٧٧٢.

وقد سدَّ بهذا التقسيم ثغرة طالما شكا منها الباحثون، هي خلو المراجع الأولى غالباً من تاريخ الميلاد أو الوفاة، فغدا مُبهماً لذلك عصرُ كثيرٍ من رجال التاريخ على الباحثين، فكان في طريقة الدرجيني تخفيفٌ من منونة البحث، وحصرٌ لعصر كلّ من ترسَّم خطى أبي زكرياء يحيى بن أبي بكر اليراسني الورجلاني في سيره، قدماً بقدمٍ، بيد أنه فصَّل ما أجمله أبو زكرياء في سيره..."[1].

إذا فالجزء الأول من الكتاب قد خصصه المؤلف للحديث عن نشأة المذهب الإباضي ودخوله بلاد المغرب، وقد فصّل في ذكر مناقب الدولة الرستمية وسيرة أئمتها، من النشأة إلى السقوط على يد العُبيديين سنة ٢٩٧هـ.

ثم أعقب الحديث عن محاولات الإباضية لإعادة الإمامة والتي باءت جميعها بالفشل؛ ولعلَّ أشهرها ثورة أبي خزر يغلا بن زلتاف[2]، وأبي نوح سعيد بن زنغيل[3]، ثم الانصراف في التفكير والتخطيط لمسعى جديد يحافظ على جذوة المذهب وسط أمواج الفتن المتلاطمة على بلاد

(١) أبو العباس الدرجيني، طبقات المشايخ بالمغرب، تح: إبراهيم طلاي، ط٢، د.ت، المقدمة، ص: ل، م.

(٢) يغلا بن زلتاف الوسياني (أبو خزر)، (ت: ٣٨٠هـ / ٩٩٠م)؛ من كبار علماء الإباضية، برع في علم الكلام، وانفرد فيه بآراء متميِّزة. وهو من أبناء الحامة من بلاد الجريد بالجنوب التونسي، إذ كانت في عهده آهلة بالإباضية؛ نشأ بها وتلقَّى العلم عن جلَّة علماء عصره، تصدَّر هو وزميله أبو القاسم يزيد بن مخلد اليهراسني للتعليم، فعقدا حلقات وقصدهما الطلبة من مختلف مواطن الإباضية بالمغرب. انتهجا طريقة المدرسة المتنقِّلة بين أحياء مزاتة، ومن تلاميذه: أبو نوح سعيد بن زنغيل، وأبو زكرياء فصيل بن أبي مسور اليهراسني؛ ترك كتاباً بعنوان: «الردُّ على جميع المخالفين» ولعلَّه أقدم كتاب إباضي مغربي في علم الكلام بعد الدينونة الصافية، وصلنا كاملاً، وقد حقَّقه الدكتور عمرو خليفة النامي ١٩٧٦م؛ ينظر: معجم أعلام الإباضية؛ ج٤، ص ١٠٠١ وما بعدها.

(٣) سعيد بن زنغيل (أبو نوح)؛ (أوائل ق: ٤هـ / ١٠م): شيخ الشيوخ سعيد بن زنغيل، أحد أقطاب العلم عند إباضية المغرب، نشأ وسكن بالجريد بتونس، ثُمَّ استوطن وارجلان بالجزائر؛ يعدُّ حلقة بارزة في سلسلة نسب الدين، فهو شيخ العلاَّمة الإمام أبي عبد الله محمد بن بكر النفوسي، جاء في نسبة الدين مايلي: «أخذ... أبو عبد الله محمد ابن بكر عن الشيخ أبي نوح سعيد ابن زنغيل عن أبي خزر يغلى بن أيوب وزلتاف أمه...». برع في علوم الفصاحة والبيان وفنون الجدل والردّ على المخالفين... كانت له مناظرات مشهورة، خصَّ بها علماء المعتزلة والنُّكار، على حدّ سواء، فكان كثير التنقُّل يدعو إلى مذهب الإباضية الوهبية؛ ينظر: معجم أعلام الإباضية؛ ج٣، ص ٣٦٤ وما بعدها.

المغرب، فكان ميلاد فكرة نظام الحلقة على يد أبي مسور[١]، ثم وضع أسس هذا النظام على يد الشيخ أبي عبد الله محمد بن بكر الفرسطائي، والذي عُرف بنظام الحلقة أو "حلقة العزَّابة"[٢]، وقد فصَّل الدرجيني في معالم هذا النظام وقوانينه في آخر الجزء الأول من كتابه، وذكر أشياء مهمة عن دور الحلقة في رعاية الشؤون الدينية والاجتماعية لإباضية المغرب.

وفي الجزء الثاني صنَّف الدرجيني أعلام الإباضية إلى طبقات، وجعل كل طبقة في خمسين سنة، وقد بدأ بالصدر الأول إلى عصر المؤلف، وبلغت بمجموعها اثني عشرة طبقة، انطلق من الطبقة الثانية (٥٠ - ١٠٠هـ/ ٦٧٠ - ٧١٨م)، ولم يتكلَّف الكتابة في الطبقة الأولى، لأنها في اعتقاده أشهر من أن يضيف إليها شيئاً، ولذلك جاء أبو القاسم البرَّادي[٣] بعده بقرنين، فكتب "الجواهر المنتقاة فيما أخلَّ به كتاب الطبقات"، محاولاً استدراك ما أغفله الدرجيني في طبقاته، وإن كان الأجدر بالبرَّادي أن يترجم لعصره ومصره هو لا أن يكتب السير المشرقية؛ فقد فصَّل المشارقة في ذكر حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين بما لا مزيد عليه. وقد بيَّن المؤلف أي الدرجيني بأمانة ونزاهة بأنَّه استقى مادة الجزء الأول من كتابه؛ من كتاب "السِّير وأخبار الأئمة" لأبي زكرياء يحيى بن أبي بكر الوارجلاني، لذا فإنَّ التطابق واضحٌ بين الكتابين، أما الجزء الثاني فيعدّ تأليفاً مستقلاً للدرجيني.كما استقى مادة القسم الأول من الجزء

---

(١) زكرياء بن فصيل بن أبي مسور يسجا بن يوجين اليراسني (أبو يحيى)؛ (ت: ٥٠٨هـ / ١١١٤م): من أفذاذ علماء جربة بتونس، وهو ابن علماء، فأبوه عالم مشهور، وأسرته في العلم ذات ظهور. عالم ذكيٌّ، سخيٌّ علما ومالاً، تلقَّى العلم في جربة عن والده أبي زكرياء فصيل في الجامع الكبير، وحضر دروس العلماء والمشايخ الموجودين في زمانه، ثمَّ أرسله والده ليتعلَّم عند الشيخ أبي عبد الله محمَّد بن بكر النفوسي الفرسطائي في أريغ، فكوَّن بذلك النواة الأولى لحلقة العزَّابة، وبفضله وبفضل أقرانه - تلامذة الشيخ أبي عبد الله - تأسَّس نظام العزَّابة بجربة، ولعلَّه أوَّل عزَّابي فيها. اِشتغل بالتدريس؛ ثمَّ حمله أهل جربة على تولِّي رئاسة الحلقة؛ وظلَّ رافعاً مشعل العلم طيلة النصف الثاني من القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، بجربة، إذ توفِّي أكثر مشايخ جربة، وبقي وحيداً في المجتمع، ومع تقدُّمه في السنِّ كان يجول بحماره كلَّ جمعة مع الفتيان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، معلِّمًا للسيَر ومميتا للبدع... فركَّز مبادئ الإباضية في قبيلة مزاتة؛ ينظر: معجم أعلام الإباضية؛ ج٢، ص٣٣٤.

(٢) تفصيل تاريخ نظام الحلقة وسير أئمتها، موضوع كثير من الدارسين والباحثين منهم: د. فرحات الجعبيري، وأ. صالح بن عمر سماوي... وآخرون.

(٣) أبو الفضل أبو القاسم ابن إبراهيم البرادي الدمَّري؛ (حي في: ٨١٠هـ / ١٤٠٧م): ولد بجبل دمَّر في الجنوب التونسيّ، المعروف حاليًّا بجبل الحواية. درس في مسقط رأسه، ثمَّ انتقل إلى جزيرة جربة حيث تلقَّى العلم عن شيوخها؛ وانتقل بعد ذلك إلى يفرن بجبل نفوسة وتتلمذ على الشيخ أبي ساكن عامر بن علي الشمَّاخي. فأصبح شيخًا وعالمًا فقيهًا. ثمَّ رجع إلى دمَّر، ومنها إلى جربة حيث بدأ في نشر العلم، فتولَّى التدريس؛ كما تولَّى رئاسة حلقة العزَّابة. وقد ترك البراديُّ مؤلَّفات عدَّة، أشهرها «الجواهر المنتقاة في إتمام ما أخلَّ به كتاب الطبقات»، (مط)، وهو في سير أعلام الإباضِيَّة، وذكر الطبقة الأولى - التي أغفلها الدرجيني في طبقاته - (١-٥٠هـ)؛ ينظر: معجم أعلام الإباضية؛ ج٤، ص٧٠٨ وما بعدها

الثاني والذي خصصه لتراجم إباضية المشرق، من كتاب "سير محبوب بن الرحيل" المعروف بكتاب أبي سفيان؛ وهو كتاب مفقود في العصر الحاضر، فلولا التلخيص الذي أورده الدرجيني في هذا القسم من طبقاته لما سمعنا بهذا الكتاب

ولا عرفنا مادته ومحتواه؛ كما استفاد الدرجيني من منهجية الشيخ أبي عمار عبد الكافي في تقسيم الطبقات -خمسين سنة لكلّ طبقة- وقد ذكر ذلك بنفسه؛ كما أفاد كثيراً من كتاب "سير الوسياني" فهو الجامع لآثار السلف وبخاصة الروايات التي وصلت بالتواتر.

ومما يزيد في قيمة الكتاب ومن قيمة صاحبه ما يدلّك من جليل أمانته العلمية في النقل والتثبت من صحة الأخبار والآثار، وهو كثير في الكتاب، من ذلك قوله حين ترجم للشيخ أبي يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني، وقصيدته الحجازية: "...ومما يدلك على سعة ما عنده من هذه الفنون[١] قصيدته الحجازية المتطاولة، فإنه أودعها فصولا على ما ذكرته من ذلك أبياتها عدد أيام العام، بدأ فيها بغزل رقيق، ثم الرحلة عن وارجلان، والتنبيه عن من صحبهم في ذلك الركب وذكر الطريق منزلة في سيرهم حتى وصلوا، وذكر المناسك، ثم فعل كذلك حتى خرج، ثم خرج إلى شيء من علم الحدثان، ثم وعظ أحسن وعظ وتذكير، ففيها ما يشهد له باتساع الفن، فكنت اعتقدت أن أودعها هذا الكتاب[٢]، وأشرحها إجابة لرغبة من رغب إلى ذلك، لكن منعتني العجلة في تعليق هذا الكتاب، وكوني أيضا لم أجد من يرويها عن أبي يعقوب فأرويها عنه على صحة وأعرف مقاصده فأحذو حذوها، ولعمر الله إن فيها لفوائد كثيرة ..."[٣].

ج- القيمة العلمية للكتاب.

يتجه الدرجيني في كتابه الطبقات فيما يكتب وفيمن يُترجم له إلى ناحية معيّنة هي ناحية الإخلاص للعقيدة، والالتزام بمبادئ الإسلام وأحكامه ويُعرض عما سوى ذلك، ويصوّر فيهم مدى ما وصلت إليه التضحية ونكران حظوظ النفس لديهم، وما قاموا به وعاشوه لنصرة هذه المبادئ وإشاعتها، فهو من هذه الناحية يقوّي في القارئ المؤمن الجانب الروحي والأخلاقي، ويحثه على

(١) يقصد به فنون الشعر وعلم اللغة.

(٢) يعني كتابه المشهور " طبقات المشائخ بالمغرب ".

(٣) الدرجيني، طبقات المشائخ، ج٢ ص٤٩٤-٤٩٥.

التمسّك بالقيم الإسلامية والتضحية لأجلها[1].

ومما يميّز الكتاب أيضاً جهد مؤلفه في التأريخ والنقد وتمحيص الأخبار... وفي ذلك يقول الشيخ عبد الرحمن بن عمر بكلي (البِكري): "...على أننا إذا تصفحنا الكتاب لا نجده يقتصر على ذلك، بل يسير على نهج علماء السير السابقين، لا تخلو تراجمهم من استطرادات مهمَّة، ومحاورات علمية قيِّمة، لاسيما إذا كانت تتصل بالمترجم له مباشرة، أو بسببٍ قريب الأمر الذي كانت به كتب التراجم مشحونة بالأبحاث العلمية، وقد يشغل مجموعها أحياناً الحيِّز الأكبر من الكتاب، ولذا نجد مصنِّفاً كثيراً ما يسوق مسألة ثم يكرّ عليها جرحاً وتعديلاً، وأخيراً يقرر فيها القول المعتمد...؛ وهكذا ينتقل بنا من تاريخ إلى سيرة، إلى مسائل شرعية وبيان أحكامها، إلى غير ذلك مما يجعل الكتاب سائغاً مستساغاً..." [2].كما تكمن أهمية الكتاب في مجموعة المصادر التي ألّف منها الدرجيني كتابه الطبقات، فقد غرف من سير أبي زكرياء والذي يذكره عادة بلفظ "قال الشيخ رحمه الله"، وأبو زكرياء يسبق الدرجيني بحوالي قرنين من الزمن، وقد توفي حوالي(٤٧١هـ) أو(٤٧٤هـ) كما استقى بعض مادة كتابه الأخرى من كتاب سير أبي سفيان محبوب بن الرحيل[3]، وقد كان الإمام أفلح بن عبد الوهاب يوصي الناس بقراءة هذا الكتاب لاستيعابه تاريخ المذهب بصورة وافية؛ وغالب رواية الدرجيني عنه بلفظ: "قال أبو سفيان"، بالإضافة إلى "سير الوسياني"[4] (ت: بعد ٥٥٧هـ)؛ وكذا سير أبي عمار عبد الكافي وإن كان قد اكتفى بأخذ تقسيم الطبقات من عنده.

---

(١) أبو العباس الدرجيني، طبقات المشايخ بالمغرب، تح: إبراهيم طلاي، ط٢، د.ت، المقدمة.

(٢) نفسه، ص: م.

(٣) محبوب بن أبي عبد الله السدراتي (أبو سفيان): (٤٠٠-٤٥٠هـ / ١٠٠٩-١٠٥٨م)؛ شيخ بارز من المذكورين بالعلم والصلاح، من سدراتة قرب وارجلان، تتلمذ على يد واضع نظام العزّابة الشيخ أبي عبد الله محمد بن بكر النفوسي (ت: ٤٤٠ هـ/١٠٤٩م)، وأخذ عن أبي عمران موسى بن زكرياء؛ وقد أثرت عنه آراء فقهية، وروى عنه أبو زكرياء في سيره روايات عديدة. ينظر: معجم أعلام الإباضية، ج٤، ص ٧٤٥.

(٣) في الطبقة الثانية عشرة (٥٥٠-٦٠٠هـ/١١٥٥-١٢٠٣م)، وقال عنه: «الحافظ للسير والآثار، المروي عنه التواريخ والأخبار، لم تفته سيرة لأهل الدعوة من كل الأعصار»؛ وذكر الوسيانيُّ نفسُه سبب تأليفه للكتاب عندما قال: «إنِّي نظرت إلى الآثار قد امَّحت، وإلى أخبار أهل دعوتنا قد انطمست، فأحببت أن أؤلِّف لكم منها كتابا ممَّا بلغني وصحَّ عندي، ولم تخالجني فيه الشكوك». ينظر معجم أعلام الإباضية؛ ج٣، ص٤٢٠ وما بعدها.

• الأخلاق والقيم في كتاب طبقات المشايخ.

إذا عرفنا بأنَّ الدرجيني يتجه في كتابه فيما يكتب وفيمن يُترجم لهم إلى ناحية معيّنة هي ناحية الإخلاص للعقيدة، والالتزام بمبادئ الإسلام وأحكامه ويُعرض عما سوى ذلك، ويصوّر فيهم مدى ما وصلت إليه التضحية ونكران حظوظ النفس لديهم، وما قاموا به وعاشوه لنصرة هذه المبادئ وإشاعتها، فهو من هذه الناحية يقوّي في القارئ المؤمن الجانب الروحي والأخلاقي، ويحثه على التمسّك بالقيم الإسلامية والتضحية لأجلها[1]؛ فلا غرو أن نلاحظ من خلال الديباجات التي تسبق التعريف بمناقب كل عَلَمٍ في الكتاب تقريباً؛ إشراقات تصف خصال العزَّابة وتجمع إلى علمهم صفات الزهد، وطلب العلم، والتواضع، والإيثار، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر...

من ذلك قول الدرجيني في تعريف "أبو ميمون الجيطالي": "...ومنهم أبو ميمون من أهل أجيطال من نفوسة الجبل رحمه الله، ممن له في الآخرة رغبة وترغيب، ولم يكن له في دنياه أكثر نصيب، وكان ذا جدٍّ في العلم، والاجتهاد وسعيٍ في العبادة، ومنافع العباد، وكان ممن يُعدُّ في الشيوخ، وممن قدمُهُ في العلم ذا رسوخ، وكان ذا تفقّدٍ لمواضع المعروف وذا إيثار..." [2].

ومنه أيضاً قوله في الترجمة لأبي اسماعيل البصير؛ "...ومنهم أبو إسماعيل البصير إبراهيم بن ملال المزاتي _رحمه الله_؛ شيخ عبادة وورع، واجتهادٍ في معرفة ما فرض الله وشرع، كثير الملازمة لزوايا المسجد، لالتقاط الفوائد، يغدو إليها ويروح كما يغدو الطير ثم لا يروح إلاَّ بطيناً باستفادة كل خير..." [3]؛ وغيره كثير، بل في معظم الكتاب في جزئه الثاني من أوله إلى آخره.

• نماذج من سير العزَّابة في كتاب طبقات المشايخ.

في هذا البحث المختصر لا يمكن بأيّ حالٍ من الأحوال الوقوف على كل الخلال التي اشتهر بها العزَّابة لكثرتها وصعوبة حصرها، ولكن حسبنا أن نشير إشارات خاطفة إلى أبرز ما

(1) أبو العباس الدرجيني، طبقات المشايخ بالمغرب، تح: إبراهيم طلاي، ط2، د.ت، المقدمة.

(2) الدرجيني؛ طبقات المشايخ بالمغرب، ج2، ص294 - 295.

(3) نفسه، ج2، ص412.

يمكن أن يتَّصف به العزَّابي ويقترن به عادة، وإن جرى العُرف اليوم على أنَّ "السِّير" يقصد بها زيادة على التراجم مجموعة الأخلاق وأنماط الحياة اليومية للعزَّابي من عمارة المساجد وحلق الذكر والعلم ورفقة الصالحين والتورع عن الشبهات وخدمة الصالح العام ونكران الذات...إلخ؛ وكذا الاتباع وعدم الابتداع، أي اتباع أثر السلف الصالح قدر المستطاع وتجنب ابتداع أنماط جديدة في النُّظم الدينية والاجتماعية؛ ومحاربة البدع والمبتدعين في كل زمان ومكان؛ هو شيمة من شيم العزَّابة، عرفوا بها أسوة بالصالحين الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر.

١- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

هذه الخاصية التي امتاز بها العزَّابة حتى اشتهروا بها؛ تعدّ من صميم شيمهم؛ لذلك تجدهم يعدُّون "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" الركن السادس في الإسلام؛ وما ورد من الآثار يؤكد هذا، من ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر جنديان من جنود الله؛ من نصرهما نصره الله ومن خذلهما خذله الله"...

يذكر الدرجيني نماذج كثيرة لهذا الصنف من العزَّابة؛ وإن كنت أحسب أنه لا يكاد يختفي عند أحدهم، فحتى وإن لم يذكره في تراجم بعض الأعلام إلاَّ أننا نحسب أنه ما تزال منهم بقيَّة؛ ومن هؤلاء: أبو المنيب محمد بن يانس؛ "...قيل وكان دأبُه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكان يتفقَّد المزارع والجنّات والطرقات محتسباً ثواب الله، فمتى وجد أحداً أهمَّ بإفساد شيءٍ من ذلك، أو بإدخال ضُرٍّ على أحدٍ من المسلمين صرفه عن ذلك، وحال بينهُ وبينه، وكان لا تمسُّه غفلةٌ عن هذا الشأن، ومع كثر عبادته جعل هذا من أوكدها، قيل فلمَّا كان ذات يومٍ وجد ثلاثة إخوة وقد عزموا على ضررٍ، قد قصدوا به غيرهم، وقد أخذوا في عمله، فنهاهم عن ذلك فقاموا إليه ونالوا منه، وعاملوه أقبح معاملة، فسمعت قبيلته وأهل منزله بالذي ناله من القوم، وأرادوهم بشرٍّ، فنهاهم محمد عن ذلك، وقال: ما نالوا منِّي شيئاً إلاَّ وقد نلت منهم أكثر وأعظم، فانتقم الله منهم جميعاً في اليوم الذي كان ما كان منهم للشيخ..."(١).

ومنهم أبو مرداس مهاصر السدراتي وهو من أعلام الطبقة الخامسة (٢٠٠ – ٢٥٠هـ)، "...

---

(١) نفسه، ج٢، ص٢٩٧ – ٢٩٨.

نكر عنه أنه كان بتاهرت ذات مرة، فسمع رجلاً يدعو رجلاً آخر إلى الحق، فلم يُجب دعوته وأعرض عنه؛ فجاء أبو مرداس إلى دار الإمام[1] فجعل يضرب فيها بالحجارة ويقول: بهلة[2] الله اليوم على من سكن هذه البلدة، فقال رجلٌ للإمام: كيف نحن وهذه التي يذكر أبو مرداس؟ فقال: نحن في وسطها إذا لم نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر..." [3]؛ ولقد كان هذا دأب العزَّابة في كل زمان ومكان، ولا تزال منهم بقية إن شاء الله.

٢-التواضع

التواضع الجمّ شيمة من شيم المروءة التي يتميّز بها العزَّابة، وقد ضربوا بها أروع الأمثلة وأصدقها؛ من ذلك ما ذكره الدرجيني عن الشيخ أبي عبد الله محمد بن بكر الفرسطائي، قال: "...ومن تواضعه ما ذكر ياجر بن جعفر قال: كنا في حلقة أبي عبد الله نقرأ عليه، فكان العزَّابة أرادوا كنس الغار فكنس معهم الشيخ أبو عبد الله وجعل يرفع معنا الكناس على عاتقه؛ فقال له يوماً بعضُنا وهو ينقل معنا، اقعد يا شيخ فإن العزَّابة يكفونك، قال أوَ يحملون عليَّ ذنبي؟ فكان يرفع قليلاً قليلاً جهد طاقته، فقلت له: ارفع إذا أكثر من هذا، فقال: لو كان رأيك يؤخذ لأخذنا به آنفاً..." [4].ومثال هذا كثير، منه الترجمة التي خصها لأبي يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني وابنه أبي اسحاق _رحمهما الله_؛ وفي ذلك يقول: "...وأما أبو إسحاق إبراهيم فإمامٌ في علم الأدب، وإن ذاكر في الفروع فيا للعجب، لقد تمسَّك من الحديث والأصول بسببٍ أقوى سبب، وعند كليهما من الورع والزهد والتواضع والاقتصاد ما ليس يدركه أحدٌ من المتنسِّكين وذوي الاجتهاد..." [5].

ومما يروى عن الشيخ أبي يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني أيضا أنه "كان إذا جاء إلى موضع الوضوء في مسجد وارجلان، انصرف كل من حول المتوضئ؛ فيضع سِفرًا ومفتاحا

---

(١) عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم.

(٢) أي: غضب الله ومقته.

(٣) الدرجيني؛ طبقات المشايخ بالمغرب، ج٢، ص٢٩٣.

(٤) نفسه، ج٢، ص٢٩٣.

(٥) الدرجيني؛ طبقات المشايخ بالمغرب، ج٢، ص٤٩٢.

ويضـع عمامتـه وكسـاءه، ويقعـد فـي ثـوب واحـد فيدخـل المطهـرة، فيرجعـون ويأخـذ أحدهـم شـيئًا منهـا ويأخـذ الآخـر شـيئًا آخـر، حتـى يرجـع الشـيخ فـلا يجـد شـيئًا فيقـول ردوا علـيَّ علائِقِـي، فيقـول أحدهـم أردُّ بِعِـوَضٍ، فيسـأل عـن مسـألةٍ فـي النحـو ثـم يجيـب فيـردُّ مـا أخـذ، ثـم يسـأل الآخـر عـن فريضـة ويسـأل الآخـر عـن مسـألة فقهيـة ويسـأل الآخـر عـن تأويـل آيـة، ويسـأل الآخـر عـن تأويـل رؤيـا وعـن غيـر ذلـك، فيجيـب كلهـم فحينئـذ يـردون عليـه مـا أخـذوا، فـكان ذا دأبـه حتـى لقـي الله"[1].

٣-إكرام بالضيف وابن السبيل

ممـا ورد فـي كتـاب الطبقـات _وهـو كثيـر_ فـي سيرة أبـو جعفـر أحمـد بـن خيـران الوسـياني أنـه كان مـن عادتـه تأخيـر العَشـاء إلـى صـلاة العتمـة، فـإذا صلـى نـادى فـي المسـجد: "أهـل هنـا ضيـف؟ ألا لا يبتـنَّ أحـدٌ دون عَشَـاء"؛ ثـم لا يُقنعـه ذلـك حتـى ينتظـر انصـراف النـاس، فـإذا انصرفـوا طـاف فـي زوايـا المسـجد بعـكازه يفتـش: هـل مـن طـارقٍ؟ هـل مـن ابـن السـبيل؟..."[2]؛ كمـا يـروى عـن أبـي محمـد عبـد الله بـن الأميـر أنـه كان يعدّ علـف دابـة الضيـف مـن جملـة إكرامـه، ولـه فـي ذلـك قصـص مـع أضيافـه أوردهـا الدرجينـي فـي طبقاته[3].وذكـر الدرجينـي أيضـاً أخبـاراً عـن أبـي محمـد عبـد الله بـن يحيـى بـن عيسـى العباسـي _رحمـه الله_ قـال: "...حدَّثنـي بعـض العزَّابـة عـن الشـيخ عبـد الله عـن علـي قـال: خرجـت مـن أريـغ أريـد وارجـلان فـي جماعـة مـن العزَّابـة، فسـلكنا علـى "تـلا" منـزل الشـيخ عبـد الله بـن يحيـى، قـال: فخـرج إلـى العزَّابـة فسـلَّم عليهـم وأنزلهـم للضيافـة، فلمـا دخلنـا موضعـه قدّم لنـا تمـراً كبيسـاً مُعسَّـلاً، ولبينـا عجيبـاً، فلمـا أكلنـا مـن ذلـك مـا اشـتهينا، احضـر صفحـة ثريـد...؛ قـال: فلمـا أراد العزَّابـة الخـروج عُـدت إليـه لأخبـره بذلـك فوجدتـه يفرِّق فضلـة الثريـد علـى الجيـران[4]، ثـم دخلـت عليـه فوجدتـه علـى مرضخـه وبيـن يديـه حشـف أجـرش يابـس وكُـوز مـاء، وكلمـا رفـع حشـفة رضخهـا وأزال نواتهـا وأكلهـا، وأتبعهـا بجرعـة مـاء مـن الكـوز، وفـضَّ النـواة لعلـف الغنـم، فقلـت لـه: مـا هـذا يـا شـيخ؟ هـلاّ أكلـت مـن التمـر الـذي أطعمتنـا منـه؟ فقـال: يـا بنـي إن مـن أكل خيـار مالـه فقد

(١) نفسه، ج٢ ص ٤٩٢ وما بعدها.

(٢)نفسه، ج٢، ص٢٢٥.

(٣)نفسه، ج٢، ص٤١٤.

(٤)يقصد بهذا العمل البركة، لأن عليها دعاء العزّابة بعد فراغهم من الأكل، فيحصل بذلك عظيم بركة وفي هذا رويت كرامات كثيرة.

أكل دم وجهه، وذلك مدّخرٌ لأمثالكم، وإنَّ الذي بين يديَّ مع العافية كثير[1].

٤-علوّ الهمة، والعزيمة التي لا تكلّ

وهي من الخلال التي تميّز بها العزَّابة ومما حرصوا على تلقينه أبنائهم الطلبة؛ وقد نكر الدرجيني خبراً عن أبان بن وسيم الويغوي[2] قال: "...ذكر غير واحدٍ أنَّ بدأ أمر أبان بن وسيم، ورجوعه إلى الله وتركه ما كان فيه من الخوض في غمرات الدنيا، أنه كان هو وأخ له اسمه سعيد يكنى أبا محمد مريضين، وكان أخوه أسنَّ منه، وكان متقدّم التوبة؛ فاضطجعا في غارٍ واحدٍ، وكان مضطجع أبي محمد داخل الغار، وأبان مما يلي باب الغار، وكان الشيوخ والعواد يدخلون لعيادة أبي محمد، فيدخلون ويتجاوزون أبان، وينتهون إلى سعيد فيجلسون إليه ويؤنسونه، ويحفّون به ويختلفون إليه، ويسألونه عن حاله، وعمّا يشتهي، فإذا كان عند انصرافهم دعوا الله أن يشفيه، ثم يتجاوزون على أبان لا يختلفون، وغايتهم أن يقولوا كيف حالك يا أبان ؟ يا ضعيف؟ وربما دعوا له بالشفاء؛ فكان ذلك لما أراد الله به من الخير والصلاح زجراً له عمّا كان عليه، وردعاً فإذا سألوه هذا السؤال قال: فإن فرّج الله عن أبان سيريكم ما يصنع وتقفون على خبره إن شاء الله، وفرج الله عليه فوفى بما اعتقد..." [3].

والحق أنَّ قصة أبان بن وسيم الويغوي صارت مضرباً للمثل لعلو الهمّة في ميزاب إلى اليوم، وتحكى باللسان البربري في المجامع وحلق العلم للطلبة والعوام.

٥- التحريض على طلب العلم والحثّ عليه

يبتدئ العزَّابة دروس الوعظ ومختلف فنون العلم عادة بذكر فضل طلب العلم ومنزلة المتعلم والعالم عند الله سبحانه وتعالى...؛ ويختارون لذلك الرقائق والآثار التي وردت في هذا الصدد؛ ومن أهم الكتب الإباضية التي أسهبت في هذا الباب كتاب "قناطر الخيرات" للشيخ

---

(١)نفسه، ج٢، ص٥٠٧ - ٥٠٨.

(٢)أبان بن وسيم الويغوي النفوسي؛ (٢٠٠-٢٥٠هـ / ٨١٥- ٨٦٤م): من علماء الإمامة الرستمية، تلقّى العلم في كبره على الشيخ أبي خليل صال الدُّركلي، واشتغل بالزراعة؛ ثم ولأه الإمام أفلح بن عبد الوهاب على جبل نفوسة، بعد وفاة أفلح ابن العباس. أجازه شيخه بالفتوى قائلاً له: «لكلّ زمان نذير وأنت نذير زمانك يا أبان، أفت للناس بالرخص كي يكون ذلك لهم عذراً عند مولاهم»؛ وكان فقيهاً مفتياً ثقةً، وصفه الوسياني بأنّه «إمام أحكام»؛ يكاد لا يخلو كتاب من كتب الفقه والتاريخ والسير الإباضية من آرائه وفتاواه. معجم أعلام الإباضية، ج٢، ص٨.

(٣) الدرجيني؛ طبقات المشايخ بالمغرب، ج٢، ص٣٠٣ - ٣٠٤.

إسماعيل الجيطالي، وهو كتاب نفيس يقع في ثلاثة أجزاء أوّل جزء فيه هو: "قنطرة العلم والإيمان"، وهو معتمد إلى اليوم في حِلق العلم بمساجد الوادي يشرحه شيخ العزَّابة للتلاميذ (إروان) وللعامة أيضاً في المسجد.

وفي كتب السير ومنها كتاب طبقات المشائخ للدرجيني نماذج عديدة في هذا الباب؛ منها ما أورده الدرجيني في الترجمة لأبي عمران المزاتي، أين قال: "...وعن أبي محمد أن أبا عمران قال مراراً في مجالس كثيرة: تعلم حرفٍ واحدٍ من العربية كتعلم ثمانية مسألة في الفروع، وتعلم مسألة واحدة كعبادة ستين سنة، ومن حمل كتاباً إلى بلدٍ لم يكن فيه ذلك الكتاب فكأنما حمل ألف حملٍ دقيقاً، وتصدّق به على أهل ذلك البلد، وهكذا في فضل العلم وطلبه..."[1]، ومثل هذه الأخبار كثيرة في كتاب "قناطر الخيرات" السالف الذكر.

وذكر الدرجيني أيضاً حديثاً عن أبي موسى عيسى الزواغي قال: "ذُكر عنه أنه قال: خرجنا من هؤلاء _يعني قومه وأهله_ وتركناهم وجمعنا أصحاب شياهٍ وبقراتٍ، وقرأنا العلم ورجعنا وجمعنا مثل ما جمعوا من شياهٍ وبقراتٍ"؛ لا أقول إنَّ أبا موسى _رحمه الله_ قال هذا القول فخراً وافتخاراً، بل تحريضاً على طلب العلم والاجتهاد في الخير والصلاح، وإعلاماً بأنَّ طلب الدنيا مُدركٌ لا يفوت، وأنَّ المتعيِّن طلبُ العلم والدين"[2]. وقد يحفّ الدرجيني تراجمه بالكرامات التي تروى عن الزاهدين والأتقياء في مضمار طلب العلم وتشجيع التلاميذ على طلبه وتحصيله؛ من ذلك قوله عن أبي خليل الدَّركلي[3]: "...روي أنَّ أبا خليل كان يقول للتلاميذ[4] سيروا إلى الحلقة، واقصدوها حيثما كانت يا كُسالى، فإنَّ رجلاً قد سار من الجبل إلى فزَّان وإلى غدامس وإلى الساحل، رغبة في طلب الحلقة، وفيما يستفيده، فلقيه في الطريق قطّاع، فدافع عن نفسه حتى

---

(١) الدرجيني؛ طبقات المشايخ بالمغرب، ج٢، ص٢٩٣.

(٢) نفسه، ج٢، ص٣٩٢.

(٣) صال الدَّركلي (أبو خليل)؛ (ق: ٣هـ / ٩م): علم من أعلام «إيذَركَل» بجبل نفوسة، أخذ العلم عن حملة العلم الخمسة من البصرة إلى المغرب، وقيل: هو أوّل من تتلمذ عليهم؛ أخذ العلم عنه خلق كثير، ومن أبرز تلامذته: أبان بن وسيم الويغوي؛ وكانت له كرامات عديدة دالّة على ورعه وتقواه ذكرها كتّاب السير والطبقات؛ وله فتاوى وآراء فقهيّة؛ معجم أعلام الإباضية، ج٣، ص٤٦٥.

(٤) التلاميذ: هم حفظة كتاب الله، ويقال لهم بالبربرية في ميزاب «إروان»، يعمرون مجالس الذكر وحلق العلم؛ ومنهم ينتقى خلائف العزَّابة متى احتاجوا إلى ذلك؛ انظر بتفصيل: صالح بن عمر سماوي، العزَّابة ودورهم الاجتماعي بوادي ميزاب، المطبعة العربية، غرداية، ط ١، ٢٠٠٥، كله.

جُرح سبعة عشر جُرحاً، فظنوا أنه قد مات فتركوه، فوجد في نفسه النهوض فنهض، ودخل موضعاً يقال له "وعمان"، ومكث فيه أربعين ليلة بلا طعام ولا شراب، غير أنه يرى في نومه من يُطعمه ويسقيه، وخرج من الموضع وهو أصحّ شيء، وكأنه لم يُصبه ألمٌ، وذلك بفضل الله وحُسن نية الرجل وجميل قصده..." (١).

ومما يروى أيضا عن بعض المشايخ رحمهم الله، ومنهم: أبو محمد وسلان بن يعقوب المزاتي(٢) أنه لما كان في أيام إقامته بجبل نفوسة طلباً للعلم، كان إذا وصله كتابٌ من تلقاء أهله رمى به في كُوّة لا يقرأه، حتى قضى وطره من علم الفروع وعقد النية على الرجوع إلى أهله، فقرأ الكُتب فوجد في الأول التعزية بأمه، ووجد في كلّ كتابٍ ما لو اطلع عليه لكان شاغلاً عمّا قصد إليه من الخير...؛ قيل وكانت إقامته بين أهل الجبل سبع سنين، فحصّل ديواناً عظيماً، فكان يقرأ فيه ويدرس عند أهله، وكانوا إذا رأوه يقرأه في الشتاء، قالوا له، يبتلُّ كتابك، ببلل أندية الشتاء، ويقول لهم: سيأتي الصيف ويجف، فإن كان الصيف قالوا: يحترق كتابك ويتقبَّض بحر الشمس، ويقول لهم: سيأتي الشتاء، وينبسط، وكان _رحمه الله_ لا يفتر عن القراءة في كل زمان"(٣).

وقد تكررت قصة الانقطاع لطلب العلم وعدم النظر في الرسائل التي تصل من الأهل، مرّات عديدة في تاريخ أعلام الإباضية؛ وذلك بحفظ الطلبة والعزَّابة للسير وسعيهم في اقتفاء آثار أسلافهم، ولنا في الشيخ أبي مسور يسجا بن يوجين اليراسني (ق ٣هـ/ ٩م) (٤) همّة عالية ومثال

---

(١) الدرجيني؛ طبقات المشايخ بالمغرب، ج٢، ص٤١١.

(٢) ويسلان بن يعقوب الدجمي المزاتي (أبو محمّد)؛ (٣٥٠-٤٠٠هـ / ٩٦١-١٠٠٩م): من قبيلة مزاتة، عمل في شبابه راعيًا بالبادية، ثمّ أخذ عن أبي القاسم يزيد بن مخلَد في كِبَره، فدرس القرآن لمدّة سبع سنين، وعلم الأصول والحجّة والكلام لمدّة ستّ عشرة سنة. جمع ديوانًا كبيرًا كان يدرسه عند أهله، وعادته عدم الفتور عن القراءة في كلّ زمان. أخذه رجال المعزّ الفاطمي وحبسوه لأنّه صاحب أبي القاسم يزيد بن مخلد، ثمّ أطلقوا سراحه، لأنّ أهل السجن اشتكوا قراءته الدائمة للقرآن، وكان جهير الصوت؛ معجم أعلام الإباضية، ج٤، ص٤٤١.

(٣) الدرجيني؛ طبقات المشايخ بالمغرب، ج٢، ص٣٧١.

(٤) يسجا بن يوجين اليراسني (أبو مسور)؛ (أوخر ق: ٣هـ/٩م): من عظماء جربة بتونس. اسمه يسجا، وهي بربريّة تعني: استقام. لمّا أراد يسجا المسير إلى أهله اشتغل بنسخ الكتب، وكان شديد الاهتمام باقتنائها. ترك أقوالاً فقهيّة، وحِكَمًا كثيرة، ذكرت بعضًا منها كتب السير. ويذكر القطب أطفيّش أنّه أصل نسب أولاد أبي مسور الذين جاؤوا من جربة أو نفوسة ونزلوا العطف، وهم الذين يحملون لقب «الحاج عيسى» _حاليا_ من عشيرة آل الحجّاج. توفّي في حومة قلاّلة بجربة، وبها دفن، ولا يزال قبره معروفًا؛ أنظر: معجم أعلام الإباضية، ج٤، ص٩٨٣.

يُحتدى، وفي القرون المتأخرة الشيخ أبو زكرياء يحيى بن صالح الأفضلي[1] _رحمه الله_، وآخرون غيرهم.وفي مساعدة الطلبة وتشجيعهم على التعلّم ما يروى عن أبي زكرياء فصيل بن أبي مسور؛ ذكر الدرجيني عنه قال: "...كان أبو زكرياء يقول: "منزل التلامذة كشجرة الخروب"؛ يعني أنه لا ينبت حول الخروب نبات، فإن نبت كان ضعيفاً لأن الخروب يشتف، وكذلك ما كان حول منزل التلامذة فإنه يكون اهتمام أهله لما يصلح شأن التلامذة، فجُهدهم مكابرتهم، وإلطافهم، والقيام بمؤونتهم؛ وكأني به رحمه الله يخاطب بذلك أهله وحشمه ليكون لهم الاهتمام بأمورهم، والقيام بحقوقهم، ما لا يكون عند غيرهم ذلك، فيقتفون آثاره ولا يستعظمون ما ينفقون في جانب التلامذة وما يخرج من مصالحهم.

ويروى عنه أيضاً كان _رحمه الله_ يصرّف الدنانير بالدراهم، ويجعل الدراهم في القراطيس والصُّرر، ثم يعلّقها في في ألواح التلامذة، وربما يجعلها في أوعية دفاترهم، وربما جعلها بين التلميذ وثيابه وهم لا يشعرون، وكل ذلك رغبة منه في كتمان الصدقة، فلما مات أبو زكرياء -رحمة الله عليه- انقطع عن التلامذة ما كانوا يعتادونه من ذلك، فعلموا أنه إنما كان يفعل ذلك أبو زكرياء وتحققوا ذلك"[2].

٦- النصيحة لله

يعدّ خلق النصيحة والوصية للطلبة والأبناء وكل من يطلبها من ركائز العزَّابة في حركاتهم وسكناتهم وهو كثير في كتاب الطبقات، ومردّ ذلك كما أسلفنا هو خلق الاستقامة الذي امتاز وعُرف به العزَّابة؛ ولعل النصيحة والوصية تدخل في باب "الأمر بالمعروف"؛ لذلك فهي لا تكاد تتخلف بين ترجمة وأخرى مما أورده الدرجيني؛ من ذلك أنَّ أبو صالح جنّون بن يامريان وهو شيخ وارجلان على عهده؛ "...كتب له ابنُ عمٍّ له كتاباً من المغرب: يا ابن عمي ايتني،

(١) يحيى بن صالح ابن يحيى الأفضلي (أبو زكرياء)؛ (و: ١١٢٦هـ / ١٧١٤م - ت: ١٢٠٢هـ / ١٧٨٨م): من العلماء الأعلام، وكبار المشايخ في وادي ميزاب إبان النهضة الحديثة، بل هو باعثها الأوَّل. تلقَّى مبادئ العلوم في مسقط رأسه ببني يسجن، ثمَّ قصد جربة في آخر النصف الأوَّل من القرن ١٢هـ/١٨م؛ فأخذ في البداية من مجموع مشايخها؛ ويذكر أنّه بدأ غير مجتهدٍ في تحصيله، فشجَّعه على الاجتهاد والكدِّ نملة أبت إلاَّ أن ترفع نواة بإصرار. فمكث في التعليم بجربة اثنتي عشرة سنة متَّصلة، تفرَّغ فيها كلّيَّة للعلم لا يلتفت لشيء غيره، وكانت رسائل أهله إذا وصلته لا يقرأها، بل يضعها في كوَّة عميقة في حجرته، ثمَّ يسدُّ الكوَّة لكي لا يراها فتحدّثه نفسه بقراءتها، ولمَّا أتمَّ دراسته واستعدَّ للرحيل فتح الرسائل فقرأها فإذا جلُّ أسرته قد ماتوا، ووجد في الرسائل من الأخبار المزعجة ما لو قرأه لقطعه عن العلم؛ أنظر: معجم أعلام الإباضية، ج٤، ص٩٦٥.

(٢) الدرجيني؛ طبقات المشايخ بالمغرب، ج٢، ص٣٦٣ - ٣٦٤.



فإنّك قُمتَ في أرض الفقر، فإنّ عندنا أرضاً كريمة، قدر الكساء يحمل البعير وِسقَهُ حَبّاً، فأجابه أبو صالح: يا ابن عمّي ايتني، فإنّ عندنا أرضاً قعدة الرجل يحمل البعير وِسقه عسلاً، وفي هذه الحكاية حُسن الجواب المسكت، وفيها ما يدلّ على القناعة والرصانة[1]...

ومما يُروى أيضاً أنه جاء رجلٌ إلى الشيخ أبو زكرياء يحي بن أبي بكر[2] -رحمه الله- يشاوره في التزوج، وأيّ امرأة يتزوجها؟ فقال: إذا جئت إلى شجرة فأي ثمارها أيسر عندك؟ ما مددت إليه يدك نحو فمك، أم ما أشرف إليه عُنقك، أم ما طأطأت إليه رأسك؟ فقال: بل ما مددت إليه يدي، وما كان أمامي فلم أحتج فيه إلى مدّ يدي إلى الأشرف ولا أن أطأطئ رأسي؛ قال: عليك بقرينتك"[3].

وروى أبو عمرو عن أبي يحيى قال: "قال الحواريون لعيسى ابن مريم: من نجالس بعدك يا روح الله؟ قال من يذكّركم الله رؤيته، ويزيد في علمكم منطقه، ويرغّبكم في الآخرة عمله؛ قال أبو زكرياء: مثل أبي يحيى، وقال أبو عمرو: مثل أبي زكرياء"؛ وهذه الملح يذكرها العزّابة لطلبتهم في مجالس العلم عادة يزكون بها الأنفس.

- **ما يستفاد من ذكر مجموعة القيم والأخلاق.**

لقد كان حرص العزّابة وما يزال ظاهراً في المحافظة على السير ونقلها من السلف إلى الخلف، جيلاً عن جيل، وتربية النشء التربية الصالحة وتوجيههم الوجهة السليمة لما ينفعهم في أمر معاشهم ومعادهم.

لذلك تجد كُتّاب السير كالدرجيني وغيره ينقلون الوصايا التي حفظها الرواة الثقاة فيثبتونها في ثنايا كتبهم، وهي عن الحصر كثيرة، لاحظ من ذلك قول الدرجيني: "... وقد بلغنا عن أبي عبيدة عن أبي عبيدة عبد الحميد الجناوني -رحمه الله- أنه قال لأهل الجبل (والله ما تركتكم إلاّ

---

(1) نفسه، ج٢، ص٣٤٤.

(2) يحيى بن أبي بكر بن سعيد اليهراسني الوارجلاني (أبو زكرياء)؛ (ت: ٤٧١ أو بعد ٤٧٤هـ / ١٠٧٨ أو بعد ١٠٨١م): هو أبو زكرياء يحيى بن أبي بكر الوارجلاني، أشهر من نار على علم، وهو صاحب كتاب «السيرة وأخبار الأيمة»، عليه اعتمد كلُّ أصحاب السير والطبقات الإباضيّة، مثل: الوسياني، والبغطوري، والدرجيني، والشمّاخي، ومن جاء بعدهم... إلى يومنا هذا، وعن كتابه يقول الوسياني: «له فضل السبق في هذا، لم يأل خيرًا برأفته وهمّته وفراسته»...؛ انظر: معجم أعلام الإباضية، ج٤، ص٩٤٨.

(3) الدرجيني؛ طبقات المشايخ بالمغرب، ج٢، ص٤٥٠.

علـى الواضحـة النيـرة، مـا بينـي وبيـن رسـول الله صلـى الله عليـه وسـلم إلاّ ثـلاث رجـال لـم أرهـم، وفـي بعـض الروايـات أنَّ أبـا خليـل هـو المتكلـم بهـذا الـكلام"[1]؛ وروى أيضـاً قـال: "...بلغنـا عـن أبـي عبد الله بـن يزيـد الفـزاري قـال: (إنمـا غلبنـا أصحـاب الربيـع باتبـاع الآثـار)، وقـال أبـو صالـح يعلـو: (السـبيل محفـور إلـى الركبـة، فـلا يؤخـذ منـه مخـرجٌ إلا بالوثبـة)" [2]..؛ إلـى آخـره مـن العبـارات الدالـة علـى أهميـة السـير فـي صيانـة تاريـخ الأمـة ونقلـه إلـى الأجيـال المتعاقبـة.

• **الخلاصة والتوصيات.**

إنَّ البحـث فـي سـير العزَّابـة عميـق وشـيّق، ولاشـك أنَّ القـارئ المتأنـي لكتـاب "طبقـات المشـائخ بالمغـرب" لأبـي العبـاس الدرجينـي وغيـره مـن كتـب السّـير تسـتوقفه آثـار السـلف الصالـح فيتأمـل ماضيهـم ويقلـب ذلـك مـع حاضـره، محـاولاً اسـتخراج مجمـوع القيـم والأخـلاق التـي وردت فـي أثنـاء الترجمـة للمشـائخ والعزَّابـة، ومـا يجـب أن نكـون نحـن عليـه الآن؛ وقديمـاً قـال الشـاعر:

وهل إن كان حاضرنا شيقا نسود بكون ماضينا سعيدا

فشرّ العالـــمين ذوي خمول إذا فاخرتهم ذكروا الجدودا

وخير الناس ذو حسب قديم أقـام لنفسـه حسـبا جديـدا

لذلـك تجـد الدرجينـي فـي كتابـه الطبقـات يتّجـه فيمـا يكتـب وفيمـن يُترجـم لـه إلـى ناحيـة معيّنـة هـي ناحيـة الإخـلاص للعقيـدة، والالتـزام بمبـادئ الإسـلام وأحكامـه ويُعـرض عمـا سـوى ذلـك، ويصـوّر فيهـم مـدى مـا وصلـت إليـه التضحيـة ونكـران حظـوظ النفـس لديهـم، ومـا قامـوا بـه وعاشـوه لنصـرة هـذه المبـادئ وإشـاعتها، فهـو مـن هـذه الناحيـة يقـوّي فـي القـارئ المؤمـن الجانـب الروحـي والأخلاقـي، ويحثـه علـى التمسّـك بالقيـم الإسـلامية والتضحيـة لأجلهـا[3].

ومما يمكن أن نوصي به في ختام هذه الورقة هو:

١- ضرورة التعاون في التعريف بمخزون السّير المخطوط منها والمطبوع وجعله في المتناول.

---

(١) نفسه، ج٢، ص٤٧٧.

(٢) نفسه، ج٢، ص٤٧٩.

(٣) أبو العباس الدرجيني، طبقات المشايخ بالمغرب، تح: إبراهيم طلاي، ط٢، د.ت، ج١، المقدمة.



٢- تنظيم حلقات فكرية دورية حول السّير الإباضية على مستوى الأقطار المغربية والمشرقية.

٣- إنشاء دورية أكاديمية محكّمة تعنى بالدراسات في السّير الإباضية.

٤- التعريف بالإرث الإباضي من خلال تبادل الكتب والدراسات المتخصصة.

٥- تحفيز الباحثين وحثّهم على لولوج موضوع السّير من خلال إعداد الدراسات الأكاديميةالمتخصصة.

٦- ضرورة تبسيط السّير وتقديمها للأطفال والناشئة في قالب قصصي ممتع.

٧- طبع أشغال هذه الندوة ونشر توصياتها واستعمال مختلف الوسائط الورقية والرقمية لنشر أعمالها.

المصادر والمراجع

١- أبو العباس الدرجيني، طبقات المشايخ بالمغرب، تح: إبراهيم طلاي، دار البعث، قسنطينة، ط١، ١٩٧١.

٢- أبي الربيع سليمان الوسيانيُّ، سير الوسياني، تح: عمر لقمان بوعصبانة، نشر وزارة التراث القومي - سلطنة عُمان، ط١، ٢٠٠٩.

٣- أبو العباس أحمد بن أبي عُثمان سعيد بن عبد الواحد الشَّماخي، تح: محمد حسن، دار المدار الإسلامي، ط١، ٢٠٠٩.

٤- يحيى بن أبي بكر بن سعيد اليهراسني الوارجلاني (أبو زكرياء)، السيرة وأخبار الأئمة، طح.

٥- إبراهيم البرادي، الجواهر المنتقاة في إتمام ما أخلَّ به كتاب الطبقات، طح.

٦- القطب أطفيَّش، الرسالة الشافية، طح.

٧- معجم أعلام الإباضية، مجموعة من الباحثين، نشر جمعية التراث، غرداية - الجزائر، المطبعة العربية، غرداية، ط١، ١٩٩٩.

٨- صالح بن عمر سماوي، العزَّابة ودورهم في المجتمع الإباضي بوادي ميزاب، نشر جمعية التراث، المطبعة العربية، غرداية، ط ١، ٢٠٠٥.

٩- فرحات الجعبيري، نظام العزَّابة عند الإباضية الوهبية بجربة، المطبعة العصرية – تونس، ط١، ١٩٧٥.

١٠- إسماعيل الجيطالي، قناطر الخيرات، تح: عمرو خليفة النامي، د.ط، د.ت.ط.



الشيخ سليمان بن ناصر بن سليمان الإسماعيلي وعلاقته بكتاب السير والجوابات بمكتبة السيد محمد بن أحمد البوسعيدي بسلطنة عمان

إدريس بن بابه باحامد القراري
إمام خطيب وباحث/ سلطنة عمان
idbahamed@yahoo.com

مقدمة

- **المبحث الأول: تعريف السير والجوابات والمقصود بمؤلفات السير الإباضية.**

المطلب الأول:

ورد ذكر السيرة في لسان العرب ما مفاده، أن السيرة هي السنة والسيرة الطريقة، تجمع على سير، يقال سار بهم سيرة حسنة والسِّيرة الهيئة، قال أبو عبيد: سار الشيء وسرته، فعمَّ[(١)].

ورد في لسان العرب ما نصه: الجواب: معروف رديد الكلام، والفعل أجاب يجيب، قال الله تعالى : «فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعان فليستجيبوا لي» (البقرة/ ١٨٦)، قال الفرَّاء: يقال إنها التلبية والمصدر الإجابة، بمنزلة الطاعة والطاقة، والإجابة رجع الكلامن تقول: أجابه إجابةً وإجَابًا وجوابًا وجابَةً، ومن هذا المثل المعروف: أساء سمعاً فأساء جابَةً، والجابة مصدر كالإجابة، يقال فلان حين الجِيبة بالكسر، بمعنى حسن الجواب[(٢)].

فمن خلال هذا كله يتبين لنا أن الإجابة هو رد الكلام ورجع الكلام ، ولا يكون رجع الكلام ورده باللسان فقط فقد يكون بالكتابة ولما يكون في هذه الحالة يسمى جوابا أيضا، وتجمع

---

(١) محمد بن مكرم، ابن منظور، لسان العرب، تح: عبد الله عل الكبير وآخرون، دار المعارف، دط، دت ن، د م ن، ج ٣، ص ٢١٦٩. باب: سير، ينظر: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصّحاح، اعتنى به: محمود خاطر، مراجعة: لجنة من مركز تحقيق التراث، دار الكتب المصرية، د ط، د تن، ص ٣٢٥، باب: سير.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، ج ١/ ص ٧١٦، باب: جوب. ينظر: الرازي، مختار الصحاح، ص ١١٦، باب: جوب.

هذه الرسائل التي فيها رد على كلام جاء مهما كان نوعه على جوابات.

المطلب الثاني: المقصود بالسير والجوابات الإباضية.

المقصود بسير علماء أهل عمان: .. ما روي عن الأئمة والعلماء العمانيين والإباضية عامة من قول أو فعل، وحينما نذكر كتب السير والجوابات فإن الذهن ينصرف إلى كتب تراجم الرجال وما أثر عنهم من أقوال وأفعال.

أما المقصود بالجوابات في هذا البحث هو: ردود على الاستفسارت التي كان يرسلها المسلمون إلى الأئمة والعلماء الإباضية والعمانيين، عن حقيقة المذهب الإباضي، وعن العقيدة الإسلامية، وعن التوحيد وعن المعاملات وغير ذلك مما يتعلق بأمور الدين والسياسة والحكم. كما تتضمن هذه الجوابات كتابات للعلماء في بينهم لتفسير مسائل معينة وتبادل الآراء في ذلك.

وقد قرنت السير بالجوابات في هذا المخطوط نظرا لاحتوائه على هذين النوعين سير وأجوبة، فجاء بهذا الاسم المقصود وحصره في الأئمة العمانيين كما فعلت الباحثة يبدو لي يحتاج إلى نظر خاصة بعد أن وجدت مخطوطة فيها عدد لا بأس من سير وجوابات غير العمانيين إلا أنهم إباضية، فمن اللائق أن يعنون الكتاب، سير وجوابات الإباضية والعمانيين. ليدخل ضمن الإباضية إباضية المغرب الذين وردت سيرهم وجواباتهم داخل المخطوط، ويدخل في العمانيين كل من كان عمانيا دون استثناء[1].

المطلب الثالث: الغرض من كتابة السير والجوابات:

- إفادة الجيل الذي يأتي بعد الجيل الذي كتبت فيه هذه السير والجوابات للاستنارة بنورهم والاستفادة من تجاربهم وخبراتهم.

- تصور واقعي فعلي لما كان يقع في زمن من الأزمان، واكتساب تصور واقعي لمختلف مجالات الحياة الدينية السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية وغيرها.

---

(١) ينظر في هذا المعنى: وزارة التراث القومي والثقافة، السير و الجوابات لعلماء وأئمة عمان، تحقيق: سيدة إسماعيل كاشف، سلطنة عمان، د ط، ١٩٨٦، ١٤٠٦هـ، ج ١، ص ٦ وما بعدها.

ينظر: أبي العباس أحمد بن سعيد الدرجيني، طبقات المشايخ بالمغرب، تحقيق: إبراهيم بن محمد طلاي، ط٢، د ت ن، دم ن، صفحات: أ إلى ع. من المقدمة.



- شرح وافي وبيان واضح جلي لحال المذهب الإباضي في تلك الأزمنة، وماهي سبل حماية هذا المذهب كفكر إسلامي معتدل؛ يدعو إلى المعرفة والتعارف والاعتراف.
- حفظ الذاكرة التاريخية من التلف والضياع على أيدي مؤرخي البلاط، وأصحاب الأهواء.
- دحض حجج واتهامات المغرضين بالتاريخ النير الحقيقي الذي كتبه علماء المذهب وأصحابهع عن أنفسهم.

• المبحث الثاني: مكتبة السيد محمد بن أحمد وحضور مؤلفات السير داخلها.

المطلب الأول: نبذة عن مكتبة السيد محمد بن أحمد البوسعيدي.

تسمَّى هذه المكتبة بمكتبة السيد، وقد صار هذا الاسم علما على مكتبة معالي السيد محمد بن أحمد البوسعيدي بالغلبة، فحينما يطلق اسم (مكتبة السيد) ينصرف الذهن إليها مباشرة دون غيرها من المكتبات، وقد تعارف الباحثون والرُّواد على هذا الاسم، وهي تقع في منطقة الشَّرادي من ولاية السيب، داخل مزرعة معاليه-رحمه الله- ولهذه المكتبة تاريخ عريق إنْ عَلَى مُسْتَوَى التأسيس أو بعده، فقد كانت بدايات تأسيس المكتبة في السبعينيات من القرن الماضي، حيث كان معالي السيد يجمع الكتب والمخطوطات في غرفة صغيرة وهذه الغرفة كانت في محلّ المكتبة حاليا، فقد كان معالي السيد شغوفا بالعلم وأهله، مما جعله يجمع فنون العلم، من مخطوطات ومطبوعات وغيرها، وقد تفضّل الله سبحانه وتعالى على معاليه بأن وفّقه لبناء المبنى الجديد للمكتبة وهو ما عليه المكتبة الآن، وللمكان خصوصية رائعة من حيث الشكل الهندسي الرائع، فهي ذات شكل دائري، يتميّز بفن معماري عماني رائع، إضافة إلى ما تحويه من وسائل عصرية تفيد الباحثين وروّاد المكتبة من طلبة وغيرهم، وكان يعتبر معالي السيد محمد بن أحمد هذه المكتبة لشدّة تعلُّقه بها (منسكا من مناسكه اليومية)، فكان يقول: فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في المكتبة.

بدأ معالي السيد جمع مخطوطات المكتبة وما تحويه كما سبق من السبعينات وكان اهتمامه بالمخطوط لعدة أسباب منها:

١- تأثره بضياع مكتبة الشيخ خلف بن سنان والتي تحوي ٧٠٠٠ آلاف مخطوطة أو تزيد.

٢- اهتمامه بالعلم والمعرفة قبل كلّ شيء، ما جعله يسعى لجمع المخطوطات بشتى الطرق والوسائل مهما صعبت المسالك إليه، وعزَّت المقاصد.

٣- المخطوط يمثل عصرا من العصور وجيلا من الأجيال ينبغي الاهتمام به لنصل الماضي بالحاضر والحاضر بالمستقبل، فهو ذاكرة الشعوب والأمم، وهو هوية المجتمع، ففي المخطوط نجد الجانب والأدبي والتاريخي والحضاري لكل شعب من الشعوب ولكل أمة من الأمم.

٤- عشقه الشديد للاطلاع على ما ورد من علم في بطون تلك المخطوطات.

٥- يُعتبر المخطوط كنز من كنوز التاريخ لا ينبغي تضييعه، ففيه حياة الأمم.

٦- المخطوط جهد إنسانيٌّ بذل فيه مؤلِّفه مجهودا معتبرا كيف لا نهتم به.

٧- المخطوط مصدر مهمٌّ من مصادر المعلومات التي يرجع إليها الباحثون والمحقِّقون والمنقبُّون ما جعل معالي السيد يحافظ عليه ليصل إلأى كلّ هذه الشرائح وغيرها للاستزادة والتنقيح والتحليل والبحث والاستخراج.

- **عدد المخطوطات والمطبوعات الموجودة في المكتبة**

تضمُّ مكتبة معالي السيد عددا كبيرا جدا من المخطوطات يقدّر بأربعة آلآف وخمسمائة مخطوط أو تزيد إذا أمعنّا التدقيق فيها، إضافة إلى تلك المجاميع التي تجمع مختلف العلوم بين طيَّات مخطوط واحد، تولى معالي السيد –رحمه الله – تصنيفها وفهرستها، والتعليق على بعض منها وهذا ما يبدو جليا في بعض المخطوطات التي تحتاج إلى ذلك، وبهذا تعدُّ مكتبة السيد محمد

معلما مهما من معالم المخطوطات في الوطن العماني والعربي، فهي لا تقلُّ شأنا عن كثير من المكتبات التي تحوي بين جدرانها كنوزا مهمة من هذا التراث الإنساني ألا وهو المخطوط.

وتتنوع مواضيع تلك المخطوطات بين الفقه، واللغة، والكيمياء، والطب، والأسرار، وغير ذلك من مختلف أنواع العلوم الإنسانية والإسلامية، ولا يخلو أن تجد ضمن المخطوطات مخطوطات بغير اللغة العربية، وإن دلَّ هذا على شيء فإنما يدلُّ على سعة أفق معالي السيد، ولم يكن متحجر الفكر، أو مركّزا على جانب معين، بل كان هدفه جمع المخطوط كيف وأيا كان، إيمانا منه بأن فائدته للأجيال المتعاقبة لا محالة ستكون مهمّة، وقد اطّلعت على بعض المخطوطات مكتوبة باللغة التركية، وأخرى بالفارسية، وأخرى بالسواحلية.

وقد سلك السيد في فهرسة مخطوطات المكتبة مسلكا معيّنًا وواضحا وهو مسلك الترقيم الأبجدي لعناوين المخطوطات، وهو مسلك سهل وبسيط يساعد الباحث في الرجوع إلى المخطوط بأيسر طريق، حيث تجد كلَّ مخطوط يبتدئ بالهمزة في خزانة الهمزة، وكلُّ مخطوط يبتدئ بحرف الباء في خزانة حرف الباء، وهكذا، إضافة إلى الأرقام الخاصة بكلّ مخطوط، وهذا ما ستجده واضحا في فهرس مخطوطات المكتبة، حيث تجد لكُلّ مخطوط معلوماتٍ وافيةً بِدَايَةً من المُسَلْسَلِ العام للمخطوط، ثم اسم المخطوط، ثم الموضوع، ثم المؤلف، ثم اسم النَّاسخ، ثم تاريخ النَّسخ، ثم إلى من نُسخ إن وجد، ثم بيانات المخطوط من مقاسه طولا وعرضا، وعدد أوراقه، ثم وصف للحالة العامة للمخطوط، ثم نوع الحبر، وعدد الأسطر، وبعض الملاحظات إن وجدت، إضافة إلى وجود كم هائل من الكتب المطبوعة التي تزيد عن السبعة آلاف عنوان، ولا بد أن أن نشير إلى وجود متحف تاريخي بين جنبات المكتبة جمع فيه السيد بعض الأثريات والتحف التي تحكي تاريخا وتنبئ عن سيرة سلف كان له حضوره القوي في باب الحضارة والإنسانية.

المطلب الثاني: نماذج لبعض المخطوطات المتعلقة بالسير في المكتبة.

العنوان	الرقم داخل المكتبة
كتاب في السير	٨٦٥
سيرة الشيخ سعيد بن أحمد بن سعيد الكندي	١٨٥٩
سيرة مقتل الحسين	١٢٧٥
سير وأخبار	٤٢٥
السيرة الكلوية سيرة ابن المنذر	١٠٠٥ /١٤٣٠
سيرة السيد سلطان بن أحمد بن سعيد وسيرة ولده السيد سعيد بن سلطان	١٣٤٠
السيرة العبادية	٤٩٢
سير	١٤٣٤
سيرة الإمام محمد بن عبد الله الخليلي	١٦١١
السير والأخبار قطعتين	١٨٧٢ /١٨٧٣
سلاسل الذهب	٢٠٠٢
كتاب السير (مجموع) [مهم للبحث]	٢٠٢٣
كتاب السلاسل (نسخة مصورة)	٥٩
لقط الآثار المؤلف في صحار	٧٨
كتاب في غرائب الآثار	٨٠
أدبيات وسير وفتوح الشام	١٩٦ /٢٤١م.
مجلد به تاريخ من النبي صلى الله عليه وسلم إلى خلافة مروان بن الحكم	٢٠٩
مجموع	٢٣٧





العنوان	الرقم داخل المكتبة
كتاب الأخبار والآثار	٢٥٥
مخطوط تراجم لبعض الأعلام	٣١٠
الجواهر المنتقيات / الطبقات	٤٢٠
سيرة الشيخ أبي الحسن الكسائي	٤٥٣
قراطيس بها أخبار وقصص ومواعظ	٦٣٦
مجموعة سير وقصائد	٨٥٦
مجلد به سيرة سعيد بن أحمد بن سعيد الكندي	٨٥٩
مجموعة فقهية سير وخطب	٨٥٧
كتاب فيه كتب عديدة في الفتن الأولى وفتن العمانيين	٩١١
سيرة أبي المنذر سلمة بن مسلم العوتبي فالسيرة الكلوية للقلهاتي	١٠٠٤
جزء من سيرة بن هشام	١٠٠٩
لواقح الأخبار في طبقات الأخيار	١١٠٦
مذكرات القاضي عبد الغني بن أبي بكر الأموي بخطه سير وأخبار عن السلطان سعيد بن سلطان	١٢٣٦
مذكرات الشيخ عبد العزيز بن عبد الغني قاضي زنجبار	١٣٤٥/ ١٣٤٦
مجلد به سير وأحداث	١٣٥٨
تاريخ إبطال الرق في عهد السلطان برغش بن سعيد	١٣٦١
أخبار وقصص	١٤١٩
قصص وأخبار	١٤٣٣
مؤلف لابن رزيق	١٤٣٤
روض الاخبار	١٥٠٧

الصحيفة السجادية	١٥٠٩
نبذة تاريخية بخط عبد العزيز بن عبد الغني الأموي	١٧١٣
فصل القضية في نهج الإباضية	١٧٨٣
القصيدة الحلوانية	١٨١١
كتاب في السير والأخبار	١٩٦٠ /١٩٥٩
الطالع السعيد نبذ من تاريخ الأمام أحمد بن سعيد	٢٠٣٤
شرح قصيدة نشوان بن سعيد في ملوك حمير	٢٣٥
مجموعة أشعار وسير	١٠٣١

- **المبحث الثالث: كتاب السير لسليمان بن ناصر بن سليمان الإسماعيلي.**

المطلب الأول: ترجمة مختصرة للمؤلف سليمان بن ناصر بن سليمان بن عبد الله الإسماعيلي[١].

هو الشيخ الفقيه القاضي سليمان بن ناصر بن سليمان بن عبد الله الإسماعيلي، من علماء القرن الثاني عشر الهجري، كان ناظما للشعر مجيدا فيه، من علماء ولاية إبرا، من العلماء الذين اشتهر أنه تلقى العلم عنهم: الشيخ راشد بن سعيد الجهضمي، عرف الشيخ سليمان بجودة خطّه وروعته حيث نسخ كثيرا من الكتب المهمة التي كتب الله تعالى لها الحفظ وكان سببا في ذلك، وله مؤلفات قيمة وإن لم تكن كثيرة فهي على قدركبير من الأهمية، من ذلك:

١- كتاب ضخم ومهم جمع فيه مجموعة من سير المسلمين وتتروح هذه السير حوالي ٧٦ سيرة ، وهو ما عليه مدار هذه الدراسة المقتضبة.

٢- رسالة قيمة توجد نسخة منها في مكتبة الشيخ السالمي ببدية.

٣- مجموعة من الأسئلة والأجوبة تنوعت بين النظم والنثر.

(١) فهد بن علي بن هاشل السعدي، معجم الفقهاء والمتكلمين الإباضية، قسم المشرق، مكتبة الجيل الواعد، سلطنة عمان، ط ١، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، ج ٢، ص ١٥٥، تر: ٣٨٠.

٤- قصيدتان رثى فيهما الشيخين: راشد بن سعيد الجهضمي، وسالم بن راشد القصابي.

لم يحدد تاريخ وفاته بدقة إلا أنه كانا حيا على الراجح سنة: (١١٨٦هـ الموافق ل: ١٧٧٢م).

المطلب الثاني: توصيف المخطوط.

يقع هذا المخطوط القيم في بابه في خزانة حرف السين من خزائن مخطوطات مكتبة السيد محمد بن أحمد البوسعيدي رحمه الله تعالى،ويحمل رقم: (٢٠٢٣)، يضم بين طياته (٦٧٢ صفحة) فهو كتاب كبير، صفحاته من الحجم الكبير، مقاس الصفحة الواحدة منه: ٣٢ سم طولا و٢٣ سم عرضا، تحمل كل صفحة من صفحاته ما يقارب ٢٦ سطرا، فالكتاب ضخم وكبير، تولى نسخه الشيخ عبد الله بن سعيد المسكري، وذلك يوم الجمعة ٢٤ جمادى الأولى ١١٨٣هـ، و هذه المعلومة موجودة في آخر سيرة مشايخ أهل المغرب من أهل نفوسا بصفحة ٦٦٧ من المخطوط. كما نجد ذلك في أول صفحة من صفحات المخطوط بخط رائع ممتاز وعليه نقشة بديعة من أنامل الناسخ حسبما يبدو.

حالة المخطوط جيدة في جزء كبير من المخطوط، ويرثى لها في جزء آخر منه، ذلك أن الرمة أتت على كم هائل من المخطوط فأتلفته وتحول المخطوط إلى ثوقب كبيرة ضاع معها كثير من جوهر الموضوع، ولعل الخرم الحقيقي المؤثر على المادة يبدأ من الصفحة رقم: (٥٥٢) إلى آخر المخطوط، الأمر الذي يجعل عملية ترميمه مهمة مستعجلة ولا بد منها لعدة أمور، أهمها حماية وحفظ الوثائق والمخطوطات والتاريخ من الضياع، استعمل الناسخ الخط المشرقي الواضح الرائع المفهوم، واستعمل في نسخه اللون الأحمر والأسود وإن كان الأسود هو اللون الأساسي، تناول الشيخ في الكتاب عدة سير لعلماء ومشايخ وأئمة لهم دورهم وسيطهم وأثرهم في التاريخ، ومجموع هذه السير ست وسبعون سيرة، مع وجود بعض الأجوبة والكتب إلى بعض العلماء والفقهاء وعدت على أنها سير.

- **بداية المخطوط**

يبتدئ المخطوط بقول الشيخ: ...بسم الله الرحمن الرحيم سيرة النبي عليه السلام كتبها للعلا بن الحضرمي، هذا كتاب من محمد بن عبد الله بن عبد المطلب القرشي الهاشمي نبي الله

ورسوله إلى خلقه كافة سيرة للعلا بن الحضرمي ومن معه من المسلمين عهدا عهده نبي الله إليهم: أيها المسلمون اتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا للعلاء بن الحضرمي فإني استعملته عليكم وأمرته بتقوى الله الذي لا إله إلا هو وحده لا شريك له وأن يلين لكم الجناح وأن يحسن فيكم السيرة بالحق وأن يحسن ولا يتكم ويشاوركم في الأمور، كلها وأن يحكم بينكم وبين من بغى من الناس بما أنزل الله في كتابه من العدل فإذا حكم وعدل وأقسط واسترحم فرحم فاستمعوا له وأطيعوا وأحسنوا موازرته ومعونته فإن لي عليكم من الله حقا عظيما لا تقدرون على قدر ما يجب لي عليكم ولا تبلغ العقول كنه عظمة الله وحق رسوله .. (الصفحة الأولى من المخطوط).

• نهاية المخطوط

ينتهي المخطوط بقصيدة فيها خرم واضح كما هو الحال في آخر الأبيات التي جاءت في آخر صفحة من المخطوط مفادها:

من لي بقوم أطاعوا أمر	ربهم لفرض كان أو سنن
من لي بقوم أولي تقوى قلوبهم	من جميع الغش والعرن
ثم الصلاة على المختار وسيدن	ما انهل وابل ماء العارض الهتن

تمت القصيدة الحسنة بعون الله وحسن توفيقه وقد أجاد ناظمها وأحسن وهي ستة وثمانون بيتا وكان تمامها بالجمعة الزهراء وواحد وعشرين الحج سنة ١١٨٢هـ(الصفحة الأخيرة من المخطوط).

المطلب الثالث: واقع مخطوط [كتاب] السير [والجوابات].

قد يبدو عنوان المطلب غريبا نوعا ما؛ فما المقصود بواقع كتاب السير؟ من المعلوم لدى كثير من الباحثين والمطلعين على كتب السير والجوابات أن هنالك كتابا قيما، يحمل اسم [السير و الجوابات لعلماء وأئمة عمان]، من تحقيق الدكتورة: سيدة إسماعيل كاشف، سنة ١٩٨٦م، بأمر من معالي وزير وزارة التراث القومي والثقافة العمانية، السيد فيصل بن علي بن فيصل وزير التراث القومي والثقافة آنذاك؛ فبعد الاطلاع على هذا الكتب القيم الذي بذلت فيه الدكتورة جهدا قيما ومعتبرا في تصويب النص وإبداء بعض الملاحظات، وتخريج الآيات والأحاديث، أحسست

بأمر غريب وهو أن هذه المعلومات والتراجم مرّت علي قريبا في مخطوط من مخطوطات مكتبة السيد محمد بن أحمد، وأنا أقوم بعمل فهرسة دقيقة لبعض المخطوطات، فاكتشفت ولله الحمد أن التراجم المذكورة موجودة كلها في مخطوط بالمكتبة تحت عنوان: «السير»، برقم: ٢٠٢٣، حرف السين، الأمر الذي جعلني أقابل ما ذكرته المحققة للكتاب بما هو وراد في المخطوط، فاكتشفت أن الدكتورة وبناء على ما ذكرته في مقدمة التحقيق قد اعتمدت على نسخة واحدة أثناء تحقيقها للكتاب وهي نسخة وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان، والتي تحمل رقم: ١٨٥٤ وهو رقم عام ؛ ورقم: ٢ وهو رقم خاص. وبناء على هذه النسخة قدّمت الدكتورة البانات الآتية للمخطوط:

١- ضُمَّتْ هذه السير والجوابات في مجلد واحد وفي غلاف واحد مع مخطوط (كتاب الجوهر المقتصر)، ومع مخطوط كتاب (الاهتداء) وصلة كتاب الاهتداء.

٢- بدأ مخطوط (السير والجوابات) بفهرس في صفحتي ١٩٥ – ١٩٦ في المخطوط، ثم جمعت (السير والجوابات) في المخطوط من صفحة ١٩٧ إلى نهاية صفحة ٦٦٩، وهي آخر صفحات المخطوط تقريبا.

٣- عدد السير التي وردت في هذا المخطوط ٣٤ سيرة وقد رأينا تسهيلا للباحث وللقارئ أن نقسمها إلى جزئين ؛ الجزء الأول ويبدأ من السيرة الأولى إلى نهاية السيرة الثامنة عشرة وذلك لارتباط السير ١٦ و ١٧ و١٨ بعضها مع بعض، ويبدأ الجزء الأول من صفحة ١٩٧ إلى صفحة ٤٢٩ من المخطوط. أما الجزء الثاني فيبدأ من السيرة التاسعة عشرة إلى نهاية السيرة الرابعة والثلاثين، وهي التي تنتهي بها المخطوطة أيضا.

٤- ظاهر من المخطوطة أن هذه السير جُمِعَت، [أي مجموعة] ولهذا كُتِبَ في فهرس المخطوطة في صفحة ١٩٥: (معرفة عدد ما جمع في هذا الكتاب من السير والجوابات عن العلماء والأئمة رحمهم الله تعالى). ثم يقول من جمعها: أول ذلك كتاب الأحداث والصفات تأليف أبي المؤثر وفي آخر الفهرس وفي صفحة ١٩٦ من المخطوطة، نرى جامع هذه السير أو غيره يكتب عنوانا آخر لهذه السير أكثر تفصيلا فيقول: كتاب سي الأئمة القائمين بالحق في الأمة الكاشفين لكل غمّة الذابين عن دينهم كل مدلهمة، على أصول مذهب الاستقامة من الإباضية المحقة رحمهم

الله تعالى.

٥- هناك ثلاث سير في آخر المخطوط لم تدرج في فهرس المخطوط أولها سيرة الإمام عبد الله بن إباض إلى عبد الملك بن مروان (صفحة ٦١٣ – ٦٢٣ من المخطوط). السيرة الثانية سيرة شبيب بن عطية العماني (صفحة ٦٢٣ – ٦٤٦ في المخطوط)، ثم ينتهي المخطوط بكتاب الموازنة عن الشيخ العالم أبي محمد عبد الله بن محمد بن بركة البلهوي[١] رحمه الله (صفحة ٦٤٦ إلى نهاية صفحة ٦٦٩) وهي آخر صفحات المخطوط.

٦- لم يتبين على وجه التحقيق من الذي قام بجمع هذه السير والجوابات ولا في أي عصر جمعت، ولكننا لاحظنا أن الغالبية العظمى من هذه السير التي كتبت منذ القرن الثالث الهجري كتبها أئمة وعلماء عمانيون من الفرقة الرستاقية، أي من هؤلاء الذين كانوا يستنكرون ما قام به موسى بن موسى ومن معه، من عزل الإمام الصلت بن مالك وتولية راشد بن النظر وهذا مما يدعونا إلى أن نرجح أن جامع هذه السير والجوابات هو نفسه مؤلف كتاب الجوهر المقتصر، وكتاب الاهتداء، والسير الملحقة بكتاب الاهتداء أعني العالم الفقيه: أبا بكر أحمد بن عبد الله بن موسى الكندي النزاوني[٢].هذه المعلومات القيمة الطيبة التي توصَّلت إليها الباحثة الدكتورة سيدة إسماعيل كاشف بعد أن درست النسخة المخطوطة - التي تحصلت عليها من وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان- دراسة لا بأس بها، محاولةً إبراز كل ما لاحظته في مخطوط السير مما

(١) ابن بركة: هو عبد الله بن محمَّد السليمي المشهور بابن بركة (ق: ٤هـ)؛ من كبار علماء القرن الرابع الهجري، أصوليٌّ وفقيهٌ ومتكلّمٌ، لغويٌّ،وقد حمل العلم عن الشَّيخ: أبو مالك غسان بن محمَّد الصلاني، والإمام سعيد بن عبد الله (ت:٣٢٨هـ).ترك الشَّيخ ابن بركة آثارا جليلة، منها كتابه (الجامع) المشهور، و رسالة التعارف والتقييد، وكتاب المبتدأ في خلق السماوات والأرض. من أشهر تلاميذه: أبو الحسن علي بن محمَّد البسيوي، وقد قصده الكثير من طلبة العلم من خارج عمان، وكان يلقب بشيخ المغاربة. ينظر: تحفة الأعيان، ٣١٦/١. محمَّد صالح ناصر، سلطان الشيباني، معجم أعلام الإباضية، قسم المشرق، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م، تر: ٨٣٣، ص: ٢٨٥.

(٢) (ت: ٥٥٧هـ): هو العالم المجتهد الفقيه أبو بكر أحمد بن عبد الله بن موسى بن سليمان بن محمد بن عبد الله بن المقداد الكندي الأفلوجي، من سمد نزوى. تلقى العلم على يد الفقيه أبي بكر النزواني وأحمد بن محمد بن صالح الغلافقي.
وقد ترك لنا آثارا في شتى العلوم والفنون، كان أهمها: كتاب «المصنف» في الأديان والأحكام يقع في اثنين وأربعين جزءا، وله كتاب «التخصيص» في الولاية والبراءة، وله كتاب «الاهتداء» في افتراق أهل عمان إلى نزوانية ورستاقية، وكتاب «التسهيل» في الميراث، وكتاب «التيسير» في النحو، وكتاب «التقريب» في اللغة، وكتاب سيرة البررة، وكتاب «جوهر المقتصر»، وكتاب «الذخيرة»، وله سيرة يرد فيها على من اعترض على محاربة الإمام محمد بن أبي غسان لأهل العقر بنزوى، وله أشعار في الأدب والفقه. وهو الذي قام بترتيب أبواب كتاب بيان الشرع، وهو الذي سماه بهذا الاسم. ويعتبر خاتمة العلماء الفطاحل في القرن السادس.وتوفي رحمه الله عشية الاثنين ١٥ ربيع الآخر ٥٧٥هـ، ودفن بموضع المض، وقبره موجود إلى يومنا هذا.ينظر ترجمته: الاهتداء، ١٩٥، منهج الطالبين، ٦٢٦/١. قلائد الجمان،١٩، البطاشي، إتحاف الأعيان، ٢٣٧/١، الفارسي، نزوى عبر الأيام، ١٢٣-١٢٥.

من شأنه أن يسهم في إثراء المكتبة الإسلامية ويخدم الباحثين، وهو جهد علمي معتبر، إلا أنه مما شدّ انتباهي عدم إشارة الدكتورة إلى نسخة أخرى لهذه المخطوطة، خاصة بعدما توصلت بحمد الله تعالى وبعد اطلاعي المتواضع على نسخة أخرى لهذه السير والجوابات في مكتبة السيد محمد بن أحمد البوسعيدي، والتي تحمل رقم: (٢٠٢٣)، مع أن عددا النسخ الخاصة بهذه السير والتي تنسب إلى مؤلاف مجهول في الأصل، تصل إلى حوالي عشر نسخ، منها في وزارة التراث، ومكتبة السيد،ووقف السيفين كما ذكر لي الأخ الباحث محمد السيفي، فحاولت استدراك بعض ما أشارت إليه الدكتورة، وأكدت كثيرا مما رأته، وحاولت أن أبين الجديد الذي لم تتعرض له الدكتورة وهو أمر وارد نظرا لاعتمادها على نسخة واحدة وهي نسخة وزارة التراث في ذلك العهد ، وقد سجلت بداية هذه الملاحظات التي سيأتي بيانها بكل تفصيل لاحقا:

١- من خلال الاطلاع على المخطوط الموجود بمكتبة السيد اتضح لي أن هناك كتابا آخر في السير يحمل اسم (سير) من جمع الشيخ سليمان بن ناصر الإسماعيلي، وكان ناسخه: الشيخ عبد الله بن سعيد المسكري؛ وهذا ما دوّن في أول المخطوط، فقد جاء فيه: « هذا كتاب السير للواثق بالملك الديان سليمان بن ناصر بن سليمان الإسماعيلي حرره عبد الله بن سعيد المسكري»[(١)]، من علماء القرن الثاني عشر الهجري. وقد ذكر السيخ سليمان في نهاية السير قصيدة رائعة في وصف الكتاب: في الصفحة ٥٨٩ من المخطوط في أبيات رائعة منها:

٢- من عجيب الأمور أن أجد في مخطوط آخر في السير بخزانة حرف السين بمكتبة السيد برقم: ٨٦٥، وهذا المخطوط مجهول الناسخ والمؤلف؛ إلا أن المؤلف يَذءكُرُ كَثِيرًا من الأمور التي تعد مفاتيحَ للوصول إلى بعض الحلول لإشكالات مهمة؛ كإشكال نسبة كتاب السير الذي بين أيدينا اليوم، فمما وجدته مكتوبا بين ثنايا المخطوط: باب في الإمام العالم وغير العالم والوالي العالم وغير العالم والفرق من أن يجوز للإمام أن يوليه . من القاضي أبي عبد الله محمد بن عيسى في كتاب سير الأئمة؛ تأليف: أبو المؤثر[(٢)]، فهذه العبارة تأليف : أبي المؤثر، تدل دلالة واضحة على

---

(١) الورقة الأولى من المخطوطة، رقم: ٢٠٢٣، خزانة حرف السين، مكتبة السيد محمد بن أحمد البوسعيدي.

(٢) مخطوط السير، رقم (٨٦٥) مكتبة السيد محمد بن أحمد، ص ٢٧٥.

أن الشيخ أبا المؤثر الصلت بن خميس الخروصي[1] المتوفي سنة ٢٧٨هـ أي في نهاية القرن الثالث الهجري- له هو أيضا كتاب في السير، على حسب ما ذكر في المخطوط.

وبعد الاطلاع على النسخة المخطوطة الموجودة في المكتبة المتعلقة بالسير وما دونته الباحثة سيدة إسماعيل كاشف في تحقيقها وجدت نفس النص المتعلق بهذه الجزئية الوارد ذكرها في باب الإمام العالم وغير العالم، إلا أن الإشكال الذي يفرض نفسه هو: أن كثيرا من السير التي ذكرت في الكتاب المحقق جاءت بعد عصر حياة الإمام أبي المؤثر، هنا يمكننا القول إن للشيخ أبي المؤثر سيرا غير هذه المذكورة في هذا المخطوط؟! وربما من جمع هذه السير جمع ما كتبه الشيخ أبي المؤثر وأضاف عليه إضافات، وهو الحاصل في المخطوطة رقم (٢٠٢٣) الموجودة بمكتبة السيد محمد بن أحمد البوسعيدي، حيث تبين لي أن المخطوط الموجود في المكتبة برقم (٢٠٢٣) والذي يحمل عنوان السير، إنما هو من جمع سليمان بن ناصر الإسماعيلي، فقد جمع ما كتب من السير المنسوبة لمؤلف مجهول وأضاف عليها سيرًا أخرى، وأوضح دليل على هذا تواريخ بعض السير والجوابات، فليس من المعقول أن يدون الشيخ الإسماعيلي سيرا في القرن الثالث والرابع الهجري وهو من علماء القرن الثاني عشر الهجري، إلا إذا كان قد جمعها ورواها عمن قبله. كما أنه ليس من المعقول أن يؤلف عالم عاش في القرن الثالث والرابع الهجري سيرا ويجمع جوابات للقرن الثاني عشر الهجري.

٣- يقع هذا المخطوط في٦٧٢ صفحة وقع خرم واضح في الصفحات الأخيرة، إلا أن هذا الخرم لم يؤثر على المخطوط كلية، فقد بقيَ مِنْ كُلِّ صَفْحة ما يدل على المقصود والمعنى العام للفكرة.

٤- لم يُضم مع مخطوط السير للإسماعيلي أي كتاب آخر غير السير والجوابات على خلاف

---

(١) عالم جليل، وفقيه كبير، من قرية بهلا، كان كفيف البصر، يعد من العلماء البارزين في القرن الثالث الهجري.هو واحد من ثلاثة ضرب بهم المثل في عمان فقيل: رجعت عمان إلى أصم وأعرج وأعمى، فكان أبو المؤثر هو الأعمى.كان من أصحاب المشورة في اختيار الإمام الصلت بن مالك الخروصي سنة ٢٣٧هـ. وكان ممن استمسك بإمامته لما عزله موسى بن موسى وراشد بن النضر .كان من المبايعين للإمام عزان بن تميم سنة ٢٧٨هـ، حمل العلم عن محمد بن محبوب بن الرحيل، ونبهان بن عثمان وغيرهما.من مواقفه أنه نهى المتبرئين من المهنا بن جيفر عن إعلان برائتهم حتى لا يؤدي ذلك إلى الفتنة، فكف المتبرؤون عما هم عليه وأضمروا في أنفسهم البراءة.له أجوبة وفتاوى كثيرة تزخر بها كتب الفقه والتاريخ. من مؤلفاته كتاب : «الأحداث والصفات». وتفسير آيات الأحكام وقد نسب الكتاب إلى تلميذه محمد بن الحواري، ولعله نسخه فنسب إليه. ينظر ترجمته: محمد ناصر، سلطان الشيباني، معجم أعلام الإباضية، قسم المشرق، ص ٢٤٨، تر: ٧١٧.

النسخة التي اعتمدتها الدكتورة سيدة كاشف في تحقيقها. إلا أن هنالك إضافات من الناسخ والمؤلف على الصحيح، فمما ورد في الصفحة (٥٩٢) من المخطوط قول الشيخ سليمان بن ناصر الإسماعيلي خاتمة للكتاب كما أشار الناسخ:

هذا كتاب شريف ****** الأثر ... في سير المسلمين الشادة الغرر

قد فاق الشرع تصنيفا فليس له ... مثلٌ أتى في أصول الدين والسير

فهوالدليل هو الهادي ونور هدي ... ومعدن الخير ياذا السمع والبصر

كنز من التبر والإبريز ليس به ... زيف يعاب حسين الذكر والنظر

وهو الأنيس إذا لم تلق ذا****** ... والكيماء لمحتاج ومفتقر

وهو الجليس جليس ***** ... يسلي عن الهم والأحزان والضجر

وحبَّذا من أصول فيه قد سكبت ... في قالب العلم قد صحَّت من الكدر

فرحان حاز خيرا لا فناء له ... يا طالب العلم هذا خير مدّخر

أبقى وأنفع من مال ومن خدم ... ومن جموع اليوم هايل عسر

أدعوك يا رب أن تسكن مؤلفه ... في مقعد الصدق في الجنّات والنَّه

إذ أثر العلم من علم المواد إلى ... علم الغريزة حتى فاز بالظفر

نعم الكتاب الذي يسمو بصاحبه ... يوما إلى الرتبة العليا بلا نكر

طوبى لمالكه كوبى لناسخه ... محرر الخطِّ عبد الله في السُّطر

نسل سعيد الذي ازدانت بطلعته ... إبرا وفاقت جميع السهل والوعر

المسكري الأبي المصقع الفطن ... فاق البريَّة من بدو ومن حضر

كما قال الناسخ الشيه عبد الله بن سعيد المسكري كما سبق ذكره في القصيدة،أبيات مهمة تؤرخ لهذا المخطوط من جملة ما قال:

بتاسع يوم من ربيع المؤخر فرغنا فرغنا بحمد الله ذي الكرم الوتر

وعام مضى بعد الثمانين كملا ومائة بعد الألف يا صاح في الدّهر

وبالجمعة الزهراء كان تمامه وفي ساعة ****** المريخ تمَّ بلا نكر

كتاب سما في الكتب نورا وحكمة به **** أعلام كالشمس والبدر

حوى دين محبوب ودين راسب ودين ابن عباس التقي من الكدر

وأبناء محبوب صلت وجابر وخالد قحطان المؤيد بالطهر

تتيه به القرَّاءَ في كل محفل وترفوا إليه الأبصار بالعجب والفكر

إلى أن يقول:

ومن لي بتصنيف يماثل وضعه وهيهات بحر النيل يوزن بالزجر

ومن لي بمخلوق كمثل ابن ناصر سليمان ربّ الحلم والعلم والقدر

كريم إذا استوهبته جمع ماله يجود ولو بالنفس في العسر واليسر

ويغنيك من فقر إذا جئت سائلا كما أحببت الأمطار مجدوبة القفر.

وينبغي التنبيه إلى أن التاريخ المذكور في القصيدة والذي يبين يوم وشهر وسنة النسخ يتعلق بجزء كبير من السير والجوابات والمذكورة، إضافة إلى أن هنالك تواريخ أخرى دونت فيها بعض السير والجوابات؛ فنجد أن السيرة الموجهة لأهل المغرب تم نسخها بتاريخ الجمعة ٢٤ جمادى الأولى ١١٨٢هجرية. والقصيدة التي ختم بها المخطوط كان تاريخ نسخها: الجمعة ٢١ ذي الحجة ١١٨٢هجرية. بمعنى سنة تقريبا من تاريخ كتابة السير والجوابات



كما تقدم[١]

٥- كل التراجم التي ذكرتها مُحَقِّقَةُ كتاب السير والجوابات موجودة في المخطوط وتزيد عليها، وهذا ما سأذكره بتفصيل بحول الله تعالى وهو الأمر الذي يبين أن جامع كتاب السير الموجود بين أيدينا هو سليمان بن ناصر الإسماعيلي. مضيفا على ما وجده سابقا من سير وجوابات قامت بتحقيقها الدكتور سيدة. ولعل ما يؤكد هذه النقطة أن عدد السير و الجوابات الموجودة في نسخة مكتبة السيد هي ٧٥ سيرة وجواب؛ أما ما ذكر في الكتاب المحقق (٣٤ سيرة وجواب)؛ بمعنى أن نسخة المكتبة تزيد عما ذكرت المحققة بحوالي ٤١ سيرة وجوابا.

٦- عنوان المخطوط الذي اختاره الإسماعيلي هو: كتاب السير، كما هو مذكور في الورقة الأولى، أو: (كتاب السير وجمهور الأثر) من خلال ما ذكر في الصفحة (٥٨٨) من المخطوط فقد ذكر الناسخ مايلي:

« تمّت السيرة وقد انقضى كتاب السير وجمهور الأثر الجامع لسير المسلمين الفقهاء المهتدين العلماء والأئمة الراشدين والأولياء الذين آثروا الدين على الدنيا، واستحبوا الفنا على البقيا، جعلنا الله ممن سلك سبيلهم واتبع..» [٢].

٧- ترجيح محققة الكتاب أن الكندي هو جامع السير أمر نسبي لا يمكن الجزم بأنه غير صحيح، كما لا يمكن الجزم بأنه صحيح ودقيق، ذلك أن الأمر يحتاج لمزيد من التثبت والتأكيد إذا علمنا أن كثيرا من كتب السير والجوابات لم تُنْسَبْ إلى أصحابها أو أن كثيرا منها جهل مؤلفه على الصحيح الراجح، خاصة ما دوّن في القرون الهجرية الأولى.

٨- من الملاحظات التي ينبغي تسجيلها عن المخطوط أن الناسخ أضاف بعض السير والجوابات بعد أن كتب ديباجة الخاتمة التي تعنون للكتاب وتبين تاريخ النسخ، فقد أضاف بعد القصيدتين اللتين تتحدثان عن المخطوط مدحا له وتأريخا له؛ سيرة لمحمد

---

(١) للتأكد من التواريخ ينظر، مخطوط السير، رقم: (٢٠٢٣)، مكتبة السيد محمد بن أحمد البوسعيدي، ص ٦٦٨. و ص ٦٧٢.

(٢) مخطوط السير، رقم (٢٠٢٣) مكتبة السيد محمد بن أحمد، ص ٥٨٨.

علـي بـن علـي وأخيـه الحسـن بنعلـي الكلويين إلـى غيـر ذلـك ممـا ورد ذكـره فـي الفهـرس ولـم أورد الفهـرس كامـلا خشـية الإطالة.

المطلب الرابع: المنهج المتبع في تدوين كتاب السير:

إن المطلـع علـى السـير والجوابـات الـواردة فـي مخطـوط (السـير) ليلحـظ وبـكل وضـوح المنهـج الـذي سـلكه كتـاب السـير والجوابـات، مـن حيـث اعتمادهـم علـى أمـور ثابتـة وواضحـة؛ مـن ذلـك:

١ـ القرآن الكريم

نجـد حضـور آي القـرآن الكريـم داخـل السـير و الجوابـات قويـا جـدا، الأمـر الـذي يـدل دلالـة واضحـة علـى تمكـن هـؤلاء الكتـاب مـن كتـاب الله، واسـتحضارهم أحـكام الشـريعة الإسـلامية فـي كل مـا يرونـه مـن أمـور تتعلـق بمختلـف مجـالات الحيـاة، ولعـل هـذه العبـارة الـواردة فـي المخطـوط لتؤكـد وبـكل وضـوح صحـة مـا اعتمدنـاه ولا حضنـاه حيـث ورد فـي سـيرة الإمـام الصلـت بـن مالـك مـا يلـي نصـه: .. واعملـوا رحمنـا الله وإياكـم أن أبـواب الوقـوف والجهالـة معروفـة بينـة فـي كتـاب الله وسـنة رسـوله الله صلـى الله عليـه وسـلم.. [١]، وهـذا القـول يـدل دلالـة صريحـة علـى جعـل القـرآن والسـنة معتمـدا علـى الأحـكام، لـذا نجـد أن أغلبيـة السـير والجوابـات لا تخلـوا مـن هذيـن المصدريـن التشـريعيين الأصلييـن فمـن بـاب التمثيـل لا الحصـر نذكـر هـذه النمـاذج:

إلـى أولا: مـا ورد مـن آيـات فـي سـيرة شـبيب بـن عطيـة؛ مـن ذلـك قـول الله تعالـى: ﴿ وتعاونـوا علـى البـر والتقـوى ولا تعاونـوا علـى الإثـم والعـدوان﴾[٢]، وقولـه تعالـى: ﴿ الذيـن إن مكناهـم فـي الأرض أقامـوا الصـلاة آتـوا الـزكاة وأمـروا بالمعـروف ونهـوا عـن المنكـر ولله عاقبـة الأمـور﴾[٣]، وقولـه تعالـى: ﴿ لـولا ينهاهـم الربانيـون والأحبـار عـن قولهـم الأثـم وأكلهـم السـحت لبئـس مـا كانـوا يصنعـون﴾[٤]،

---

(١) مخطوط السير، رقم: (٢٠٢٣) مكتبة السيد محمد بن أحمد البوسعيدي، ص ١٦٠.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٣.

(٣) سورة الحج، الآية: ٤١.

(٤)سورة المائدة، الآية: ٦٣.

ومنـه قولـه تعالـى: ﴿ هـذا بصائـر مـن ربكـم فمـن أبصـر فلنفسـه ومـن عمـي فعليهـا﴾[1].

٢- السنة النبوية الشريفة الفعلية والقولية والتقريرية

لـم يختلـف اهتمـام أصحـاب السـير والجوابـات بالقـرآن الكريـم عـن اهتمامهـم بالسـنة النبويـة الشريفة المطهـرة، وحينمـا نذكـر مصطلـح السـنة هنـا نقصـد بـه السـنة القوليـة والفعليـة وكـذا التقريريـة، فمـن خـلال تصفحـي وتأملـي لهـذه السـير الجوابـات وجـدت أن الاعتمـاد علـى السـنة كان واضحـا جـدا فـي تعليـل الأحـكام، والاجتهـادات، وربـط بعـض الأحـكام بعضهـا ببعـض، ونظـرا لعـدم إمكانيـة اسـتقراء واسـتقصاء كل مـا ورد فـي ذلـك سـأكتفي بذكـر بعـض النمـاذج وأحيـل إلـى بعضهـا مـن بـاب التأكـد وإلا فالأصـل فـي المخطـوط واضـح؛ فمـن ذلـك مـا ورد فـي جـواب مـن أبـي المؤثـر الصلـت بـن خميـس إلـى أبـي جابـر محمـد بـن جعفـر قولـه: ...وقـد بلغنـا عـن النبـي صلـى الله عليـه وسـلم أنـه قـال : « مـن تعلـم العلـم ليباهـي بـه العلمـاء و يمـاري بـه السـفهاء ويصـرف وجـوه النـاس إليـه فليتبـوأ مقعـده مـن النـار» [2]، مـن السـنة الفعليـة مـا ورد فـي قـول أبـي المؤثـر: .وقـد كان النبـي صلـى الله عليـه وسـلم يبعـث القليـل إلـى الكثيـر[3] وهنـا يقصـد أن النبـي صلـى الله عليـه كان يبعـث نفـرا قليليـن إلـى أنـاس كثيريـن فـي بعـض الحـالات لقتالهـم، وقـد جـاء هـذه الاستشـهاد مـن أبـي المؤثـر فـي معـرض حديثـه عـن الجهـاد والقتـال والمقاتلـة.

٣- الاستشهاد بآثار الصحابة والتابعين الأخيار:

وهـذا مـا نجـده مبثوتـا فـي أكثـر مـن سـيرة وجـواب لتأكيـد حكـم شـرع، أو اعتمـاد قـول ورأي واجتهـاد، مـن ذلـك مـا ذكـر فـي سـيرة أبـي المؤثـر فـي التحريـض علـى الجهـاد حيـن يكـون لازمـا، قـال: ...وبلغنـا عـن أبـي بكـر رحمـة الله عليـه لمـا بعـث جيـش أسـامة بـن زيـد قـال لـه المسـلمون: لـو حبّسـت جيـش أسـامة بـن زيـد تقـوّي بـه فيمـا قبلـك فـإن المسـلمين قليـل والإسـلام ضعيـف، فقـال أبـو بكـر رحمـة الله عليـه: إن جيشـا غمـر الرسـول صلـى الله عليـه وسـلم بإنفـاذه لأنفذنـه ولـو أكلتنـي السـباع بالمدينـة،

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٣ . للاستزادة من ذلك ينظر مثلا في المخطوط صفحات: ٨١، ٨٢، ١٠٤، ١٢٧، ١٤٤، ٣١٧، ٤٣٥، ٥٤٩، ٦٤٤، ٢١٦،

(٢)مخطوط السير، رقم: (٢٠٢٣) مكتبة السيد محمد بن أحمد، ص ١٨٨.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٩١. للاستزادة ينظر مثلا في المخطوط صفحات: ٩٢، ١٠٧، ١٢٦، ١٢٩، ١٦٨، ٢١٣، ٢٣٤، ٢١٦،

فبعث أبو بكر رحمه الله الجيش إلى الشام ولم ينظر في قولهم... [1]، ومن ذلك أيضا ما ذكر في رسالة هارون بن سليمان إلى الإمام المهنا بن جيفر في شأن محبوب بن الرحيل، وقد كان الحديث عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والحث على إقامة شرع الله تعالى وحدوده كما أمر ، وفعل نبيه والصحابة من بعده فذكر من ذلك ما فعله عمر بن الخطاب، فقال: ...وقد أتي عمر بن الخطاب بالمغيرة بن شعبة فشهد عليه أربعة بأنهم رأوه بين رجلي امرأة مجتهدا في الحركة قد جلس منها مجلس الرجل من أهله فقال ثلاثة منهم رأينا فرجه في فرجها مثل المرود في المكحلة، وقال الآخر فإني لم أره ولكني رأيتهما متجردين وهو جالس منها مجلس الرجل من أهله، وأجمعوا له جميعا على تجرّده ومجلسه منها مجلس الرجل من أهله وتفرّقوا في رؤية الفرج فجلد الذين زعموا أنهم رأوا فرجه في فرجها ورآهم قاذفين فجلد كلّ واحد منهما ثمانين جلدة واستتابهم ولم يجلد المرأة ولا المغيرة ولا الشاهد الرابع ولم يستتب المرأة ولا المغيرة ولا الشاهد الرابع ولو كان ذلك بلغ بواحد منهم عند عمر كفرًا لاستتابه ولو كان ما ذكر ممن تجرّدهما وجلوسه منها جلوس الرجل من أهله مكفرا لهما عنده لكان الشاهد الذي شهد عليهما بالتجرد والجلوس منها مجلس الرجل من أهله كفراعند عمر لما رماها به مما لم يقبل قوله فيها ولا استتابه من كفارة إياهما بما وصف منهما لأن من كفر مؤمنا فهو أولى بالكفر منه ولم نجده استتابها ولا استتاب الشاهد الرابع بما رماهما من التجرد والاجماع ولم يجلده كما جلد الثلاثة الذين شهدوا عليها ولم يستتبه كما استتاب الثلاثة الذين جلدهم فوقفنا لوقفه عن كل ما كان مثله..[2].

ومما ورد في سيرة الإمام راشد بن سعيد رحمه الله والذي يدل على الاستشهاد بآثار الصحابة والتابعين الأخيار ما جاء عن في قصة وفاء الإمام أبي الشعثاء جابر بن زيد رحمه الله؛ ومما جاء في ذلك: وقد روي عن الحسن بن أبي الحسن البصري دخل على جابر بن زيد رحمه الله وهو يجود بنفسه للموت، فقال له: يا أبا الشعثاء قل لا إله إلا الله، فسكت جابر، فأعاد عليه القول، فقال يا أبا الشعثاء قل: لا إله إلا الله، فلم يجب، فقال الحسن لا حول ولا قوة إلا بالله

(١) مخطوط السير، رقم: (٢٠٢٣) مكتبة السيد محمد بن أحمد، ص ١٩٠.

(٢) مخطوط السير، رقم: (٢٠٢٣) مكتبة السيد محمد بن أحمد، ص ٢٢٠.

رجل مثل جابر بن زيد لم يرزق عند موته شهادة إن لا إله إلا الله ، ثم أعاد عليه القول ثالثة، فقال له يا أبا الشعثاء، قل: لا إله إلا الله، فقال جابر: قد طال ما قلناها إن تُقُبِّلت، ثم تلا هذه الآية : هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك يوم ياي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا قل انتظروا إنا منتظرون[1]، قال الحسن: عالم وربُّ الكعبة[2].

ومن ذلك ما جاء في في سيرة أبي الحسن علي بن محمد البسياني في موضوع الإمامة حيث تكلَّم بكل استفاضة عن هذا المبحث وغيره مستدلا ومستشهدا بما قاله الله تعالى وقاله نبيه الكريم، واستدل بما قاله أبو بكر الصديق رحمه الله تعالى في باب طاعة ولي الأمر ما أطاع الله تعالى فقال: ورواية أخرى [يقصد عن النبي صلى الله عليه وسلم]: «إن وليكم حبشي فأقام فيكم كتاب الله وسنتي فاستمعوا له وأطيعوه»، وقال أبو بكر: قد وُلِّيتُ هذا الأمر عليكم ولست بأخيركم فأطيعوني ما أطعت الله؛ فإذا خالفت أمره فلا طاعة لي عليكم... [3]

٤- المصادر التاريخية

من المميزات التي ميزت هذه السير والجوابات، الاستشهاد بالمصادر التاريخية والمقصود بالمصادر التاريخية ذكر بعض المصنفات أو العلماء الذين قالوا بقول من الأقوال فمن ذلك ما ورد في سيرة الشيخ الفقيه أبي قحطان خالد بن قحطان رحمه الله، حيث تكلم عن آدم وحواء وعن الرسول صلى الله عليه وسلم وعن الخلافة والإمامة الإباضية إلى الصلت بن مالك وخروج موسى بن موسى، ذكر ما نصُّه: وفي كتابا لصلت بن مالك إلى الجمهور بن سنجة يخبره كيف تمّ اعتزاله... [4].

ومن ذلك ما ورد في سيرة أحمد بن موسى بن عبد الله بن موسى في قوله: وأما قوله من دفن الأنهار، فغنكان يعني حبس أنهار البغاة فإن ذلك عنده لا يجوز بإجماع فليت شعري

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٥٨.

(٢) مخطوط السير، رقم: (٢٠٢٣) مكتبة السيد محمد بن أحمد، ص ٢٧٧، ٢٨٨.

(٣) المصدر نفسه، ص ٣٤٠، للاستزادة من هذه الجزئية ينظر مثلا مخطوط السير صفحات: ١٩٧، ٣٤٧، ٣٩٣، ٤٣٩، ٤٤٢، ٤٤٧، ٦٢٠.

(٤) مخطوط السير، رقم: (٢٠٢٣) مكتبة السيد محمد بن أحمد، ص ٤٥١.

عمّن أخذ هذا الأثر وإلى من يسنده من أهل العلم والبصر فإن الموجود في آثار المسلمين خلافا لمقاله والمسيود إلى علماء الدين ناقص لاعتلاله، وقال الشيخ بشير بن محمد بن محبوب في سيرة المحاربة وإذا قامت الحجة على البغاة وشهرت فيهمن قصد المسلمون حينئذ بالحرب إلى مجامعهم وفرقهم بكل ما لا يطمع المسلمون بكفاية بغيهم عليهم إلا بذلك الحرب لهم يجوز منهم وتغريقهم وتحريقهم وهدم حصونهم وقطع المواد عنهم وحبس المياه والأطعمة عنهم والحمولة أن يصل شيء من ذلك إليهم كان لهم أو لغيرهم إلى أن يفيئوا إلى أمر الله أيامهم(١)

٥- طرح أسئلة وإيجاد أجوبة لها.

وهذا ما نجده واضحا جليا في كثير من السير والجوابات وبالأخص التي تتحدث عن مسألة من مسائل العقيدة، أو مما من شأنه أن يقع فيه الاختلاف بين العلماء والمجتهدين لعدة احتمالات، و من ذلك ما جاء في سيرة ابن بركة في الحديث عن إمامة الصلت بن مالك وخروج راشد عليه فبعد حديث طويل عن صفة خروج راشد على الصلت بن مالك، ومحاججة البعض في ذلك أراد الإمام أبو محمد أن يبين ويجيب عن بعض الاحتمالات التي قد ترد في هذا الموضوع، بعد أن ذكر أن هذا الفعل من أفعال المرجئة الحشوية(٢).

• المبحث الرابع: أهم المواضع التي حواها مخطوط السير

المطلب الأول: الولاية والبراءة.

أولى كتاب السير والجوابات في الفكر الإباضي منذ القديم عناية واهتماما منقطع النظير في الاهتمام بمسائل العقيدة على عمومها، وركزوا على مسائل مهمة في بعض الأحيان، مستفرغين جهدهم في التحليل والنقد،والاستشهاد، ومن ذلك مبحث الولاية والبراءة الذي يعد في الأصل من مسائل العقيدة التي برزت فيها نظرة المذهب تأصيلا وتطبيقا، والمطلع على مخطوط السير والجوابات للشيخ سليمان بن ناصر الإسماعيلي ليجد هذا الملحظ واضحا جليا، ففي عدّة سير وجوابات نجد العلماء الأخيار يتعرضون لهذه المسألة ويبرزون فيها الآراء المعتمدة، ولربما

---

(١) مخطوط السير، رقم: (٢٠٢٣) مكتبة السيد محمد بن أحمد، ص ٢٢٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٢٩، ١٣٠، ينظر مثلا: المصدر نفسه: ١٥٨، ١٩٢، ٢٢٦،

اجتهد عالم من أولئك العلماء في جزئية من جزئيات الموضوع، وفرض لذلك فروضا وأعد جوابات شافيةكافية لتلك الفروض المحتملة،وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على الاهتمام البالغ والبليغ بأمور الدين والعقيدة بالدرجة الأولى. وقد وردت عدة مباحث لتأصيل هذا المبدأ وكذت تطبيقه من ذلك ما ورد في سيرة أبي الحسن، يقول: قلت من ترك المضمضة والاستنشاق متعمدا والسواك وأخذ الشارب وحلق العانة وقلم الأظفار ونتف الإبطين على العمد ما يكون منزلته [يقصد الولاية أم البراءة] قال: يكون خسيس المنزلة بتركه السنة وينصح له ويستتاب ولا يبلغ به ذلك إلى براءة[1].

وفي سؤال آخر يتعلق بقراءة السورة في الظهر والعصر فإن الشيخ يرى أن يستتاب وإلا تبرئ منه، وهذا مفاد قوله: هذا قد خالف السنة والإجماع وصلاته منتقضة ويستتاب وإلا برئ منه[2]، على أن هذه المسألة اجتهادية وليس الموضع موضع تعليق أو تحليل للآراء والأقوال، هذا فقط من باب التمثيل على ورود مباحث الولاية والبراءة في المخطوط وتطبيقات ذلك.وهي كثيرة جدا [3].

المطلب الثاني: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

إن المتفحص في مخطوط السير و الجوابات يجد أن جزءا كبيرا منه يهتم بهذا الجانب وهو الوعد والوعيد أو التواصي بالحق أو ما يسمى بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،وكل هذه المسميات تدل على معنى واحد، فقد اهتم أصحاب السير والجوابات بهذا المبدأ الأساسي فياستقامة الدين وسلوك الفرد والمجتمع، الذي ينتخب منه الخليفة والإمام، فبناء الفرد والمجتمع على قواعد متنية،وركائز قوية من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يبشر بنهضة دينية ودنيوية حافلة، استنادا إلى نصوص الشارع الحكيم، الذي حض على هذا المبدأ العملي في أكثر من موضع إنْ في الوحي المتلو أو غير المتلو، والجميل في الموضوع أن نجد أن هذا المبدأ لم يكن مقتصرا على فئة معينة ومحددة، بل كان مبدأ عاما شاملا لكل من بدر منه ما يوجب تذكيره وتنبيهه،

---

(١) المصدر السابق، ص ٢٧٥.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٧٥.

(٣) للاستزادة ينظر مثلا: ٣٧٦، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٠،

فصار هذا المبدأ قضية كبرى من قضايا المجتمع بل والمدرسة الإباضية، ولعل مبدأ الولاية والبراءة تولد من هذا المبدأ، فإن التزم العبد أحكام الشريعة كان في الولاية وإن خالف عومل بما تقضيه مصلحة الدين. ومن بين الأمثلة على هذا ما ورد في سيرة أبي الحسن علي بن محمد البسياني رحمه الله فمن جملة ما قاله: وقد أوجب الله الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في كتابه فقال: كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر(١) فجعلهم على ذلك خير أمة، ولا يكونوا خير أمة إلا بالأفضل من العمل فقد ذمَّ من ترك ذلك، فقال تعالى: «كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدَّمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون»(٢)، «فأوجب لهم العذاب لولاية الذين كفروا فمن تولى الكافر كان مثله، بقوله: ومن يتولهم منكم فإنه منهم»(٣)، ....وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: « لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطنَّ الله عليكم شراركم ثم يدعوا خياركم فلا يستجاب لكم»، وقد يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم من طريق أبي بكر الصدِّيق أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « ما ترك قوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا أعمهم الله بعقاب»،وقد سار بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأجمعت الأمة عليه وبيان الحجة في ذلك إن شاء الله مما عملوا به من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وذلك واجب على كل مسلم استطاع وسمع في ذلك لله وأطاع، والدينونة عند المسلمين الأمر بالمعروف والعمل به، وولاية أهله عليه، والنهي عن المنكر والبراءة من أهله عليه، ...(٤).

ومما ورد في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أيضا ما جاء في سيرةلأبي الحواري محمد بن الحواري العماني إلى أهل حضرموت،مما جاء فيها: ...وأن تأمروا بالمعروف وتحثوا أهله عليه وتنهوا عن المنكر وتردوه على من عمل به، وتنزلوا كل ذي حدث حيث أنزله حدثه، وتقيموا فيهم كتاب الله، وتحيوا فيهم سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسيروا بهم سيرة

---

(١) سورة: آل عمران، الآية: ١١٠.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٧٣.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٥١.

(٤) المصدر نفسه، ص ٣٣٤، ٣٣٥.



أئمـة الهـدى فـي حـد الغضـب منكـم والرضـا فـلا يخرجنكـم الغضـب مـن الحـق ولا يدخلنكـم الرضـا فـي الباطـل ولا *** أمـر النـاس عنـدج قدرتكـم عليهـم مـا لـم يـأذن بـه الله لكـم فيهـم ولا تخافـوا فـي الله لومـة لا ئم،واجعلـوا النـاس مـن عندكـم فـي الإنصـاف سـوى، واحـذروا أن يستمليكم إلـى أحـد منهـم هـوى، ولاتركنـوا إلـى أهـل الطمـع والجهـل والعمـى، فـإن الله جلَّ ذكـره قـد حذَّر نبيـه صلـى الله عليـه وسـلم فتنتهـم، وقـال: واحذرهـم أن يفتنـوك عـن بعـض مـا أنـزل الله إليـك[1] وقـال: ولا تركنـوا إلـى الذيـن ظلمـوا فتمسكم النـار ومـا لكـم مـن دون الله مـن أوليـاء ثـم لا تنصرون[2]....ونوصيكـم بطاعـة الله أن تعملـوا بهـا وتدعـوا إلـى الوفـاء بهـا، وأن تحضـوا علـى إقامـة شـرايع الإسـلام، والرضـا بالحـلال واجتنــاب الحــرام، وأن تعملــوا بفرائــض القــرآن فيمــا ســرَّكم أو أســاءكم أو نفعكــم أو ضرَّكــم، وأن تسـمعوا وتطيعـوا لمـن ولأه الله أمركـم فيمـا أطـاع الله فيهـوأن تعاونـوا علـى البـر والتقـوى ولا تعاونـوا علـى الإثـم والعـدوان، وأن تقولـوا بالحـق، وأن تجتمعـوا علـى العـدل...[3]، وهكـذا نجـد أن مبـدأ الأمـر بالمعـروف والنهـي عـن المنكـر مبـدأ راسـخ وعليـه مـدار الحديـث فـي كل مـا سـنحت الفرصـة بذلـك[4]

المطلب الثالث: الإمامة والخلافة.

مـن المواضيـع التـي نقرأهـا ونمـر عليهـا فـي كثيـر مـن السـير والجوابـات الـواردة فـي المخطـوط، مبحـث الإمامـة أوالخلافـة، وهـو موضـوع لـه قـدر وشـأن كبيـر لـدى أتبـاع المذهـب الإباضـي، لـذا تناولـوه بالاهتمـام والرعايـة، تحليـلا لمـا ورد فـي ذلـك مـن نصـوص، وتأصيـلا لبعـض المبـادئ الهامـة، ولعـل كثيـرا مـن السـير والجوابـات التـي تناولـت مبحـث إمامـة علـي وخلافتـه لأمـور المسـلمين ثـم التنـازل عـن تلـك الإمامـة الشـرعية لمعاويـة بـن أبـي سـفيان هـي منطلـق الإباضيـة أو كُتَّابْ السـير والجوابـات بدايـة مـن القـرون الهجريـة الأولـى إلـى يـوم النـاس هـذا، مـع مراعـاة الزمـان والمـكان، ولأهميـة هـذا الموضـوع والمبحـث الشـرعي مـن جهـة والسياسـي مـن جهـة أخـرى، نجـد أن علمـاء اهتمـوا بـه أيمـا اهتمـام فتناولـوه مـن عـدة جوانـب، خاصـة مـا يتعلـق بالإمـام نفسـه، و لـم يغفلـوا

(١) سورة المائدة، الآية ٤٩.

(٢) سورة هود، الآية: ١١٣.

(٣) مخطوط السير، سليمان بن ناصر الإسماعيلي، رقم (٢٠٢٣) مكتبة السيد محمد بن أحمد، ص ٤٦٤.

(٤) للاستزادة من هذه الجزئية ينظر مثلا: مخطوط السير: رقم: (٢٠٢٣) مكتبة السيد محمد بن أحمد صفحات: ٢٧٦، ٢٧٩، ٤٨٢، ٥١١، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٤، ٥١٩، ٥٢٤، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٥، ٥٤٦، ٦٢٠ وغير هذا كثير.

مـا ينبغـي علـى الرعيـة فـي مبحـث مُهِمٍّ مَفَـادُهُ: (واجبـات الإمـام وحقوقـه) فالواجبـات مـا عليـه القيـام بـه،والحقـوق مـا ينبغـي علـى الرعيـة اتجـاه الإمـام، لـذا سـأورد بعضـا ممـا ذكـر فـي هـذا الموضـوع الشـيق والمهـم، مقتصـرا علـى بعـض جزئياتـه فقـط؛ فمـن ذلك:شـروط الإمـام وأخلاقـه.

- أن يكون خير أهل زمانه.
- يكون قوي العقل سليم الفطرة.
- يكون عدلا مرضيا.
- سـليما ممـا يحـول بينـه وبيـن مزاولـة أعمـال منصبـه علـى أكمـل و جـه .

١ـ واجبات الإمام

- طاعة الله ورسوله.
- إقامة الحدود.
- حفظ الرعية وعدم الألقاء بهم إلى التهلكة.

فـي فقـرة مهمـة مـن فقـرات سـيرة الشـيخ أبـي الحسـن يقـول فـي هـذا الموضـوع المتعلـق بصفـة الإمـام الـذي يجـوز إقامتـه للأمـور: قـال: أن يكـون خيـر أهـل عصـره، ويكـون أقـوى طبايعـه عقلـه ثـم يصـل قـوة عقلـه شـدة الفحـص وكثـر سـماعه بحسـن العـادة فـإذا جمـع إلـى عقلـه علمـا وإلـى علمـه حرفـا، وإلـى حرفـه عرفـا، فذلـك الـذي يعدُّ لعزِّ الدولـة ونكايـة العدوِّ،و يقـوى علـى إقامـة الحـق ويكـون عـدلا مرضيـا.... [١] .

٢- حقوق الإمام

- السـمع: علـى الرعيـة أن تسـمع للإمـام فيمـا يـراه ويقولـه بنـاء على الشـروط السـالف ذكرهـا، فالاسـتماع إليـه يوجـب الطاعـة فيمـا يقـول.
- الطاعة: وهذا ما يستلزمه السمع والنصياع لأوامر الإمام.
- النصـرة: نصـرة الإمـام تعنـي عـدم خذلانـه فـي مواقفـه التـي يـرى فيهـا مصلحـة، وإن اسـتدعى الأمـر الدخـول فـي حـروب ومعـارك وفـق المصلحـة العامـة.

---

(١) المصدر السابق، ص ٣٧٧.



- تسديد إمامته.
- توليه ما أقام حدود الله تعالى واطاع الله فيهم.

ولعل هذه الأمور كلها ملخصة في هذه الفقرة التي وردت في سيرة إلى الإمام الصلت بن مالك في مخطوط السير، يقول فيها: ومما أوجب الله لإمام المسلمين على المسلمين أن يسمعوا له ويطيعوه وينصروه ويسددوا إمامته ويتولوه ما أقام فيهم دين الله وأحسن السيرة وعمل بالكتاب والسنة وكان لجميع المسلمين ناصرا ولجميع الرعية حافظا..[1].

٣- استقالة الإمامة او إقالته

في نفس السيرة نجد كلاما مهما يتعلق بجزئيةاستقالة الإمام وإقالته وما الداعي إلى ذلك وهذا كله ملخص فيما يأتي من هذه الفقرات المقتبسة من المخطوط،والتي تحتاج إلى شرح مستفيض في غير هذا الموضع لضيق الوقت، ومفاد هذه الفقرات هو: « قلت: فالإمام بما تزول إمامته ويكون على ولايته، قال: إذا زال عقله بجنون لا يفيق أو خرس لسانه فلا ينطق او عمي فلا يبصر، أو أصمّ فلا يسمع إذا نودي فهذا تزول إمامته على بعض القول لأنه عاجز عن القيام بفروض الإمامة، قلت فإن عرج أو زمن أو مرض هل يعزل، قال: لا إذا عرف منه العدل لم يعزل، ولا يعزل الإمام بالعجز إلا بالذي وصفت لك، فأما إذا كان يعقل ويعدل فلا يعزل» وفي فقرة أخرى من سيرة الشيخ أبي الحسن يقول في هذا الموضوع المتعلق بصفة الإمام الذي يجوز إقامته للأمور: قال: أن يكون خير أهل عصره، ويكون أقوى طبايعه عقله ثم يصل قوة عقله شدة الفحص وكثر سماعه بحسن العادة فإذا جمع إلى عقله علما وإلى علمه حرفا، وإلى حرفه عرفا، فذلك الذي يعدُّ لعزِّ الدولة ونكاية العدوّ،و يقوى على إقامة الحق ويكون عدلا مرضيا....[2]. كما أن الإمام إذا ارتكب محرما مما هو معلوم من الدين بالضرورة، كالقتل العمد، والزنا،وشرب الخمر، فإن ذلك مما يوجب عزله، يقول السيخ أبي الحسن في سيرته: «قلت: فإن زنا الإمام أو قذف محصنا أو قتل نفسا مؤمنا ظلما،قال: تزول إمامته إذا صح ذلك عليه من أحد وجوه الصّحة عزل من إمامته وقدم إمام يقيم عليه الحد وإن تاب رجع إلى ولايته ولا يرجع إلى إمامة

---

(١) المصدر السابق، ص ١٦٤.

(٢) المصدر السابق، ص ٣٧٧ وما بعدها.

المسلمين وكذلك إن ارتد عن الإسلام وعلم ذلك منه، قدم إمام عليه وقتل إن لم يتب وإن تاب لم يعزل، قلت فإن رجع إلى دين القدرية أو الروافض أو الخوارج ؟ قال: إن علم منه ذلك منه استتيب فإن تاب قبل منه وإن أصرَّ برئ منه وزالت إمامته وحورب حى يعتزل أو يقتل ويقدم إمامٌ غيره وفي فقرة أخرى من سيرة الشيخ أبي الحسن يقول في هذا الموضوع المتعلق بصفة الإمام الذي يجوز إقامته للأمور: قال: أن يكون خير أهل عصره، ويكون أقوى طبايعه عقله ثم يصل قوة عقله شدة الفحص وكثر سماعه بحسن العادة فإذا جمع إلى عقله علما وإلى علمه حرفا، وإلى حرفه عرفا، فذلك الذي يعدُّ لعزِّ الدولة ونكاية العدوِّ،و يقوى على إقامة الحق ويكون عدلا مرضيا....[1] .

هذا غيض من فيض ما ذكر في أحكام الإمام والإمامة على العموم وعلى وجه الخصوص،اكتفيت بذكر هذه المباحث لضيق الوقت وإلا فإن عدة سير وجوابات حوت مباحث مهمة، ونكتا بالغة في موضوع الإمامة، لو أسقطت هذه النقاط على الواقع ولو امتثل بها ولاة الأمر لساد العدل والأمن والأمان، وهذا يحتاج إلى دراسة واقعية عملية سياسية لمحاولة تقريب الحكم الإسلامي الشرعي بسياسات الحكم المعاصر.

المطلب الرابع: التأريخ لبعض الأحداث.

لعل أهم ما يلاحظ في هذه السير والجوابات أنها في الأصل تاريخ، فهي وإن لم تذكر احداثا وقعت في الماضي فغنها تعد بمثابة مدونة تاريخية تدون للأجيال اللاحقة ما يقع في ذلك الزمان، لذا فإننا لو تأملنا وامعنا النظر لوجدنا أن من اهم أهداف السير خاصة وكذا الجوابات في بعض الأحيان الاهتمام بالأمور التأريخية، كما هو الحال في كثير من السير التي وردت في المخطوط، ومن ذلك:

وقد أخبرنا بعض شيوخنا أن المسلمين من أهل عمان كانوا يحملون إلى بني عمارة كل عام أموالا ليدفعوا به شرهم وما يحاذورن على المسلمين منهم والله أعلم كان ذلك من صلب أموالهم، أو من مال المسلمين، فغن كانوا دفعوا ذلك من أموالهم فجايز لأن على المسلم أن تكون نفسه آثر عنده من ماله وأن ينفق ماله في صلاح نفسه ودينه، وقد أمره الله تعالى بذلك في غير

(١) المصدر نفسه، ص ٣٧٩.

موضع من كتابه، وإن كانوا دفعوا هذه الأموال إليهم من بيت مال الله على سبيل ما يدفع إلى المؤلفة فجايز ذلك، وقد فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم والتأسي برسول الله صلى الله عليه وسلم مباح وطاعة من فعل ذلك تأسيا به[1].

...وأيضا فإن خازم بن خزيمة لما خرج في طلب شيبان فوجد أهل عمان قد قتلوه فطلب إلى الجلندى ابن مسعود يسلم خاتمة وسيفه وأن يخطب لسلطان بغداد ويعترف بالسمع والطاعة، فاستشار الجلندى العلماءَ من أهل زمانه ومعهم يومئذ هلال بن عطية الخراساني وسبيب بن عطية العماني وخلف بن زياد البحراني وغيرهم من المسلمين فأشاروا عليه أن يدفع سيف شيبان وخاتمه وما يرضيه من المال ويضمن لورثة شيبان بقيمة السيف والخاتم ويدفع بذلك عن دولة المسلمين فأبا خازم بن خزيمة إلا الخطبة والطاعة، فرأوا أن ذلك لا يجوز لهم في باب الدين أن يدفع عن الدولة بالدين وإنما يدفع عنه مع الرجا بالمال[2].

المطلب الخامس: الاهتمام بالمسائل الفقهية الفرعية.

سبقت الإشارة إلى أن هذه السير التي جمعها الشيخ سليمان بن ناصر الإسماعيلي إضافة إلى ما تم جمعه من قبله اهتمت اهتماما بالغا ببعض الأمور العقدية[3] كالولاية والبراءة، والمعصية والكفر والشرك وغير ذلك مما هو مبثوت في ثنايا المخطوط، وهذا لا يعني على أي حال من الأحوال أن الجانب الفقهي كان غائبا في المخطوط، بل نجد أن العلماء والمشايخ أصحاب السير والجوابات اهتموا بكثير من الجزئيات التي وجب التنبيه والتنبه إليها، في عدة مواضع ما يدل دلالة واضحة جلية لا غموض فيها على تمكنهم في ذلك،ورؤيتهم إلى المنظومة الدينية نظرة شاملة لكل جزئياتها، فلم يغفلوا جانبا من جوانبه، ولم يميلوا إلى جانب على حساب آخر،وإن كانت الجوابات في بعض الأحيان يغلب عليها الطابع العقدي فإن هذا مما يقتضيه الجواب الخاضع لإرداة السائل، فليس من المعقول أن يسأل السائل سؤال فقهيا فيكون الجواب فقهيا، وكذا العكس، وغرضي من ذكر هذه الملاحظة بيان أن المشايخ الذين كتبوا تلك السير والجوابات لم

---

(١) المصدر نفسه، ص ١١٢.

(٢) المصدر نفسه، ص ١١٣.

(٣) المصدر نفسه، ينظر مثلا: صفحات: ١٤، ٤٧، ١٤٢، ١٨٦،٣١٥ ، ٣٥٦ وغير هذا.

يغفلوا جانبا من الجوانب؛ ولعل هذه الأمثلة الواردة في المخطوط تفي بالغرض على سبيل المثال لا الحصر:

مما ورد في جواب للشيخ أبي الحسن: ...قلت رجل أفطر في آخر يوم من شهر رمضان متعمدا فوافق يوم الفطر،ورجل خرج يريد الزنى بامراة حرام متعمدا فوافق زوجته ورجل سرق شاة فذبحها فإذا هي شاته ورجل قتل رجلا متعمدا لقتله فوافق قاتل أبيه، ورجل قاتل مع فئة على أنها الباغية متعمدا فإذا هو مع المبغا عليها، ما يلزمه في جميع ذلك؟ قال يلزمه التوبة والاستغفار ولا يلزم غير ذلك[1].

ومن الأمثلة على ذلك أيضا: ما ورد في رجل قال لا أصلي على جنازة ولا أصلي الجماعة ولا أصلي صلاة العيدين ما يبلغ به ذلك، قال [يعني أبا الحسن]: «هذا على الكفاية فإذا قام به البعض من الناس سقط عن من لم يقم به في فعله ، ذلك كان مخطناوبرئ منه على تخطيته للمسلمين وفي مسألة أخرى إن قال رجل لا أصلي قيام شهر رمضان ولا أصلي صلاة الضحى ولا أصلي صلاة الوتر إلا ركعة ولا أصلي بعد صلاة الظهر ولا قبلها ولا أصلي الركعتين بعد المغرب ولا ركعتي التهجد ولا أتنفَّلُ بشيء من النوافل، ولا أصوم غير شهر رمضان ولا أتصدق بشيء غير الزكاة ما يبلغ منه ذلك، فكان الجواب: يكون خسيس المنزلة ولا يبلغ به إلى براءة إلا أن يضلل من فعل ذلك من المسلمين فإن ضلل أحدا كان هو الضال، ..»[2].

الخاتمة

بعد هذه الجولة الطيبة المباركة في رحاب مخطوط قيم من مخطوطات السير و الجوابات الإباضية وهو كتاب السير والجوابات من جمع الشيخ سليمان بن ناصر الإسماعيلي؛ يطيب لي أن أدوّن بعض النتائج التي تبينت لي من خلال هذه الدراسة التي تحتاج إلى مزيد من العناية والتنقيب والتدقيق إن مدّ الله سبحانه وتعالى في الأعمار، وسأجمل فيما يلي أهم النتائج والتوصيات:

(١) المصدر نفسه، ص ٣٧٤.

للاستزادة من هذا ينظر مثلا: المصدر نفسه صفحات: ٣٥٧، ٥٢٢، ٣٨٧، ٣٨٨، ١٨٢، وغير هذا في مواضع كثيرة.

(٢)لمصدر نفسه، ص ٣٧٥.

١- الشيخ سليمان بن ناصر الإسماعيلي عالم متمكن لم يدوّن كثيرا من المؤلفات إلا أنه أجاد في ذلك.

٢- كتاب السير الذي بين أيدينا هو من جمع الشيخ سليمان بن ناصر، مضيفا على ما وجده من ذي قبل، فأضاف سيرا وجوابات جمعها من مختلف المصادر والمراجع المتاحة له.

٣- كتب السير والجوابات من المصادر التاريخية التي تبرز جانبا مهما لكل حقبة من حقب التاريخ؛ كما تمثل رصيدا معرفيا هاما ينبغي الاهتمام به لاستقراء واستقصاء عدة مسائل، وحل مشاكل تاريخية مهمة.

٤- توجد عدة نسخ لمخطوط السير والجوابات الذي جمعه الشيخ سليمان بن ناصر في مكتبات السلطنة من المهم جدا تجميعها وتحقيقها تحقيقا علميا يفيد العالم والمتعلم.

٥- الاهتمام بكتب السير والجوابات أمر مهم يربط حاضر الأمة بماضيها ويجعلها تستشرف المستقبل من خلال ما بُثَّ في تلك الكتب من آراء مختلفة ومتنوعة في شتى ميادين الحياة على مستوى الفرد والجماعة.

٦- إن إثبات سير الإباضية لهو خير قدوة للمقتدين وللقدوة أثرها الجلي الواضح في الحياة العلمية والعملية، وبهذا نضمن جيلا قوي الدعائم، متين الأركان، ذا مسلك واضح وفكر متزن.

٧- الاهتمام بسير وجوابات المدرسة الإباضية أمر مهم من خلاله يتم التعرف على مراحل نشأة هذا الفكر بل وهذه المدرسة التي برهنت ولا تزال للعالم الإسلامي وللإنسانية مدى صلاحيتها لمعايشة هذا الواقع؛ ذلك أن فكرها مستمد من كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فقها وعقيدا وسلوكا.

٨- تحقيق كتب السير والجوابات الإباضية والاهتمام بها ونشرها بين الأفراد والمجتمعات؛ لسبيل مهم في الدعوة إلى الالتزام بمبادئ الإسلام وأحكامه، كما يقوي الجانب الروحي والأخلاقي ويحث على التمسك بالقيم الإسلامية التي سار عليها السلف الصالح من لدن النبي صلى الله عليه وسلم؛ منها الاخلاص والتفاني والتوجه إلى الله تعالى قلبا وقالبا.

٩- اهتمام المفكرين المعتدلين من جميع المدارس الإسلامية بكتب السير والجوابات وإخراجها للعيان من بين الوسائل الناجعة فيما يبدو للتقريب بين الفرق الإسلامية؛ ذلك أن الاطلاع على التاريخ المشرق لأي مدرسة مهما كانت مع النقد العلمي المحترم لقمين بهذا التقارب الذي يسعى إليه أفراد الأمة الإسلامية والعلماء المحققون بالدجة الأولى.

١٠- النظرة العلمية الجادة لكتب السير والجوابات تحقيقا علميا أكاديميا، ونقدا علميا ساميا، بعيدا عن التزلف والتنطع وإجحاف الحقوق لهدف سامٍ - فيما يبدو لي – وغاية جليلة تثمرها هذه المحافل والملتقيات الدولية وغيرها.

١١- مكتبة السيد محمد بن أحمد البوسعيدي – رحمه الله – بسلطنة عمان من المكتبات النادرة والمهمة التي تحوي مخطوطات قيمة في جوانب عديدة؛ منها جانب السير والجوابات على الخصوص والتاريخ العام على العموم.

هذه بعض النتائج والتوصيات التي بدت لي والله تعالى أسأل أن يوفقنا لكل خير، ويعلمنا ما ينفعنا وينفعنا بما علمنا ويزيدنا علما، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، بارك الله تعالى في القائمين على أعمال هذا الملتقى الدولي كل بمستواه العلمي ودرجته الثقافية والاجتماعية، سائلا المولى تبارك وتعالى أن يسبغ عليكم نعمه، ويسربلكم بثياب العافية والتوفيق والعناية، إنه ولي ذلك والقادر عليه، والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم

٢- أبو العباس أحمد بن سعيد الدرجيني، طبقات المشايخ بالمغرب، تحقيق: إبراهيم بن محمد

طـلاي، ط٢، د ت ن، دم ن.

٣- سيف بن حمود البطاشي، إتحاف الأعيان، مكتبة السيد محمد، د ت ن، مسقط.

٤- الفارسي، نزوى عبر الأيام.

٥- فهد بـن علـي بـن هاشـل السـعدي، معجـم الفقهـاء والمتكلميـن الإباضيـة، قسـم المشـرق، مكتبـة الجيـل الواعد، سـلطنة عمـان، ط ١، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

٦- محمـد بـن أبـي بكـر بـن عبـد القـادر الـرازي، مختـار الصّحـاح، اعتنى بـه: محمـود خاطـر، مراجعة: لجنـة مـن مركـز تحقيـق التـراث، دار الكتب المصريـة، د ط، د ت ن .

٧- محمـد بـن مكـرم، ابـن منظـور، لسـان العـرب، تـح: عبـد الله عـل الكبيـر وآخـرون، دار المعـارف، دط، دت ن، د م ن.

٨- محمَّـد صالـح ناصـر، سـلطان الشـيباني، معجـم أعـلام الإباضيـة، قسـم المشـرق، دار الغـرب الإسـلامي، بيـروت، ط١، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م، تـر: ٨٣٣، ص: ٢٨٥.

٩- مخطوط السير، رقم: (٢٠٢٣)، مكتبة السيد محمد بن أحمد البوسعيدي، ص ٦٦٨. و ص ٦٧٢.

١٠- وزارة التـراث القومـي والثقافـة، السـير و الجوابـات لعلمـاء وأئمـة عمـان، تحقيـق: سـيدة إسـماعيل كاشـف، سـلطنة عمـان، د ط، ١٩٨٦، ١٤٠٦هـ.

مدخل نظري إلى الأنتروبولوجيا التأويلية وطرائق استثمارها في فهم الأدبيات الإباضيّة[1]

(إباضيّة وادي ميزاب أنموذجا)

أسامة أبو فريخة
أستاذ مبرّز جامعة سوسة وباحث في الإسلاميات والأنتروبولوجيا /تونس
bouffrikaoussama@yahoo.fr

مقدّمة

ملأت الأنتروبوجيا الدنيا وشغلت النّاس وراح شيعتها يستثمرونها في مقاربة موضوعات مختلفة في العصر الحديث.فإذا الأنتروبولوجيا أنتروبولوجيات تفيض على الوقائع بحثا في محاضنها الأولى وتأسيسا لسلطان الإنسان عليها وتقليبا لممكنات وجوده، معاشا ومعادا، ضمنها.والحق أنّ الكتلة الإسلامية التاريخية لا تخرج عن هذا المسار بل نزعم أنّها أنموذج دالّ على ما قبليّاتنا البحثية خاصّة أنّ الحراك الذّي يغشى الفضاء الإسلامي تعبير عن الانتماء إلى الفضاء الإناسي. قد يكون هذا الحراك متوهّجا أو عنيفا باعتباره تجسيدا لطبقات متراكبة من تاريخ معقّد ومُنْبهم إلا أنّه لايزال يطلب البحث والحفر والتنقيب في مخزونه الثقافي.من أجل ذلك نرى أنّ استثمار الأنتروبولوجيا في فهم التاريخ الإسلامي (تاريخ الماضي ومستقبل التّاريخ [Le futur du passé] حاجة ملحّة على المستوى الإبستيمي وآلة بناء على المستوى العملي كفيلة بإعادة تمثّل الصّراع الفِرقي وصور توليده للمعاني.فبأيّ معنى يكون الصّراع مولّدا للمعنى؟ وكيف يمكن للأنتروبولوجيا أن تقدّم لنا فهما لهذا الصّراع الاحتجاجي؟

(١) أسامة بوفريخة،أستاذ مبرّز في الآداب العربيّة وحضارتها،باحث في الإسلاميّات والأنتروبولوجيا.هذا المقال في الأصل تقرير لإعداد أطروحة دكتوراه في اختصاص الحضارة بكلية الآداب والعلوم الإنسانيّة بسوسة.قد عملنا على تطويره والاشتغال على محاوره الكبرى والتوسّع فيها.

١. في الاحتجاج مقولة أنتروبولوجية

قامت المدوّنة الأكاديميّة العربيّة على البحث في مقالات الإسلاميين تشكّلا وتطوّرا وسيادة.وقد قلّب أصحابها النّظر في المسائل الحافّة بهذه العقائد من زوايا مختلفة ساهمت في الكشف عن حدثانها والتصوّرات المحايثة لتشكّلها.وقد اختلفت هذه البحوث في المنهج من حيث ائتلفت في موضوعاتها بل إن اختلافها المنهجي قد أدّى إلى تشكيل»تمثّلات مدرسيّة« شقّت طريقها داخل الأصوات التّي تزخر بها السّاحة الفكريّة العربيّة.

والحقّ أنّ ما اصطلحنا عليه بالتمثّلات المدرسيّة لا يعني الطّرائق المنهجيّة في تناول مسألة الفِرق وخطاباتها والعقائد ومتصوّراتها فحسب بل أظهر ما يعنيه ذلك دوران هذه الأعمال على خلفيّات منهجيّة شكّلت مدوّنتها مدارس في استقصاء الحدث الإسلامي وفيضانه على حدّيْ الزّمان والمكان.وكلٌّ إلى غاية يصبو، منهجيّة كانت أو فكريّة.

وإذا رمنا تقليب بصرنا في هذه المدوّنات،فإننا سنجدها قد دارت على مجموعة من الثّنائيات القاعديّة التّي ارتقت بحكم تداول استعمالها في الدّراسات الفكريّة إلى مقولات علميّة تُستثمر في سياقات مختلفة لسبر أغوار العقائد والمذاهب والظّواهر الدينيّة في فضاء الثّقافة العربيّة الإسلامية نحو «التّراث والحداثة» و»الأغلبيّة والأقليّة» وال» نحن والآخر».وقد جرت كلّها إلى استقراء الوقائع واستنباط لحظاتها التأسيسيّة وأنظمتها التّرتيبيّة وأحكامها المقاصديّة.

يطول الكلام على كلام أصحاب هذه المدوّنات ومشاريعهم الفكريّة المدرسيّة ،وما يعنينا منها الوقوف على ثنائيّة هي الأسّ في بحثنا وعماده،وان كنّا سنعدل عنها لاحقا،ونقصد على وجه التّحديد ثنائيّة الإسلام المعياري والإسلام التّاريخي التّي ساهمت في تقديم مجموعة من الأبحاث العلميّة وقد انتظمت في إطار هذه الثّنائيّة مختبرة ممكناتها النّظريّة ومستخلصاتها الإجرائية.فكان الإسلام السنّي وإسلام الفلاسفة والإسلام الخارجي...الخ.

تبدو هذه النّظيمة التّمييزيّة-التّعريفيّة طريفة من حيث منهجيّتها ومراميها»الحضاريّة» لكنّنا نزعم أنّها ليست سوى لبنات لدراسة هذه الإسلامات وتعميق النّظر في أوّلياتها وآليّاتها والدّفع بالحفر في ميكانيزماتها إلى أقاص معرفيّة بلْه منهجيّة في تمثّل النّزعة إلى أسلمة الظّواهر الاجتماعيّة

والثّقافيـة والاقتصاديّـة عنـد المجموعـات الإسـلامية.

إنّ الإسـلام الخارجـي[1] - وهـو عمـدة بحثنـا وغايتـه- توصيـف كثيـف لإسـلام الخـوارج ورحلـة فـي تشـكّل خطاباتـه وأنسـاقها المقاليّـة ورحلـة فـي فضـاءات التّواريـخ والأمصار.فوجدنـاه احتجاجـا علـى إسلام تاريخـيّ سياسـيّ بإسـلام يتعدّاه إلـى الالتفـات إلـى إسـلام جماعـة محليّـة محتجّـة «خارجـة» عن مألـوف المقـال و «خارجـة» علـى أصحابـه وشـيعته أو هـو إسـلام»بما هـو إمكان مـن بيـن الإمكانـات الأنتروبولوجيّـة المتعـدّدة لتجلّـي الرّسـالة فـي التّاريخ،يحافـظ علـى خصوصيّتـه تبعـده عـن العلاقـة المعياريّـة مـع أيّ مـن هـذه الإمكانـات الأخـرى»[2].

لـم تقصـر هـذه المقولـة المنهجيّة(الإسـلام التّاريخي-الخارجـي) عـن فقـه الظّاهـرة – الحـدث الخارجـي خاصّـة إذا أضفنـا إليهـا مـا وصلنـا مـن بحـوث فـي إسـلام الخـوارج ومقالاتهم علـى اختلافها.وهـي مدوّنة قـد انشـدّت إلـى خلفيّـات معرفيّـة تلبّسـت فـي أحاييـن كثيـرة بمقاصـد إيديولوجيـة أو إنهـا الايدولوجيـا عينُهـا وقـد انفتحـت علـى المعرفـي وراودتـه عـن نفسـه علـى سـبيل الاسـتتباع أو الاسـتبدال كمـا هـو الحـال بالنّسبة إلـى المحـور الجدولـي- الاسـتبدالي مـن العمليّـة اللّسـانيّة.

وإذن دارت هذه المدوّنة على ثلاثة محدّدات:

- ❖ المحدّد التّاريخي[3]
- ❖ المحـدّد الإيديولوجـي التّمجيدي/المحـدّد الإيديولوجـي التّكفيـري نحـو اسـتعارة خطـاب مدوّنـات الفـرق والملـل والنّحـل عنـد الجماعـة السـنيّة[4].
- ❖ المحدّد المعرفي[5]

(١) ناجية الوريمي بوعجيلة،الإسلام الخارجي،دار الطّليعة،الطّبعة الأولى،بيروت،٢٠٠٦

(٢) نفسه، ص،٢٤٨

(٣) راجع على سبيل المثال لطيفة البكّاي،حركة الخوارج:نشأتها وتطوّرها الى نهاية العهد الأموي،دار الطّليعة،الطّبعة الأولى،بيروت،٢٠٠١.

(٤) راجع على سبيل المثال أحمد محمّد أحمد الجليّ،دراسة عن الفرق في تاريخ الإسلام:الخوارج والشّيعة،مركز الملك فيصل للبحوث والدّراسات الإسلاميّة،١٩٨٦.

(٥)مبروك المنصوري،عقائد الإسلاميين في بلاد المغرب إلى نهاية القرن السادس الهجري،الثّاني عشر الميلادي،وأثرها في المذاهب الفقهيّة (أطروحة دكتوراه بإشراف الأستاذ المنصف بن عبد الجليل)،بحث مرقون بكليّة الآداب،منّوبة ٢٠٠٤.

ولئن كان تمييز هذه المستويات بعضها من بعض أمرا منهجيّا،فإنّه لا يخفي حضور إشكالات صنافيّة عديدة،إذ تتواشج هذه المستويات وتتداخل إلى درجة لا نكاد نؤمّن النّفوس من هذا التّصنيف الذّي تُلحَم عناصره في خطوط متشابكة.

رغم ذلك كلّه فإنّ تلبّس هذه المستويات ببعضها البعض قد أضاف من المعارف إضافات كميّة وأخرى نوعيّة أنتجت مجتمعة كشوفات العارفين بالحدث الإسلامي وأسراره وتشكّلاته المتمايزة.

لتجدنّ المستوى الثّالث لهذه الصّناعة الأهمّ بالنّسبة إلينا وهو علّة التّأليف عندنا،فإذا كنّا ننتصر لهذه المباحث ولنتائجها المعرفيّة العلميّة،فإننا لا نلجم ذاتنا على الكلام فيها أو الاحتجاج عليها احتجاجا يروم الدّفع بمنطقها إلى أقصاه وتحرّي مقاتلها والوقوف على طريف ما يرشح من مظانّها.

لا مريّة أنّ ظاهر كلامنا يقوم على عرض مقاربة تحليليّة – نقديّة لما استقرّ في هذه المدوّنة واستمرّ في أبحاث حادثة لا قِبل لنا بعرضها كلّها في هذا السّياق،لكن لهذا الظّاهر باطن حامل لدواعي البحث في هذا المجال.فكلّما ولّينا وجهنا شطر هذه المدوّنات،إلاّ ووجدنا أنّ الخيط النّاظم لتشكّل الاسلامات إنّما هو الاحتجاج والحجاج والصّراع في معنييْه الوقائعي العينيّ أو الذّهني المجرّد.هو المحدّد والجليّ في آن.فلا برزخ بين المقال العقدي الفِرقي والمقام الاجتماعي السّياسي الحركي.وقد وجدنا فيما وجدنا في أبحاث أصحابنا وكشوفاتهم، حراكا لهذه الاسلامات التّاريخيّة ووجدناها احتجاجا على الاحتجاج التّاريخي.فإذا الإسلام التّاريخي هو احتجاج على الإسلام المعياريّ (أو الذّي أريد له أن يكون كذلك) وكذلك هو احتجاج على إسلام تاريخي يشابهه فيساجله.

يظهر ذلك،على سبيل المثال، في الإسلام الخارجي – التّاريخي،نجده وقد استحال إسلامات تاريخيّة نحو الإسلام الصُفري وإسلام الأزارقة وإسلام النّجدات،وهي إسلامات تُشتقّ من جنسها فكأنّها النّتائج المشتقّة من جنس مقدّمة صغرى (الإسلام الخارجي) قد اشتقّت نفسُها من مقدّمة كبرى (الإسلام التّاريخي).

والحقيقة أنّ مدوّنات البحث هذه لم تخلُ من الإشارة إلى ذلك إشارات»لُمَعيّة« استئناسا بمدوّنات

التّاريخ أو مقالات الإسلاميين ومللهم ونِحلهم.

لقد أشارت هذه المدوّنات إلى سيادة الاباضيّة،الفرقة النّاجية من سلطان الفناء الذّي حكّم صوارمه في رقاب أصحابه ومقالاتهم بسببٍ من معطيات ذاتيّة ترتبط بغلوّ مقالات الخوارج وأخرى موضوعيّة تعلّقت أساسا بالصّراع الذّي خاضته ضدّها القوى السّياسيّة الحاكمة شرقا وانشقاق عبد الله بن إباض عنها.فوجدنا دراسات تهتمّ ب»الإسلام الإباضي»[1].وقد توزّعت مسالك الباحثين بين عرض عقائد الاباضيّة[2] وأعلامها[3] وخصائص «مدرستها الفقهيّة»[4] وأنظمتها الدينيّة الاجتماعيّة[5].

ما يلفت النّظر في هذه المباحث أنّ جمهور أصحابها كانوا من الاباضيّة أنفسهم ومن المستشرقين،فدارت على مقاصد تعريفيّة تمجيديّة.لا ننكر أثر هذه الدّراسات في فتح مسالك البحث أو هي مفاتيح لعلوم الإباضيّة ،ولا ننكر على أصحابها كذلك رغبتهم المحمومة في التّعريف بفرقتهم والذّود عن إسلامهم،معتقداتهم ومشاريعهم الدّعويّة والسّياسيّة، بل نؤكّد أنّ هذه البحوث قد ساهمت في الإحالة على فضاءات بحث تنتظر معاول الباحثين ومسالك السّالكين وفي الإحالة كذلك على تطوّر هذه الفرقة في العصر الحديث وفي أمصار غلبت عليها معالم الأرثوذكسية السنيّة المالكيّة.تتوزّع هذه الفرقة،جغرافيّا،على عدّة مناطق في العالم العربي : سلطنة عُمان(وهي دولة إباضيّة) وجبل نَفوسة(ليبيا) وجزيرة جربة (تونس) ووادي ميزاب(ستّمائة كلم جنوب الجزائر العاصمة).

من أجل ذلك وجدنا أنّ أغلب الدّراسات التّي اهتمّت بهذه الفرقة قد استعارت المكان مجالا للبحث،

(١) لا نجد دراسة دقيقة حول الإسلام الإباضي وخصائصه بقدر ما نجد دراسات تتمحور حول عقائد الفرقة في مراحل تشكّلها أو فقهها أو أعلامها.

(٢)راجع مثلا عمرو خليفة النّامي،دراسات عن الإباضيّة،دار الغرب الإسلامي،الطبعة الأولى،بيروت،٢٠٠١

(٣)راجع مثلا علي يحيى،الاباضيّة دراسة مركّزة في أصولهم وتاريخهم،د.ت ودون دار نشر.

(٤)فرحات الجعبيري،دور المدرسة الإباضيّة في الفقه والحضارة الإسلاميّة،دار الجويني للنّشر،تونس،١٩٨٨

(٥)فرحات الجعبيري، نظام العزّابة عند الاباضيّة الوهبيّة في جربة،تونس،المطبعة العصريّة،١٩٧٥.



فكان المؤشّرَ التّعريفيَّ لها ولعقائد أنصارها(١).والأمر نفسه ينطبق على دراسات المستشرقين التّي خضعت لغايات توجيهيّة قوامها التّعريف بعقائد الإباضيّة وأصولها(٢).لكنّ مزيّتهم تكمن في تحقيق مصادر الإباضيّة رغم توزّعها على دول عديدة.

قلنا إنّنا لا ننكر على باحثي الإباضيّة وشيوخها هاجسهم التّعريفي الدّعوي،ولكنّنا ننكر عليهم ذاك التّماهي الواقع بين الإيماني والمعرفيّ وننكر على بحّاثتنا عدم ولوج تلك الفضاءات لقلّة الحيلة أو الخضوع لمنطق أرثوذكسي يرى في هذا الفريق أهل الحقّ وما دونه أهل الباطل أو هم الباطل عينُه .

ننكر على هذه الدّراسات كذلك قصورها عن إدراك مسارب هذه الفرقة وتطوّراتها وأحوال اجتماعها وتنظيماتها،قليلة هي الدّراسات التّي ارتبطت بالبحث في تطوّرات هذه الفرقة «آنيّا»(٣)،ونقصد بالآني تعيين الزّمن الحديث وتنزيل الإباضيّة في منازله دون تنكّر للسّيرورة العقديّة»الزّمانيّة» لهذه الفرقة.

ليس همّنا استعارة القراءة التّاريخيّة رؤية ومنهجا وتصوّرا والاستعاضة عن دراسة التّاريخ القديم بآخر حديث أو معاصر فنبقى في دائرة درس التّاريخ ونفتّق أبنيته ومساراته،بل همّنا أن نبحث في السيرورة التّاريخيّة للإباضيّة استقصاء لتطوّر مقالاتها خاصّة أنّها تحوّلت،أثناء تشكّلها، من وضعيّة الهامش فوضعيّة السّيادة والظّهور(الدّولة الرّستميّة) إلى وضعيّة الأقليّة المحليّة الهامشيّة مجدّدا.

ننتهي مرحليّا إلى الزّعم أنّ دراسات الإباضيّة ظلّت حبيسة البعد التّاريخي الاستقرائي أو التّعريفي التّمجيدي،وقد نجد لذلك تبريرا معرفيّا يتمثّل في ضعف إقبال الباحثين من غير الإباضيّة على

(1) G. Dangel. Aperçu sur l’histoire religieuse de Mzab en Algérie(le Sirat alhalqa d’Abu’Abd Allah Muhammad ben bakr al-Nufusi dans la version d’el Barredi) thèse,3 e Cycle Paris,1976.
T.Lewicki, La répartition géographique des groupements ibadites de l’Afrique du Nord au Moyen Age, RO,21 ,1957.

(2)J. Schacht. Bibliothèques et manuscrits abadites,dans revue Africaine, Alger,19
J.Van Ess, Untersuchungen zu einigen ibaditischen Handschriften, dans Zeitschrift der Deutschen Morgenlaendischen Gesellschaft, 1976,à partir de la page 126.

(٣) محمّد المريمي،إباضيّة جزيرة جربة خلال العصر الحديث،دار للجنوب للنّشر وكلية الآداب والفنون والإنسانيّات بمنّوبة،تونس،٢٠٠٥.

دراسة هذه الفرقة دراسة علميّة موضوعيّة بما يمكن أن يمثّل إضافة نوعيّة إلى المكتبة العربيّة والإنسانيّة .

كنّا قد أشرنا إلى عنصر الاحتجاج سابقا وقد اعتبرناه القاعدة المتصوّريّة التّي عنها تتأسّس مقالات الفرق الإسلاميّة وإليها تجري عقائدهم وتتحدّد طرائق عيشهم وتكييفهم للفضاء.

والحقّ أنْ لا جديد في قولنا هذا،فهذا المتصوّر تكشف عنه أغلب الدّراسات،درجاتٍ،أمّا الجديد فيما نزعم فاستقصاء لهذا المفهوم وإجراءاته في حقل الجماعة الفِرقيّة أو الدينيّة،وهو أمر قد تناوله البعض وفق تصوّر مخصوص.نرمي من وراء ذلك كلّه إلى الإعلان عن مجال بحثنا بعد أن استعرضنا،على عجل،توجّهات البحث في الظّاهرة الخارجيّة وتمييزها من الحدث الإباضي.

وقد لاحظنا أثناء تتبّعنا لهذه الفرقة (من خلال مصادرها أو المراجع التّي تناولتها بالدّرس أو كذلك من خلال التّواصل مع شيوخها المتأخّرين ومريديها في عُمان وتونس والجزائر وبعض الذّين انشغلوا بالبحث فيها) أنّها تتنزّل في المخيال الشّعبي،سرّا وعلانية، في منزلة فرق أهل الباطل الذّين يتّخذون أماكن في أدنى الأرض(شبه جزيرة في الخليج، جبل نفوسة في ليبيا،جزيرة جربة في تونس،واد غير ذي زرع في الجزائر) فيحتجّون فضائيّا(Spatialement) لأنفسهم بقدر احتجاج الآخرين عليهم(أهل الحقّ-الفرقة النّاجية من النّار؟).

الاحتجاج في الفضاء وعليه قطب الرّحى في تصوّرنا هذا وعليه التّعويل في فقه الحدث الإباضيّ. ونرى أنّ تقديم بحوث تعريفيّة بأصول العقيدة أو الفقه لن يكون سوى إضافة كميّة رغم أنّ باب التّحقيق والحفر لازال مفتوحا على مشراعيْه.من باب أوْلى،إذن،اعتماد مداخل أخرى في تطوير الفهوم المرتبطة بالفرقة الإباضيّة باعتبارها عتبة أولى قبل التعمّق في استخراج تراثها.ولن يتّضح ذلك إلا متى عرفنا أنّ المجتمعات الإباضيّة تقوم على آلات عيش مختلفة ارتكازا على عقائدها وما تفرضه من ممارسات دينيّة على جماعتها الموزّعة شرقا وغربا.

نهدف من وراء الإنشداد إلى قطبيْ «الاحتجاج في» و»الاحتجاج على» إلى جعلهما بمثابة المقولات المساعدة على تقديم مقاربة طريفة استئناسا بمنهج مخصوص سنعلن عنه في أجل مسمّى في هذا المقال.

هو احتجاج يخرج عن المعنى الحافّ إلى معان ثوان تكسب فعل الاحتجاج أبعادا ثقافيّة يمكن تأوّلها على نهج.ويتعدّى ذلك الاقتصار على دراسة العقائد والمقالات وما به تتميّز الفرقة إلى دراسة الأنساق الرّمزية الثّقافيّة الثّاوية في اللاّوعي الجمعي عند جماعات الإباضيّة المحليّة.

وإذن سنضرب في البحث على نهج الأنتروبولوجيا التّأويليّة وهي سدرة المشتهى بالنّسبة إلينا من وجوه:

- ✓ أمّا الوجه الأوّل فمرتبط بمحاولة تقديم مقاربة تستهدف الطّرافة/الحداثة في تمثّل الفرقة الإباضيّة وتواصل وجودها في فضاء الثّقافة العربيّة الإسلامية.
- ✓ وأمّا الوجه الثّاني فيركن الى الأنتروبولوجيا،مستدع لأدواتها لوضعها على محكّ الظّاهرة،اختبارا لممكناتها المنهجيّة وبحثا عن أسباب التّكييف في إجرائها لفهم ما انطمس بسبب الماقبليّات التّي تقدّم نفسها على أنّها حقائق أنطولوجيّة ثابتة ولمحاولة الانخراط في الدّرجة الصّفر من كتابة الحضارة الإنسانيّة التّي فهمت الإنسان بالإنسان بعد أن أشكل عليه معرفة الإنسان مثلما يقول التّوحيدي.

إذا كانت الغاية الأولى غاية معرفيّة تروم استثمار منجزات الحداثة،فإنّ الغاية الثّانية تتلبّس تلبّسا مندقّا اندقاقا في واقع مأزوم سيطر عليه هاجس التّكفير وأنكر على الآخر حقّه في التّفكير فانتفت كلّ نزعة أنْسَنَة وما ترتّب عن ذلك من فشل في تحديث الظّواهر وفشل في تبنّي مقولات الحداثة ومسارات التّحديث وتمّ الحفاظ على أبنية عتيقة دمّرت مناخات هذه المجتمعات السّيميائيّة وأنظمة تصوّرها للعالم.وقد ساهم ذلك كلّه في انفجار المقدّس والاعتصام بحبل هويّات ضيّقة طقوسيّة أرثوذكسيّة.هذه بعض المقاصد المحوريّة التّي تتأشكل علينا فنكتب على أنفسنا إثارة ما أشكل منها.

لا ريب أنّ هذا المنهج الأنتروبولوجي يطرح إشكالات عديدة في علاقتها بمستوى التمثّل – التصوّر أوّلا وبمستوى الإجراء ثانيا خاصّة أنّ السّياقات المعرفيّة لحقليْ الأنتروبولوجيا والإباضيّة تبدو متباعدة فخُيّل إلينا تقاربهما فإذا هي أضغاث أحلام.وليكن ذلك كذلك.. ففي البدء كانت الكلمة-الرّؤيا.

٢. في الأنتروبولوجيا والأنتروبولوجيا التأويليّة

كنّا قد أسلفنا الذّكر أنّ رهاننا يتمثّل في اختبار أدوات الأنتروبولوجيا بحثا عن ممكناتها الإجرائيّة في تمثّل معالم الاحتجاج الثّقافي عند المجموعة الدينيّة الإباضيّة.ويهمّنا في هذا السّياق التعرّف الى المتصوّرات الرّئيسة التّي يدور في فلكها بحثنا المنشود،وننبّه الى أنّ ذلك لا يعني استغراق المنوال المفاهيمي أو الجهاز المتصوّري للأنتروبولوجيا،بقدر ماهو إعلان عن منهجنا ومحاولة لحلّ مشكلاته واستثمار ما أمكن من آلياته،ما استطعنا الى ذلك سبيلا في هذه المرحلة.

من أجل ذلك استعملنا سابقة حرفيّة «في» دلالة منّا على التّبعيض، وهو تبعيض يعمل على تمثّل المتصوّرات ومساءلتها قصد استثمارها على النّحو المرجوّ.

نهتمّ في بحثنا بقطاع من قطاعات الأنتروبولوجيا وهي الأنتروبولوجيا الثّقافيّة التّي تبحث،فيما تبحث،عن»الطّريقة التّي تطوّرت فيها اللّغات على مرّ الزّمان والتّنظيمات الاقتصاديّة والاجتماعيّة والسّياسيّة والدينيّة»[١] .وغاية ذلك كلّه»شرح تعقيدات العالم»[٢] وشرح الممارسات الثّقافيّة عند النّوع البشري وتأوّلها على نحو يشي بمنزلة الإنسان في العالم وفي الفضاء الذّي يعمّره.

كلّ ظاهرة ثقافيّة هي مجموعة من الممارسات التّي ينجزها الإنسان بآلة التّرميز.فيغدو كلّ تفكير في هذه الظّواهر تفكيرا في الإنسان ذاته،وإليه تُردّ الجواهر والأعراض وعبره تتشكّل هويّته تشكّلا متحوّلا في ثباته أو هو المتحوّل يخاله الرّائي ثابتا وماهو بكذلك.فالممارسات تتطوّر بحكم تطوّر العوامل الثّقافيّة وتصوّر الإنسان لها داخل عوالمه.فاللّغة والشّعائر والقرابة والمنازل وغيرها من تجليّات الصّناعة الثّقافيّة تتحدّد انجازا عبر الإنسان وتحديدا عبر ما يكسبه الإنسان لهذه الممارسات الدالّة من معان دالّة على فعل الأنسنة المرتبط برغبة الإنسان أبد الدّهر في إضفاء معنى على وجوده.فتُبنى الهويّة،إذّاك،بناء حركيّا من خلال استراتيجيّات سياسيّة ثقافيّة(سياسة الثّقافة) ترجّع صدى الذّات في وعيها بتمايزها المستمرّ عن الآخر.وعبر مقولة الصّراع تتحوّل التمثّلات الى منجزات رامزة لها موضوعاتها وصفاتها عند مجموعة بشريّة في فضائها.

---

(١)مارك أوجيه وجان بول كولاين،الأنتروبولوجيا،ترجمة د.جورج كتوره،دار الكتاب الجديد المتّحدة،٢٠٠٨ ،ص ٧.

(٢)نفسه،ص ١٦.



وهنا يقيم الأنتروبولوجي موضوعاته على مجموع التّوليفات الاجتماعيّة العينيّة،فالقرابة والنّسب والتّبادلات الاقتصاديّة والاجتماعيّة نحو الزّواج والجنائز تتحدّد بالتّأويل الرّمزي للعالم وبمقتضيات التكيّف مع المجال المحلّي، إنتاجا للسّيادة الشّرعيّة (شرعيّة الوجود وحجّيّته).

وإذن نقف على التّداخل بين الاجتماعي العينيّ والتمثّل المجرّد الذّهني.ويكمن رهان الانتروبولوجي في اتّخاذ منزلة بين منزلتيْ المنجَز والمتمثَّل وسياسات إنتاج ذلك ومأسسته على مستوى الخطاب وإبدالاته والدّيني وتطبيقاته في رحلة أخذ وردّ بين هذا وذاك ترحل فيهما ممارسات المعاني الى الحركات والإيماءات ووضعيّات الجسد وتعبيراته إضافة الى الأعياد الدّينيّة والأضاحي والمهرجانات والصّور وفضاءاتها والمساكن وتقنيّات بنائها واللّغة ومجازاتها.انّه كون مشهدي يقتضي الدّراسة،ثريّ برموزه،إنّها انتروبولوجيا المشهد.وإنّ الهادي الى ذلك كلّه الصّراع،في مختلف أوجهه، المعلن عنها والمسكوت عنها.والصّمت أبلغ لأنّ الاحتجاج الصّامت مولّد لمجازات المعاني،محمّلا إيّاها ببلاغات لا قِبل لها بالمعنى الحافّ بل بمعنى المعنى.إنّها بلاغة المحتجّين.

تتنزّل في هذا الإطار الانتروبولوجيا التّأويليّة،وقد عمدنا الى إماطة اللّثام عن رهاناتها التّي لا تخرج عن رهانات الأنتروبولوجيا العامّة،وهي قطاع يُعنى بدراسة الرّموز الثّقافيّة وصور تمثّلها في المجتمع أو بتأوّل شبكة المعاني في حقل الاجتماع وفي دوائر العمران حيث تتشكّل الثّقافة في نظام المعاني بآلة الإنسان.يُعتبر كلّ من غيرتز وشنايدر وتورنر وكوهين مُبرّزين في هذا المجال،فذهبوا في كلّ مصنّفاتهم،تنظيرا وتحليلا،الى أنّ الثّقافة إنّما هي سلسلة من الرّموز التّي تشكّل نظاما ،وهو نظام لا يتحقّق إلاّ في مدارج السّالكين لسلوكات محمّلة بالمعاني،فلا معنى للقيم والعقائد والتصوّرات وأساليب التّفكير في الذّوات والموجودات في ذاتها بل في تحقّقها نصيا

واجتماعيّا بآلة الرّمز[1].

يعتبر صاحبنا غيرتز أنّ» الثّقافة تُقرأ كما يُقرأ النصّ وهي نصّ يتألّف من مجموعة من النّصوص- الرّموز التّي هي نواقل المعنى[2]».

نلاحظ أنّ الانتروبولوجيا التّأويليّة (وتسمّى الرّمزيّة كذلك) تستعير من الأدب مناهجه ومتصوّراته،بعضها، لدراسة نوازع الأنسنة في تحققها العيني،وهي لا تقتصر على الوصف الكثيف(Thick description) [3] بل تشمل -بالإضافة الى ذلك-الوصف التّأويلي لهذه الوقائع ومحدّداتها الثّقافيّة بإدراجها ضمن نسق نصّي على الانتروبولوجي كشف مساراته الدّالّة ودلالاتها وأبنيته المجازيّة واسترسال أنظمته بما يجعل الحديث عن «إنشائيّة الثّقافة» أو «إنشائية المخيال الثّقافي» أمرا ممكنا.ف»الأشياء الثّقافيّة» حسب قول أحدهم «هي عناصر رمزيّة للتّراث الثّقافي أو الأفكار أو المعتقدات أو الرّموز التعبيريّة أو نماذج القيم».

يقتضي ذلك الحديث عن أنساق ترميزيّة تتجسّد في التّصميم الفضائي والمؤسّساتي فتُنتج الرّموز وَفق تلك الأنساق وتحدّدها بمحدّداتها.وهي أنساق إستعاريّة تستعير من تصوّرها لذاتها وللآخر نظيمة بها تجترح معانيها و»تذوّت» صراعها وتشظّيها.

هذه المناويل المتصوّريّة قد أجراها أصحابها الأنتروبولوجيون التّأويليّون على الظّاهرة الدّينيّة

---

(1) Clifford Geertz:
- The Interpretation of Cultures, Basic Books, New York, 1973.
- Savoir local, savoir global. Les lieux du savoir, PUF, 1986, 2012.
David Schneider:
- American Kinship. A Cultural Account, Chicago, University of Chicago Press, 1980, 2e édition.
Victor Witter Turner :
- The Forest of Symbols: Aspects of Ndembu Ritual (1967).
- Schism and Continuity in an African Society (1968).
- Dramas, Fields, and Metaphors: Symbolic Action in Human Society (1974).
Anthony Cohen :
- The Symbolic Construction of Community, 1985, Routledge.
- Whalsay: Symbol, Segment and Boundary in a Shetland Island Community, 1987, Manchester University Press.

(٢) كليفورد غيرتز ، تأويل الثقافات، ترجمة محمد بدوي، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، ٢٠٠٦، ص٢٢٤-٢٢٥ .

(3) GEERTZ Clifford, « La description dense. Vers une théorie interprétative de la culture », Enquête, n° 6, 1998, pp. 73-105 ; id. in Daniel Cefaï, L'enquête de terrain, Paris, La Découverte / MAUSS, 2003, pp. 208-233.



أساسـا،فراحوا ينظـرون الـى الدّين علـى أنّـه مجموعـة مـن الرّمـوز الثّقافيّـة التّـي تضفـي تماسـكا علـى نظـام المجموعـة وبنيـة سـلطانهم.فتُعتبر العقيـدة صحيحـة بالقـدر الـذّي تنهـض فيـه بوظيفـة اجتماعيّـة وكذلـك بالقـدر الـذّي تضـارع فيـه وسـائل إضفـاء الشـرعيّة علـى الطّبقـات المسـيطرة أو وسـائط التظلّـم بالنّسـبة الـى الطّبقـات المسـيطَر عليهـا.

ضمـن هـذا الرّهـان الوظيفـي ينـدرج الدّيـن باعتبـاره ثقافـة أو بِنيـة ثقافيّـة تنشـئ رموزهـا ومعقوليّتهـا الخاصّـة بهـا بحثـا عـن منزلـة لهـذا الإنسـان فـي الكـون ولطرائـق بنائـه لعوالمـه المتخيّلـة والواقعيّـة.

نفهـم فـي هـذا السّـياق ديناميّـة المجموعـات الدينيّـة وتطوّراتهـا عبـر لاوعيهـا وقـد تتشـكّل فـي مظاهـر تبـدو واعيـة عنـد مريديها.ليسـت الجنائـز سـوى أنمـوذج دالّ علـى ذلـك فهـي «تؤسّـس أحيانـا لوضعيّـة أجداد،وتُعتبـر بمثابـة طقـوس عبـور نهائـيّ(...) إنّهـا نهائيّـة الجسـد الفـردي، فـي حيـن أنّ الجماعـة هـي التّـي ستسـتمرّ جسـما اجتماعيّـا يسـتحقّ أن يُعطـى لـه المعنى»[1].وهـي مهمّـة أخـرى موكولـة الـى الانتروبولوجـي الـذّي كُتـب عليـه أن يجعـل هـذه الممارسـات نصوصـا تُقرأ وتُفسّـر فتُتأوّل.يقـول غيرتـز فـي هـذا السّـياق» إنّ أيّ دراما طقسـيّة يمكـن التّعامـل معهـا كنـصّ أي تدويـن للفعـل»[2].

يبقـى السّـؤال الأهـمّ بعـد ذلـك عـن علاقـة هـذه المقاربـة بمجـال الإسـلام ومتعلّقاتـه، مـن الظّواهـر والنّصوص،وهـو سـؤال اشـكاليّ ينفتـح علـى مشـاريع جوابـات.

٣. في أنتروبولوجيا الإسلام

مـن جميـل الصّـدف أنّـه عندمـا عدنـا الـى غيرتـز وبعـض الذّيـن اشـتغلوا بالأنتروبولوجيـا التّأويليّـة قـد وجدنـا الإسـلام حاضـرا فـي قلـب هـذه المقاربة،فغيرتـز قـد انشـغل بالظّاهـرة الإسـلاميّة فـي مُحكـم أعمالـه،إذ قـام سـنة ١٩٥١ بأبحـاث ميدانيّـة فـي أندونيسـيا قـدّم فيهـا مقاربـة حـول الدّيـن فـي جزيـرة جـاوه وكانـت نتيجـة أبحاثـه كتـاب «الدّيـن فـي جـاوه»[3].

ولـم يقتصـر علـى ذلـك إذ سـافر الـى المغـرب وقـام بأبحـاث ميدانيّـة بيـن ١٩٦٣ و١٩٧١ أثمـرت بحثيْـن

(١) مارك أوجيه وجان بول كولاين،الأنتروبولوجيا،نفسه ،ص ٥٣.

(2) The Interpretation of Cultures. Selected Essays, New York, Basic Books, 1973,p 72.

(3) The religion of Java, University Of Chicago Press 1976.

علـى قـدر مـن الأهميّـة وسَـمَ الأوّل ب»ملاحظـة الإسـلام:التطوّرات الدينيّـة فـي المغـرب واندونيسـيا» وعنـون الثّانـي ب»المعنـى والنّظـام فـي المجتمـع المغربـي: ثـلاث محـاولات فـي التّحليـل الثّقافي.[1]وهـو بحـث قـام علـى منهـج مقـارن لرؤيـة الإسـلام عنـد الاندونيسـيين والمغاربـة.

والحـقّ أنّ مقاربـة الإسـلام هـذه لا تنفصـل بحـال عـن التمشّـي التأويلـي عنـد غيرتـز باعتبـار أنّ الدّيـن هـو نسـق مـن الرّمـوز «يعمـل علـى تأسـيس طبائـع ودوافـع ذات سـلطة وانتشـار واسـتمرار دائميـن لـدى النّاس،وذلـك عبـر تشـكيل تصـوّرات حـول النّظـام العـامّ للوجود،مـع إضفـاء طابـع الواقعيّـة علـى هـذه التصـوّرات بحيـث تبـدو هـذه الطّبائـع والدّوافـع واقعيّـة بشـكل متفـرّد»[2].

ويقصـد غيرتـز مـن وراء ذلـك أنّ الدّيـن يربـط الصّـورة الجوهريّـة للحقيقـة بمجموعـة مـن الأفـكار المتماسـكة حـول الطّريقـة التّـي ينبغـي علـى الإنسـان العيش وفقها،موفّقـا بذلـك بيـن الأنشـطة البشـريّة وصـورة النّظـام الكونـي.

مـن أجـل ذلـك اعتبـر أنّ التّاريـخ المغربـي هـو «تاريـخ دينـي بالأسـاس»، حيـث بـدت الشّـخصيّة المسـاهمة فـي نحـت هـذا التّاريـخ شـخصيّة دينيّـة ولا تزال.ومـن أجـل ذلـك أيضـا اعتبـر أنّ الحضـارة الإسـلاميّة بالمغـرب قـد تشـكّلت أساسـا عـن طريـق القبائـل المتحرّكـة التّـي كانـت تمثّـل مركـز الثّقـل الثّقافـي.

لقـد شـملت مقاربتـه تاريـخ المغـرب الحديـث كذلك،فـرأى أنّ الإسـلام نهـض بـدور رئيـس فـي الحفـاظ علـى الـذّات المغربيّـة وملامـح شـخصيّتها الوطنيّـة أثنـاء الاسـتعمار،وأنّ الظّهيـر البربـري هـو الـذّي دعـم الحركـة الوطنيّـة وأنّ المؤسّسـة الملكيّـة فـي عهـد محمّـد الخامـس قـد سـاهمت فـي الحفـاظ علـى الوحـدة الرّوحيّـة للمغاربـة حيـث أعـاد الملـك تشـكيل صـورة الولـيّ الصّالـح فجمع،أثنـاء حكمه،بيـن صورتـيْ الولـيّ الصّالـح والسّياسـي المقتـدر.

---

(1) Islam Observed, Religious Development in Morocco and Indonesia (1968), University Of Chicago Press, 1971.
-GEERTZ Clifford, GEERTZ Hildred & ROSEN Lawrence, Meaning and Order in Moroccan Society. Three Essays in Cultural Analysis, Cambridge, Cambridge University Press, 1979

(2) Clifford Geertz, The Interpretation of Cultures: Selected Essays, New York, Basic Books, 1973 p. 90.

هذه النّتائج الكبرى التّي توصّل إليها في أبحاثه الفريدة قد ارتكزت على رصد التغيّرات الدينيّة وعلى المعطيات الميدانيّة والتّاريخيّة التّي جمعها حول الموضوع،مستندا في ذلك الى التصوّر»الفيبري» الذّي جعل المؤسّسة الدينيّة مؤسّسة اجتماعيّة والعبادةَ نشاطا اجتماعيّا والاعتقادَ قوّة اجتماعيّة.فتأوّل بذلك أنساق الدّلالة التّي ينخرط في صلبها الفرد[١].

بلغت نتائج غيرتز أقصاها في كتابه»تأويل الثّقافات» حيث اعتمد منهجه التأويلي في فهم الأحداث وأبعادها الرّمزيّة والأسواق(سوق سفرو) وأبعادها الاجتماعيّة التّعريفيّة[٢] مركّزا في ذلك على مفهوم»البازار» وكيفيّات تحديده لمنطق التّبادلات الاقتصاديّة التّي تستغرق العلاقات الاجتماعيّة وتحدّد مجالات الائتلاف والاختلاف بين الفاعلين في هذه المبادلات التّي تخرج عن حيّزها الاقتصادي الى دوائر رمزيّة.ويحصل ذلك في فضاء مخصوص (مدينة سفرو المغربيّة)،وهي مدينة تقع بين الجبل والسّهل وعلى الحدّ الفاصل بين القبائل النّاطقة بالعربيّة والقبائل المتأصّلة في لسانها الأمازيغي،إضافة الى اختزالها لعمليّات تفاعليّة رمزيّة ترتبط بالتعدّد الدّيني في هذه المدينة (مسلمون ويهود) وهي كلّها محدّدات تخطّ استراتيجيّات احتجاجيّة حجاجيّة[٣].

تشابه منطقة وادي ميزاب مدينة سفرو في تعدّدها اللّساني والفِرقي والدّيني،إذ يتقاسم الفضاء الميزابي العرب المالكيّة والأمازيغ الإباضيّة.

يقع وادي ميزاب في جنوب الجزائر شمال الصحراء الكبرى في ناحية تسمى الشّبكة وهي منطقة تتخلّلها أودية. وتبعد ميزاب عن مدينة الجزائر بثلاثمائة وعشرين ميلا ونصف الميل (٦٠٠ كيلومتر) ، ويتكون وادي ميزاب من سبع مدن، خمسة منها متجاورة: وهي العطف، بنورة، مليكة، بني يزقن، وغرداية، واثنتان تبعدان عن المجموعة قليلا هي مدينة بريان التي تبعد عنها بأربعة وعشرين ميلا (٥٠ كيلومتر) وهي في شمالها الشرقي، ومدينة القرارة البعيد عن المدن

(١)حلّل غيرتز صورة الوليّ اليوسي الذّي يجسّد في نظره»صورة الرّوحانيّة الحقيقيّة» عند المغاربة بغضّ النّظر عمّا كان عليه هذا الرّجل في الواقع.وقد كشف غيرتز من خلال تحليله لهذه الصّورة وطرائق تمثّلها في المخيال الشعبي المغربي عن كنه معنى البركة الذّي لا يمثّل مفهوما دينيّا فقط بل هو محرّك للتّاريخ الثّقافي المغربي. راجع في هذا السّياق:
Clifford Geertz, Islam Observed, op. cit., pp. 112- 126.

(2) GEERTZ Clifford, Le Souk de Sefrou. Sur l'économie du bazar, trad. Daniel Cefaï, Paris, Bouchène, 2003.

(٣)راجع كذلك تحليله للصّراع بين الدّيكة الذّي يعقده أهالي بالي.وقد اعتمد فيه غيرتز ما أسماه الوصف الكثيف ثمّ ألحقه بمقالاته في كتابه»تأويل الثّقافات»،مرجع مذكور،ص ٧٩- ١٣٠.

الأخرى بأربعين ميلا ونصف الميل (١٠٠ كيلومتر) وهي في شرقها.

قد أفلح عبد الرحمن بن رستم سنة ١٦٠هـ، في تأسيس أوّل دولة إسلامية، واتّخذ تاهرت عاصمة لها، وهو يعد تلميذا من تلاميذ أبي عبيدة وأحد حملة العلم عنه.

تذهب أغلب المصادر إلى أنّ هذه الدولة قد شهدت تطورا فكريا عقديا عبر تشجيعها لحركة التّأليف وانفتاحها على كلّ المذاهب والفرق فاستغلّ الخصوم انشغال السّاسة بالتأليف واعتزال الصّراعات السياسيّة الحربيّة لتقويض حكم الرستميين فسقطت الدولة الإباضية سنة ٢٩٦هـ إضافة إلى عوامل أخرى تمثّلت في الصراعات السياسية من أجل الزّعامة بين الأئمّة المتأخّرين.

هاجر الإباضية بعد هذه النّكسة إلى سدراتة وورجلان وبعدها إلى ميزاب، فأسّسوا أول مدينة لهم وهي العطف، وذلك سنة ٤٠٢هـ.

يبدو أنّ تجربة وادي ميزاب قد تعرّضت لتعتيم مستمرّ، لأنّها تواصل للتجربة الخارجية في المخيال الإسلامي الجمعي بشكل أو بآخر أولأنّها تشكّل إدانة لسواد المقالة السنيّة. ولذلك يجري استبعادها وإغفالها بحجة أنّ الإباضيّة مذهب من مذاهب الخوارج.

يمكن تلخيص الفلسفة الميزابية في بناء «المجتمع الفاضل»حسب تصوّرهم بأنها قائمة على المساواة والعدل والإخاء من جهة، والرشد والاعتدال من جهة أخرى، وجعلها واقعا صلبا يؤثّر في حياة جميع أفراد المجتمع من جهة ثالثة.تتجلّى مفردات هذه الفلسفة في جميع جوانب الحياة في مدن وادي ميزاب.ويسهر على تطبيق هذه الفلسفة مجلسان منتخبان أحدهما للرّجال والآخر للنّساء، يضمّ كل مجلس اثني عشرا عضوا من الرجال والنّساء ويسمى كل من المجلسين بمجلس العَزَّابَة.

العزّابة أعلى الهيئات الدينية والسياسية بميزاب وهو نظام معقّد.والمكوّنون لهذا المجلس يعرفون في أوساط العامة من الميزابيين باسم «إِعَـزَّابَـنْ»والواحد منهم يسمى «أَعَـزَّابْ»، وهم يمثلون العلماء و الأئمة و أهل الرّأي والشّورى.

يقوم المجلس بالإشراف الكامل على شؤون المجتمع الإباضي الدينية والتعليمية و الاجتماعية و السياسية و الاقتصادية. تظهر هذه الفلسفة في تخطيط المدينة الميزابية نفسها التي يحتلّ

المسـجد مركزهـا. وأوّل مـا يشـدّ انتباه الملاحـظ للمـدن الميزابيـة وقوعهـا فـي روابٍ (هضــاب) ، و يرجـع ذلـك إلـى الظّـروف الأمنيّـة الصّعبـة الّتـي عاشـها الميزابيـون فـي ذلـك الوقـت ، إذ كانـت بلادهـم تقـع فـي منطقـة جيرانهـا يعتمـدون النّهـب و السّـلب. فـي أعلـى تلـك الربـوة ، يقـع المسـجد وسـط المدينـة، واختيـار المِيـزابيين لهـذا الموقـع لإقامـة المسـجد دليـل علـى أهميـة وظائفـه المتعـددة ، فهـو بجانـب وظيفتـه الدّينيّـة ، ينهـض بـدور قاعـة الاجتماعـات الهامـة و المركـز العلمـي للمدينـة و مخـزن المـؤن ، والمركـز الدّفاعـي للمدينـة ، إذ نجـده فـي المـدن الميزابيـة مُحصّنـا. يراعـى فـي مسـاجد ميـزاب البسـاطة و التقشـف و الابتعـاد عـن كلّ مـا قـد يشـغل المصلّـي عـن الخشـوع في عبادتـه ، حتّـى المحـراب فإنـه خـال مـن أيّ زخرفـة حتّـى فـي المسـاجد المبنيـة حديثـا.

تتـدرج المسـاكن متلاصقـة متلاحمـة لا يعلـو واحـد علـى آخـر علـى امتـداد الربـوة، حتّـى تنتهـي بمجموعـة أبـراج دفاعيـة وسـور مُحصّـن يحيـط بكامـل المدينـة.
السّوق هـو المكـان العمومـي الوحيـد بعـد المسـجد الـذي يمكـن لأهـل البلـدة أن يجتمعـوا فيـه و يتبادلـوا الأخبـار ويتفقّـدوا أحوالهـم يوميـا ويسـتريحوا مـن تعـب العمـل ، بالإضافـة إلـى ممارسـتهم البيـع و الشـراء .ويُراعـى فـي موقـع السّـوق أن يكـون خـارج المسـاحات السـكنية، وكلّمـا اتّسـعت المدينـة فإنّـه ينقـل إلـى مـكان أبعـد. ويشـرف العزّابـة علـى السّـوق إشـرافا صارمـا لا هـوادة فيـه، ويحـدّدون الأربـاح ومـن ثـمّ أسـعار كلّ سـلعة و يحـدّدون مـا يجـوز تداولـه وبيعـه. لا تقـام الأعـراس عائليّـا فـي مـدن الـوادي بـل هـي أعـراس جماعيـة يحـدّد مجلـس العزّابـة مواعيدهـا وينظّـم الإنفـاق عليهـا،و يحـدّد المهـور والهدايـا المقدّمـة لـكلّ عـروس عنـد زواجهـا، بـل يمنـع الرّجـل حديـث الـزواج مـن تقديـم أيّـة هديّـة لزوجتـه عـدا هدايـا العـرس وذلـك لمـدّة عاميـن. والحكمـة مـن ذلـك أنّ اليتيمـات يتزوّجـن أيضـا فـي الأعـراس الجماعيـة، ولا يريـد المجلـس لأيّ منهـن أن يشـعرن أنّ مـا قـدم إليهـن عنـد الـزواج أو بعده أقلّ ممّا قُدّم للأخريات.

(صورة لمدينة غرداية،عاصمة وادي ميزاب)



جمّعنا معلوماتنا هذه حول هذه المنطقة وإباضيّتها من خلال شبكة الأنترنات[1] وكذلك عبر معارفنا من الأصدقاء الجزائريين الإباضيّة منهم وغير الإباضيّة [2] وشيعة الإباضيّة وشيوخها،أمّا المعلومات الأهمّ فقد حصّلناها ممّا أطّلعنا عليه من مراجع الإباضيّة التّي كنّا قد اطّلعنا عليها.

يبدو أنّ هذه المنطقة بمدنها مخالفة للسّائد من المدن وهي على صورتها منذ تأسيسها بعد أن فرّ إباضيّة تاهرت من التّقتيل الذّي تعرّضوا إليه من قبل الدّولة الفاطميّة بعيْد سقوط الدّولة

(1) www.mzab-online.com (12-05-2011)-17:34

(2) www.facebook.com/MzabMedia (12-05-2011)- 19:06

الرّسـتميّة.

نلاحـظ كذلـك أنّ هـذه المنطقـة ترتـدّ إلـى لحظـة تأسيسـيّة جنينيّـة هـي لحظـة الاحتجـاج للـذّات فـي مواجهـة الآخـر عبـر التحصّـن ايكولوجيّـا فـي منطقـة نائيـة تمنـع الجماعـة مـن الاندحـار.

وإذن :

- نعتبـر أنّ الاسـلامات التّاريخيّـة قـد قامـت علـى الاحتجـاج والظّاهـر أنّ وادي ميـزاب هـو الأنسـب لإبـراز معالـم هـذا الاحتجـاج فـي الفضـاء الثّقافـي نظـرا إلـى محافظتـه علـى «نقائـه العقدي»،فنظـام العزّابة(وهـو النّظـام الـذّي يعتمـده الإباضيّـة فـي فتـرة الكتمـان أو الدّفـاع) لا زال قائمـا فـي وادي ميـزاب بالجزائـر وهـو الـذّي يسـوس العبـاد كمـا حـدّده مؤسّسـه(أبو عبـد الله محمّـد بـن بكـر) حيـث يمكـن فهـم المجتمـع الإباضـي فـي ميـزاب مدخـلا لفهـم الاحتجـاج وأبنيتـه وطرائـق تأوّلـه.
- حافـظ «التحصّـن الايكولوجـي» جنوبـا علـى معالـم المجتمـع الإباضـي «النّموذجـي» وانْ مسّـه التحـوّل والتطـوّر سـنّةٌ ولـن تجـد لسـنّة التطـوّر البشـري تبديـلا.
- تتداخل المعطيات الإثنيّة والدينيّة والسّياسيّة في رسم ملامح الاحتجاج.

عمدنـا الـى التوسّـع فـي التّعريـف بالأنتروبولوجيـا التأويليّـة وربطهـا بفضـاء وادي ميـزاب بعلّـة الكشـف عـن بعـضٍ مـن ملامحهـا المنهجيّـة ونتائجهـا الفكريّة،واحتجاجـا منّـا لهـذا المنهـج وإضفـاءً ل»شـرعيّة اسـتعارته» مـن سـياقه الغيرتـزي الـى سـياق نرمـي الـى تشـكيله والذّهـاب بـه مذهبـا شـططا،أو هكـذا نزعـم.

نصل في هذه المرحلة الى النّتائج التّالية:

- ترتبـط الأنتروبولوجيـا بالممارسـات الثّقافيّـة عنـد المجموعـات البشـريّة ولا تقتصـر علـى توصيفهـا وتجريدهـا بـل تصبـو الـى تـأوّل ديناميّاتهـا وأنمـاط اشـتغالها.
- لا يـردنّ علينـا أحـد قولنـا إنّ القائـل بارتبـاط الأنتروبولوجيـا الثّقافيّة،التّأويليّـة منهـا علـى وجـه الخصوص،بسـياق غيـر الـذّي نـروم تقليـب نظرنـا فيـه إنّمـا هـو موقـف مـردود عليـه وهـو ادّعـاء لا سـند لـه،بـل هـو سـراب الفيافـي يحسـبه الضمـآن مـاء وماهـو ببالغـه.

- لقد انفتح علم الإناسة التأويلي على الإسلام تشكّلا وممارسات وأنساقا ترميزيّة.ونسعى الى توسيع دوائره الإجرائية «الحقليّة» على سبيل اختبار سعَة هذا المنهج ومداه في تقصّي الظّواهر في وادي ميزاب والنّزول الى قيعان أبنيتها الرّمزيّة وما يمكن أن نقدّمه من بدائل في تلك اللّحظات التّي يقصر فيها هذا المنهج عن إدراك شيء من المدركات.

- النظام الأنتروبولوجي التأويلي نظام تحاجّي ينطلق منه ويستند إليه ويعود إليه ويتمثّل دور الأنتروبولوجي الحقّ في كَفْر حقيقته والكشف عن مناهج الملّة فيه(ملّة بني ميزاب).

- قد تكون دراسة أنماط الاحتجاج الفِرقي في مختلف هيآته توسّعا في إثبات الأبعاد الثّقافيّة للتّمايز الفرقي وإبرازا لوجوه الطّرافة في فهمه والوقوف على مردوديّته الرّمزيّة في فضاء الثّقافة العربيّة الإسلامية الذّي غدا فضاء إقصاء وتهميش بسببٍ من هيمنة الأرثوذكسيّة الدّينيّة والعرقيّة عليه.

لا تتأتّى المشروعيّة العلميّة المرجعيّة لاستثمار الأنتروبولوجيا من أعمال غيرتز فحسب بل من المفكّرين العرب مَن نذر حياته في محاولة استدعاء هذه المقاربة ومنهجها لفهم السّياق الحضاري للثّقافة العربيّة الإسلاميّة وتجاوز مآزقها.فانتروبولوجيا الإسلام امتدّت الى فضاء الحضارة الإسلاميّة واهتمّت بالبحث في التّعبيرات العقديّة المغايرة للنّسق الإعتقادي السُنّي- الأرثوذكسي بحثا عن الأنماط التّداوليّة للإسلام المعياري في فضاءات محليّة،مفرطة في محليّتها،محمّلة بخصائص أنتروبولوجيّة لا تفي مقولة الإسلام التّاريخي في شموليّتها بتقديم مقاربة عميقة لها.

وهو أمر يقتضي استحداث تقاليد نقديّة جديدة تتجاوز المواضعات المعرفيّة السّائدة وتنفتح على مكتسبات العلوم الإنسانيّة ومناهج النّقد الفلسفيّة والأدبيّة واللّسانيّة.ولن يتأتّى ذلك إلاّ بكشف السّياقات الأنتروبولوجيّة لتشكّل أنظمة اللاّهوت وتكيّفها مع معطيات الواقع المحلّي وتحوّلها المستمرّ.يقول محمّد أركون في هذا السّياق»لهذا السّبب فإنّي أدعو الى مراجعة شاملة لمسألة الفكر العربي والثّقافة العربيّة في المغرب الكبير من أجل خلق الشّروط الثّقافيّة والعلميّة لتأسيس فكر مغاربي نقدي قادر على توسيع منطقة المفكّر فيه لكي تشمل كلّ المجالات المحروسة حتّى الآن،إمّا من

قبل الأرثوذكسيّة الدّينيّة وإمّا من قبل الأرثوذكسيّة السّياسيّة،وإمّا من قبل تحالف الإثنين معا»[1].

دعا أركون في مدوّنته الفكريّة الى اعتماد الأنتروبولوجيا والإسلاميّات المطبّقة لتجاوز»الاستراتيجيا الاستيعابيّة التّذويبيّة» للمغارب التّاريخيّة التّي تختلف تصوّرا وممارسات مع إسلامات المشرق وإن كانت هذه الإسلامات نفسُها منتمية الى الدّائرة العقديّة ذاتها في المشرق الإسلامي.فإباضيّات المغرب تختلف عن إباضيّة المشرق.

لقد قامت مناويل فكريّة كثيرة بإلحاق»المغرب الإسلامي» بالمشرق نظرا الى إيديولوجيا التفرّد والفرادة التّي أكسبها الدّعاة الإيديولوجيون لفضاء المشرق وقد صلّوْا في هياكله وقدّسوا أقداسه الحضاريّة فضارعت حقائق الوجود ثباتا.لقد استأصلوا المغارب من سياقاتها التّاريخيّة وخصائص فضاءاتها الأنتروبولوجيّة بمنطق التّكييف القصري والإلحاق التّراتبي والذّود عن منطق المفضّليات التاريخيّة[2].

ساهمت هذه الاستراتيجيّات التّذويبيّة في احتجاج الشّعوب المدمجة عليها من خلال أبنيتها التصوّريّة ولا شعورها الجمعي فانبرت تحتجّ في فضاءاتها على الفضاء الثّقافي المغاير الذّي ألحقت به إلحاقا ثقافيّا منعت رصيدها الإناسي من التوهّج والإشراق.

قامت ممارسات هذه المجموعات السّوسيو-ثقافيّة على مرتكزات قاعديّة مختلفة في إنتاج الدّلالة الاجتماعيّة- الثّقافيّة والتصوّرات المفارقة المتعالية ف»تاريخ اللاّتاريخ يفصل الأمكنة عن أزمنتها،والثّقافات عن موادّها التّكوينيّة وعن ديناميّاتها التّوليديّة وعن مجالاتها الحيويّة،ليلحقها بتاريخ معياري،شكلانيّ،ثمّة ميتا-تاريخ هو التّتويج المطلق لكلّ التّرسيمات التّاريخيّة ولكلّ أشكال إشتغال البشر على شرطهم الإنساني لصياغة تواريخ مختلفة وعابقة بالمعنى»[3].

---

(١)محمّد أركون، قضايا في نقد العقل الدّيني كيف نفهم الإسلام اليوم، ترجمة وتعليق هاشم صالح، دار الطّليعة، بيروت، لبنان، ط٢، ٢٠٠٠، ص ٤٢.

(٢)يُعتبر الجابري من الذّين أدلجوا أدواتهم المعرفيّة دفاعا عن منطق الأفضليّة العربيّة وقد توسّل في ذلك بمقاربة عروبيّة طمست معالم الذّاتيّة المغاربيّة الثّقافيّة بمبضع نقدي إيديو-سياسي،راجع مقالنا الموسوم ب [في نقد»نقد العقل السّياسي العربي» عند الجابري :سلطة السّلف ورهانات الخلف].وقد شاركنا به في ندوة قسم العربيّة بكلية الآداب والعلوم الإنسانيّة بسوسة،ندوة السّلف والخلف أيّام ١٥ و١٦ و١٧ أفريل ٢٠١٣.

(٣) محمد أركون – رهانات المثاقفة بالمغرب الكبير بعد الاستقلال – مقاربة أنثروبولوجية – ترجمة : عبد الكريم شوطا – مراجعة : محمد عابد الجابري – فكر ونقد – العدد – ٢٠- يونيو ١٩٩٩-ص ٣٢ .

إنّ الفضـاء المغاربـي الكبيـر محمّـل بمخـزون ثقافـيّ تفاعلـت مكوّناتـه وعناصـره عبـر مسـار تاريخـيّ متشـابكة توليفاتـه العرقيّـة (الأمازيغيّـة) والدّينيّة(اليهوديّـة والمسـيحيّة والإسـلام) والأسـطوريّة(التّقاليد الثّقافيّـة الإغريقيّـة والرّومانيّة).إنّـه تنافـذ إناسـيّ كان عابـرا للأزمان،محـدّدا لملامـح الشـخصيّة المغاربيّـة وتعبيراتهـا الثّقافيّـة والسّياسـيّة وصياغاتهـا الفضائيّـة البيئيّـة الثّقافيّـة وأنظمتهـا الإجتماعيّـة والإقتصاديّـة فـي مسـار ثابـت رغـم محـاولات تنميطها،قديمـا وحديثـا، عبـر اسـتراتيجيات عديدة.فكانـت شـخصيّة عصيّـة علـى التّنميـط والنّمذجـة.

هنـا يظهـر الاحتجـاج فـي أكثـر أشـكاله توهّجـا وفـي شـبكة مـن العلاقـات معقّـدة تصدّرتهـا الـذّات المغاربيّـة مـن خـلال مقاومتهـا لـكلّ أشـكال الاسـتيعاب عروبيّـة كانـت أو اسـتعماريّة.وهي فـي الحقيقـة ليسـت سـوى فضـاءات باحثـة عـن فضاءات-مجـالات حيويّـة تقتضـي فـي البـدء اسـتيعاب كليّـات التّاريخ فـي صـور جوهرانيّـة ممأسسـة.

قـد اختلّـت المبـادلات الرّمزيّـة فـي «سـوق السّـلع الرّمزيّـة» وفـي توزيـع الفـيء الرّمزي،فاحتُكـر الرّأسـمال الرّمـزي فـي مجـالات عديدة:لسـانيّة(مركزيّة لسـان العـرب) وفِرقيّة(مركزيّـة الأرثوذكسـيّة السـنيّة المالكيّـة فـي المغـارب) وعرقيّـة (أفضليّـة العـرب علـى الأمازيـغ) ودينيّة(مركزيّـة الاسـلامات وهامشـيّة الدّيانـات الأخـرى خاصّـة اليهوديّـة الموزّعـة علـى مجـال المغـارب).

تقتضـي هـذه المركزيّـة محاولـة تفكيكهـا لا على سـبيل التّفكير في تشـكّل الغـرب الإسـلامي ومقالاته،فهذه مجـالات قـد تطـرّق إليهـا بحّاثـة كثـر نحـو هشـام جعيّـط[١] والمبـروك المنصـوري[٢]، وإنّمـا علـى سـبيل فقـه ظواهـر الاحتجـاج وتأصيلهـا فـي سـياقاتها التّاريخيّـة والثّقافيّـة والسّياسـيّة والاجتماعيّـة والنصيّـة وردّهـا خاصّـة إلـى أدواتهـا الرّمزيّـة التّـي تضفـي علـى نظـام التّحـاجّ أبعـادا أنتروبو-ثقافيّـة. ويتـمّ ذلـك عبـر دراسـة تشـكّلها انتروبولوجيـا وايكولوجيّـا وسـيميائيّا ،جلبـا لمنافـع التعـرّف الـى الفـرادات الثّقافيّـة والصّياغـات الإبداعيّـة للمحتّجيـن ودفعا،فـي المقابـل، لمضـارّ الوقـوع فـي التّلفيـق عـوض التّوفيق،والإتّبـاع عـوض الاستكشـاف،والتّوصيف الشـكّلي عـوض التأويـل الرّمـزي.

(١) هشام جعيّط، تأسيس الغرب الإسلامي،بيروت،دار الطّليعة،ط١، ٢٠٠٤.

(٢) مبروك المنصوري،عقائد الإسلاميين في بلاد المغرب الى نهاية القرن السادس الهجري،الثّاني عشر الميلادي،وأثرها في المذاهب الفقهيّة (أطروحة دكتوراه بإشراف الأستاذ المنصف بن عبد الجليل)،بحث مرقون بكليّة الآداب،منوبة ٢٠٠٤.

لا ريـب أنّ الأنتروبولوجيـا الثّقافيّـة يمكـن أن تسـاعدنا علـى كشـف نظـام المعرفـة وتلبّسـه بالأنظمـة الثّقافيّـة تلبّسـا تشـي بـه أنظمـة الاحتجـاج والدّيناميّـات الرّوحيّـة ومـا تنتجـه مـن معـان عنـد الجماعـة المدروسـة.

نصـل مـن ذلـك كلّـه الـى القـول إنّ اعتمـاد الأنتروبولوجيـا فـي مجـال المغـارب الإسـلاميّة يسـتند الـى مرجعيّـات معرفيّـة تطبيقيّـة شـغلت الباحثيـن وهـي عتبـة للعبـور الـى أبحـاث متجـدّدة مـا تجـدّدت أنظمـة المعرفـة الأنتروبولوجيّـة وراجعـت مقولاتهـا ومتصوّراتهـا.

ولا يخفـى مـع ذلـك أنّ الحديـث عـن أنتروبولوجيـا الإسـلام أو أسـلمة المعرفـة يبقـى إشـكاليّا لا يمكـن فصـل المقـال فيـه إلاّ بتدبّـر نجاعتهـا الإجرائيّـة موظّفـة فـي حقـل الاسـلامات وتحديـد مـدى تماسـكها النّظري.وهـو رهـان يبقـى قائمـا حـول النّجـاح فـي ربـط مجـال الأنتروبولوجيـا التّأويليّـة بمجـال الإسـلام الإباضـي فـي وادي ميـزاب. ومـا يمكـن أن يوفّـره ذلـك مـن مشـاريع بحثيّـة مسـتقبليّة نقـوم بهـا نحـن أو غيرنـا مـن الباحثيـن.

نخلص الى نتيجتيْن هامّتين:

- تعتبـر أنظمـة الاحتجـاج القاعـدة المتصوّريّـة التّـي عنهـا صـدرت المقاربـات التّـي ذكرناهـا فـي طيّـات مقالنا.لكنّنـا نذهـب باحتـراز الـى القـول إنّ هـذه القاعـدة المتصوّريـة قـد عُبّـر عنهـا تعبيـرا يتماشـى والأدوات المتاحـة مـن تأريـخ وحصـر للمسـألة فـي ثنائيـات معيّنـة.
- تحتـاج النّزعـة التّجريبيّـة التّـي تـمّ توكيـد حيويّتهـا واجرائيّتهـا الـى تعميـق النّظـر فـي عيّنـات محليّـة ودراسـتها دراسـة مستفيضة.فالإسـلام المغاربـي إسـلامات تتّصـل بوجـه وتنفصـل ثقافيّـا مـن وجوه. فلئـن سـادت المقالـة الخارجيّـة الاحتجاجيّـة فـي الجزائر،فـإنّ المغـرب الأقصـى قـد بـرزت فيـه مقالة التصـوّف والإشـراق،وهذا أمـر يحتـاج الـى دراسـة تقـوم علـى مقارنـة الأصـول الإشـتقاقيّة لهاتيـن المقالتيـن فـي فضائيهمـا الأنتروبولوجييْن.

إنّ تتبّـع متصـوّراتنـا والإيغـال فيهـا يسـاهمان فـي مسـاعدتنا علـى تحويـل هـذه المعطيـات الإشـكاليّة الـى خطّـة عمـل دقيقـة لذلـك نـرى أنّ بحثنـا يتأسّـس علـى جهـاز مصطلحـي يجعـل الاحتجـاج القاعـدة الأصليّـة التّـي تنشـدّ إليهـا باقـي المصطلحـات والمفاهيم.ونـهـدف الـى إصابـة غرضيـن اثنيـن ينفتحـان

علـى كـوى تسـتتبع الإشـكالات إذْ تحاصـر بعضهـا وتعـدّد الأغـراض:

١- غـرض الظّواهـر مبثوثـة فـي النّصـوص – المصـادر (أي التصـوّرات والتمثّـلات ونزعات التأسـيس والتّشـكيل فـي كتـب الطبقـات والسّـير والفقـه والحديث والسـيرة).

٢- غـرض النّصـوص المتسـرّبة الـى الظّواهر(الممارسـات الثقافيّـة المنجَـزة فـي فضـاء عينـي أي منطقـة وادي ميزاب).هـذه الأغـراض – المحمـولات تتفـرّع الـى محمـولات نُـوى مثـل مسـائل الصّـلاة والوضـوء والتحـوّط والجنائـز والعقائـد وإبدالاتهـا الرّمزيّـة،وإنّ منهـا لمَـا يشّـقّق فيخـرج منهـا الرّمـز فـي علاقتـه بنزعـة الإحتجـاج فـي فضـاء وادي ميـزاب تجـاه الآخرين(المالكيّـة ومخاييلهـم).

ولا نقصـد بالفضـاء الفضـاءَ «الفيزيقـيّ» الهندسـي فحسـب ،وإنّمـا نضيـف إليـه الفضـاء فـي معانيـه الذهنيّـة وقـد أُثّـث عبـر دوالّ الإحتجـاج.

فالفضــاء هـو مشـروع اسـتثمار رمـزيّ يرتكـز علـى مجموعـة مـن المحمـولات – النّواقـل لثقافـة الجماعـة المحتجّـة المدروسـة وقـد ملئـت معنًـى.

إنّهـاّ رحلـة المعانـي فـي الفضـاءات عبـر اسـتراتيجيّات ترميزيّـة تُشـتقّ مـن فضـاء النـصّ وتأتلـق فـي نـصّ الفضـاء المُنجـز بجامـعٍ هـو الإحتجاج. فنجـوّز الحديث عندها عـن فضاء احتجـاج(contestation Espace de) ومـا يعنيـه ذلـك مـن احتـكار رمـزيّ لـه يضفـي علـى المجموعـة وجـودا عينيّـا – ذهنيّـا تكشـفه الممارسـات السّـيميائيّة والتمثّـلات الرّمزيّـة فـي الفضـاء حـول الفضاء(ميتـا-فضـاء ربّمـا...).هـو احتجاج»يمشـهد« ذاتـه بذاتـه ويتّخـذ لبوسـا دينيّـا شـعائريّا وسياسـيّا طقوسـيّا تخليـدا لفعـل المقاومـة مـن أجـل الوجـود.

لا معنـى لبحـث فـي الإحتجـاج دون إضفـاء معنـى علـى الفضـاء الـذّي يعبّـر عـن نسـق تأسيسـي إحتجاجـيّ يضفـي علـى الممارسـات الثّقافيّـة الإحتجاجيّـة بعـدا مكانيّـا أو ربّمـا يحتكـم هـذا المـكان نفسـه إلى»مخيـال مكانـيّ« يطلـب اسـتعاراته ومجازاته.وهـي بلاغـات مكانيّـة منبهمـة تحتـاج الـى مـن يفـكّ انبهامهـا ليصرّفهـا فـي مسـالك تداوليّـة تتجـاوز المحلّـي الـى الإقليمـيّ والإقليمـيّ الـى الكـون الإناسـي.

وهـذه أشـكال/فضـاءات كلّمـا خلتهـا اكتملـت إلاّ وبـدت منهـا أشـكال أخـرى وحـده التّوليـف والجمـع والتّنسـيق والمـداورة والتّقليـب والقيـاس والمقارنـة والاسـتنباط والاسـتقراء المحقّقـة للمنشود،الكاشـفة



عـن الموجـود.

لا ضـرر إذن فـي عـرض محـاور الإشـتغال الكبـرى أو المحمـولات الـّتي نرغـب فـي معاينتها،وهـي لا تخـرج بحـال عـن إمكانيّـة التّقويـض أو التّعديـل أو الإضافـة وَفـق مـا يقتضيـه حقـل البحـث ومـا سـتقدّمه لنـا المصـادر والمراجـع مـن معطيـات:

المدينـة وتنظيمهـا/ المسـاجد وأبنيتهـا/ الأسـواق ومبادلاتهـا/ المقابـر وهيأتهـا/ وهـي محمـولات تنشـأ فـي فضـاء النـصّ لتتحـوّل بدورهـا الـى نصـوص تُقـرأ فتُـأوّل.

الخاتمة

وإذن نهـدف الـى عقـد علاقـات «بيـن- نصيّـة» بيـن الفضـاءات (فضـاء النـص ونـص الفضـاء) والكشـف عـن أنسـجتها الرّمزيّـة اعتمـادا علـى مقاربـة يتنافـذ فيهـا الأنتروبولوجـي والسّـيميولوجي فـي حقـل معرفـيّ مشـترك،نتحدّث عـن «الفضـاء النصّـي الأنتروبولوجـي « وحركـة علاماتـه ورمـوزه فـي حلّهـا وترحالهـا ومـا يلحقهـا مـن تطـوّرات يمليهـا الاسـتعمال ويثريهـا الاحتجـاج.

لا نرمـي الـى كشـف»النّسـق العلائقـي» القائـم بيـن هـذه الممارسـات الرّمزيّـة فحسـب،بل نتعدّاه الـى ربـط هـذا النّسـق بالتمثّـلات العقديّـة عنـد إباضيّـة وادي ميـزاب وسـياقاتها التّأسيسـيّة،وبذلك نخـرج مـن صمـت السّـكون الـى صخـب الحركـة فـي إطـار حركـة «أنتروبـو- ثقافيّـة» تصبـو إلـى كشـف أعيـان المعانـي وطبقاتهـا دونمـا سـهو عـن خطـاب السّلطة:سـلطة الفرقـة وسـلطة الجماعـة وسـلطة الدّولـة. يتطلّـب ذلـك حفـرا فـي جينالوجيـا الخطـاب واقتفـاء أثرهـا فـي الفضـاءات وتنقيبـا عـن طاقاتهـا الحجاجيّة الإحتجاجيّة.وهـي مقاربـة كفيلـة بالإجابـة عـن حرقـة الأسئلة،أسـئلة الماضـي والحاضر،دونمـا تنكّـر لسؤال حـارق طـارئ :هـل يمكـن الحديـث عـن «أنتروبولوجيـا إسـلاميّة» أو «أسـلمة للأنتروبولوجيـا»؟

المصادر والمراجع

أ- الكتب والدّراسات

• المصادر والمراجع العربية:

١. أركون، محمّد ، قضايا في نقد العقل الدّيني كيف نفهم الإسلام اليوم، ترجمة وتعليق هاشم صالح، دار الطّليعة، بيروت، لبنان، ط٢، ٢٠٠٠.

٢. (البكّاي) لطيفة،حركة الخوارج نشأتها وتطوّرها إلى نهاية العهد الأموي،بيروت،دار الطّليعة، ٢٠٠١.

٣. (الجعبيري) فرحات،

٤. نظام العزّابة عند الاباضيّة الوهبيّة في جربة،تونس،المطبعة العصريّة،١٩٧٥.

٥. دور المدرسة الإباضيّة في الفقه والحضارة الإسلاميّة،دار الجويني للنّشر،تونس،١٩٨٨

٦. (جعيّط) هشام،تأسيس الغرب الإسلامي،بيروت،دار الطّليعة،ط١، ٢٠٠٤.

٧. (جليّ)أحمد محمّد أحمد، دراسة عن الفرق في تاريخ الإسلام الخوارج والشّيعة، مركز الملك فيصل للبحوث والدّراسات الإسلامية، ١٩٨٦.

٨. (بوعجيلة) الوريمي ناجية،الإسلام الخارجي، بيروت –لبنان، دار الطّليعة للطّباعة والنّشر ورابطة العقلانيين العرب، ط١، سبتمبر ٢٠٠٦.

٩. (المريمي) محمّد،اباضيّة جزيرة جربة خلال العصر الحديث،دار الجنوب للنّشر –كلية الآداب والفنون والإنسانيات بمنّوبة،تونس، ٢٠٠٥.

١٠. (معمّر) علي يحيى،الاباضيّة دراسة مركّزة في أصولهم وتاريخهم،د.ت ودون دار نشر.

١١. (المنصوري) مبروك،عقائد الإسلاميين في بلاد المغرب إلى نهاية القرن السادس الهجري،الثّاني عشر الميلادي،وأثرها في المذاهب الفقهيّة (أطروحة دكتوراه بإشراف الأستاذ المنصف بن عبد الجليل)،بحث مرقون بكليّة الآداب،منّوبة ٢٠٠٤.

١٢. (النّامي) عمرو خليفة،دراسات عن الاباضيّة،بيروت،دار الغرب الاسلامي٢٠٠١.

• المعرّبة:

١. (أوجييه)مارك وجون بول كولاين ،ترجمة د.جورج كتوره،الانثروبولوجيا،دار الكتاب الجديد المتّحدة،ط ١، ٢٠٠٨ .

٢. (غيرتز)كليفورد ، تأويل الثقافات، ترجمة محمد بدوي، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، ٢٠٠٦.

- **المصادر والمراجع الأجنبية:**

(Cohen) Anthony:

1. The Symbolic Construction of Community, 1985, Routledge.
2. Whalsay: Symbol, Segment and Boundary in a Shetland Island Community, 1987, Manchester University Press.
3. (Dangel).G,L'imamat ibadite de Tahert(761-909),contribution a l'histoire de l Afrique du nord durant le haut Moyen Age, Thèse 3 cycle Strasbourg 1977.
4. (GEERTZ)Clifford:
5. Islam Observed, Religious Development in Morocco and Indonesia (1968), University Of Chicago Press, 1971.
6. The Interpretation of Cultures, Basic Books, New York, 1973.
7. The religion of Java, University Of Chicago Press 1976.
8. GEERTZ Clifford, GEERTZ Hildred & ROSEN Lawrence, Meaning and Order in Moroccan Society. Three Essays in Cultural Analysis, Cambridge, Cambridge University Press, 1979.
9. Savoir local, savoir global. Les lieux du savoir, PUF, 1986, 2012.
10. Le Souk de Sefrou. Sur l'économie du bazar, trad. Daniel Cefaï, Paris, Bouchène, 2003.
11. (Lewicki)T,La répartition géographique des groupements ibadites de l'Afrique du Nord au Moyen Age, RO,21 ,1957.
12. (Schacht) J,Bibliotheques et manuscrits abadites,dans revue Africaine, Alger,1956.
13. (Sachau) E,Uber die religoesen Anscaungen der ibaditischen Muhammedener in Oman und Ostafrika, Berlin, Abteilung, 1899.
14. (Schneider) David, American Kinship. A Cultural Account, Chicago, University of Chicago

Press, 1980, 2e édition.

15. (Turner) Victor Witter :

16. The Forest of Symbols: Aspects of Ndembu Ritual (1967).

17. Schism and Continuity in an African Society (1968).

18. Dramas, Fields, and Metaphors: Symbolic Action in Human Society (1974).

19. (Van Ess) J,Untersuchungen zu einigen ibaditischen Handschriften,dans Zeitschrift der Deutschen Morgenlaendischen Gesellschaft,126,1976.

• المقالات:

١. المعرّبة

١- محمد أركون – رهانات المثاقفة بالمغرب الكبير بعد الاستقلال – مقاربة أنثروبولوجية - ترجمة: عبد الكريم شوطا – مراجعة : محمد عابد الجابري - فكر ونقد – العدد – ٢٠- يونيو ١٩٩٩ .

٢. الأجنبيّة

1- GEERTZ Clifford, « La description dense. Vers une théorie interprétative de la culture », Enquête, n° 6, 1998, pp. 73-105 ; id. in Daniel Cefaï, L'enquête de terrain, Paris, La Découverte / MAUSS, 2003.

• المواقع الإلكترونيّة:

1. www.mzab-online.com
2. www.facebook.com/MzabMedia

أضواء على بعض السِّير المغاربية الإباضية
سير الوسياني والبغطوري نموذجا

د. عمر بن لقمان حمو سليمان بوعصبانة
أستاذ محاضر بجامعة نزوى وباحث في علم المخطوط/ سلطنة عُمان

Omarlokmane42@yahoo.fr

التمهيد

تعدُّ كتب السِّير الإباضية من أهمِّ المصادر التي تحوي التَّاريخ والفقه والتراجم، وبالأخصِّ التَّعريف بالعلماء والطلبة، وكذا شتَّى صنوف المعرفة التي قد يحتاج المسلمون إليها.

وقد نحا الإباضية في إبراز تاريخهم هذا المنحى، متأسِّين بمن سبقهم من المؤرخين لكتابة سيرة رسول الله .

وهذا المنحى السِّيَري، يترك في قلوب الناشئة أثرا طيبا؛ فبواسطته يتأسَّى الخلَف بالسَّلف في أخلاقهم وطلبهم للعلم، ويطَّلعون على ما عاناه أجدادهم من أجل المحافظة على هويتهم الدينية، وأوطانهم التي استماتوا من أجل الدِّفاع عنها. وإنَّني بتتبُّعي أماكن وجود المخطوطات الإباضية في بعض بلاد العالم، وجدت الاهتمام من الأوروبيين بالغا، وغفلة المسلمين أبلغ.

وساقتني المشيئة الإلهية إلى أن أحظى بتحقيق بعضها، وتتمثل في: سير الوسياني، وسير البغطوري (نهاية التحقيق) وجواهر البرادي (بداية التحقيق)، فوجدت أنَّ من أراد التَّحقيق الأمثل، فعليه أن يسعى لجمع النُّسخ العديدة، وأن تكون له رغبة جارفة لخدمة المشايخ، والتعريف بالعلماء الذين طوت الأيام أسماءهم بطيِّ النسيان.

ولهذا فقد اخترت أن يكون عملي في هذا الملتقى - بإذن الله - ضمن بند التحقيق، واخترت أن أتناول - بإذن الله تعالى - الآتي:

المقدمة

من الملفت للنَّظر أنَّ كُتَّاب السِّير في التَّاريخ الإسلامي لم يكتبوا تاريخهم على غرار من كتب التاريخ العالمي في ركاب الحكَّام المستبدِّين تمجيدًا لانتصاراتهم، وعدًّا لجحافل جيوشهم، وإحصاءً وتمجيدا لغنائمهم وأسراهم وسباياهم، وإظهارًا لمظاهر أبَّهتهم وترفهم، وفرحا ورقصا على الأشلاء وخراب الديار وبثّ الرُّعب والدمار.

بل اعتمد مؤرخو الإسلام كما أسلفنا منهج السِّيَر، فلا تجد في مؤلفاتهم السِّيرية إلاَّ حديثا عن العلماء واجتهاداتهم في نشر العلم، ودعاتهم كيف ينشرون الإسلام بسمتهم وإخلاصهم، وزهَّادهم وعبَّادهم كيف كانوا يحيون الليالي عبادةً، وخضوعًا لله تبارك وتعالى، ومن جهة أخرى كيف كانوا يشيعون السَّلام والحبَّ والاطمئنان في كلِّ شبر حلُّوا به. هذا ديدن المسلمين المخلصين لله تبارك وتعالى.

كما أظهروا طلبةَ العلم، وكيف كانوا يجتهدون في التحصيل، وكيف ينقطعون لذلك في نظام قلَّ نظيره، وأظهروا الشيوخ في تفانيهم لإيصال العلوم الشرعية خاصة، وكيف كانوا يجمعون بين العلم والعبادة، وأوردوا كراماتهم التي يقف الناقد أمامها بين مصدِّق لما قد يوهب للأصفياء، وغير مصدِّق لما لم يألفه الآن من انقطاع ذلك المنهج السِّيري الذي كان سائدا من قبل، ليس عند الإباضية فقط بل نجده سائدا عند غيرهم أيضا، وقد تتشابه هذه الكرامات وقد تتطابق.

إن هذا المنهج الذي كان سائدا في ذلك العصر عند غير الإباضية أيضا يتمثَّل واضحا عند أبي زيد عبد الرحمن بن محمَّد الأنصاري الأسيدي الدبَّاغ الذي عاش بين سنتي (٦٠٥ و٦٩٦هـ) والكرامات التي أوردها في كتابه: «معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان».

إنَّ لذكر الكرامات أثرها النَّفسي على الإنسان حتى لأنها تجعله يحترم ذلك العالم المحظوظ برضا الله، وقد يبقى بين التصديق، والوقوف. وللحكم للكرامات أو عليها، ينبغي أخذ رأي علماء الشريعة فيها .

حينما يطالع القارئ كتب السِّيَر يجدها مليئة بذكر الكرامات التي تعطي مهابة للوليِّ الصَّالح، وتترك انطباعا حسنا وأثرًا في النفس يدعو إلى الاقتداء والتأسِّي بأخلاق هؤلاء الأولياء الصَّالحين.

إنَّ الكتب السِّيرية الإباضية عادة ما تبدأ بذكر رجال المذهب الأوائل الذين كانوا أقرب إلى المنبع الصافي، صحابة كانوا أم تابعين، كالصَّحابي مازن بن غضوبة السَّعدي، والتَّابعي الجليل جابر بن زيد الأزدي الجوفي الفرقي العماني، حتى يثبتوا لغيرهم من أصحاب المذاهب الإسلامية الأخرى، صفاء منبع مذهبهم ـ مذهب أهل الحق والاستقامة ـ وقد يوردون ذكر حياة علمائهم منفردين، وقد يوردونهم في مجموعات يضمُّهم نصف قرن من الزمن، يطلق على المجموعة كلِّها: مصطلح «طبقة».

وقبل الحديث عن سير الوسياني والبغطوري نورد بعضا من السير أُلِّفت قبلها وتأثَّرت بها وأخرى أُلِّفت بعدها وأثَّرت فيها:

١ - المصادر السيرية السابقة لسير الوسياني والبغطوري

من أبرز المخطوطات السابقة التي ذُكر فيها حال الإباضية الأوائل:

أ ـ كتاب «بدء الإسلام وشرائع الدِّين» لابن سلام اللَّواتي

هذا المؤلَّف يرجع إلى القرن الثالث الهجري، وقد ظهر هذا الكتاب في هذا العهد بعد الجهود المضنية التي بذلها الشيخ سالم بن يعقوب الجربي (المتوفى سنة ١٩٩١هـ) -رحمه الله- في البحث عن المخطوطات. وطُبع تحت عنوان: «كتاب فيه بدء الإسلام وشرائع الدين، لابن سلاَّم الإباضي (ت: بعد ٢٧٣هـ/ ٨٨٧م)[1].

يعدُّ هذا الكتاب من أهمِّ المصادر، بل إنَّ المخطوطات المصدرية بعده تعدُّ عالةً عليه، فهو الأصحُّ منها. ولنأخذ منه مثالاً واحدًا فقط: فَقِصَّة وفاة الشيخ عاصم السَّدراتي التي أورد ذكرها أبو زكرياء الوارجلاني (ت: ٤٧٤هـ) في كتابه «السيرة وأخبار الأئمة»، على أنَّه استشهد في معركة مع الإمام أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري اليمني سنة ١٤١هـ بقثَّاءة مسمومة، نجد ابن سلاَّم يذكر أنَّه قد استشهد في معركة مع إمام الدفاع أبي حاتم الملزوزي سنة ١٥٥هـ، ويؤيد الشماخي فيما بعدُ ما ذهب إليه ابن سلاَّم، علما بأنَّ ابن سلاَّم قريب عهد من الأحداث عن أبي زكرياء. حيث يقول: «كان عاصم السَّدراتي من أشدِّ النَّاس على الأعداء مع أبي حاتم وسمُّوه في

(١) طبعة بيروت: دار صادر، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، تحقيق: فيرنر شفارتز، وسالم بن يعقوب.

قتَّـاء، ونـادوا مـن فـوق السـور: "أيـن عاصـم السـدراتي؟ قتلنـاه". فخادعهـم أبـو حاتـم حيـن كمـن لهـم فـي وادي رقَّـادة.

وتقدَّم مـا حـكاه أبـو زكريـا أن قصتـه وموتـه مـع أبـي الخطـاب، والأقـرب مـا رواه ابـن سـلاَّم لأنـه قـال: رويتـه عـن سـليمان بـن زرقـون، وفـي كتـب المخالفيـن مـا يـدل علـى أنَّـه كان حيًّـا بعـد أبـي الخطَّـاب، والله أعلـم»[1].

• **قوة المصدرية**

لا تكمـن الأهمّيـة فـي قِـدَمِ المصـدر فقـط، بـل حتـى فـي الاهتمـام بذكـر السـند. فكثيـرًا مـا يـروي ابـن سـلام رواياتـه مشـافهة بإسـنادها إلـى مـن سـبق، ووثَّـق ذلـك بقولـه:«فرويـت هـذا الحديـث مـن ولايـة أبـي حاتـم إلـى آخـره، عـن سـليمان بـن زرقـون[2]»[3].وبهـذا نجـد أن تاريـخ وفـاة عاصـم السـدراتي يتغيَّر إلـى أبعـد ممَّـا ذكـر فـي سـير أبـي زكريـاء، فقـد كان حسـب أبـي زكريـاء بعـد: ١٤١هـ/٧٥٨م. وصـار حسـب ابـن سـلام: فـي سـنة ١٥٥هـ/٧٧٢م. وعلـى هـذا الأسـاس يستحسـن أن يراجَـع كلُّ مـا ورد فـي سـيرة أبـي زكريـاء، ويقـارن ويصحَّـح بمـا ورد عنـد ابـن سـلام.

كمـا تكمـن أهميـة المصـدر فـي ذكـر جملـة مـن الأفـذاذ الذيـن ذكرهـم ابـن سـلاَّم، وقـد طواهـم النِّسـيان، أو الجهـل، وذَكَـرَ منازلَهُـم وأحياءهـم بتدقيـق محكـم، نذكـر منهـم الآتـي:

- إسـحاق بـن معيذيـر: مـن فقهـاء المدينـة، ولـم نقـف علـى اسـمه حسـب اطلاعنـا فـي المصـادر التاريخية المتوفرة.

- أبو المهاجر: فقيه أهل الكوفة من علماء المذهب.

---

(١) أبو العباس أحمد بن سعيد بن عبد الواحد الشماخي، طبعة حجرية، المطبعة البارونية، القاهرة، مصر، ١٣٠١هـ، ص١٣٥.

(٢) أبو الرّبيع سليمان بن زرقون النّفوسي (ق ٤هـ)، من أعيان الطبقة السّابعة (من ٣٠٠هـ إلى ٣٥٠هـ)، وُلد بقرية تدُيوتْ بجبل تِيرَشْوِين جنوب تونس، تعلَّم أوّلا على شيخ مؤدِّب من قسطيلية، ثمَّ درس على الشَّيخ ابن الجمعي في قرية تُوزَز، وكان رفيقه في التعلُّم أبو يزيد مخلَّد بن كيداد صاحب الثَّورة الكبرى على الفاطميِّين قبل أن يعتنق المذهب النكَّاري. ينظر: قواعد الإسلام لأبي طاهر إسماعيل بن موسى الجيطالي (ت: ٧٥٠هـ/١٣٥٠م)، تحقيق: بشير بن موسى الحاج موسى، الطبعة الأولى، (د. نا)، تاريخ نشر الجزء الأول: ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، ص٢٥٨.

(٣) ابن سلام: كتاب فيه بدء الإسلام.

- حاجب الطائي: فقيه أهل البصرة.

- هاشم بن عبد الله: فقيه، من أوْرَع الناس، خراساني.

- أبو إبراهيم موفق: فقيه ومفتٍ بمصر. له علاقة بوالد ابن سلاَّم: سلاَّم بن عمرو. ومن خلال مراسلة مع والده تعرَّفَ على داره، فوصف مكانها بدقة.

كما وصف مضارب العمانيين بمنى، خلف جمرة العقبة، غربي منى، وبعضَ علاقاتهم مع العلماء.

ثم خصَّص فصلا لعلماء الأصحاب بالقيروان وما حولها، تحت عنوان: «تسمية فقهاء أصحابنا وعلمائهم ومشايخهم وذراريهم بمدينة القيروان وحواليها»(1)، وذكر منازلهم، سواء أكانوا عربا أم بربرا، ونذكر منهم:

- سليمان بن جاس، عربيٌّ: منزله بـ«قلوط» شرقي القيروان، فقيه وعالم من الأصحاب.

- سعيد الحدَّاي، وأبو سعيد: عرَبي، بالسَّاحل في قبلة المرج، وله حوانيت عدَّة بالقيروان. وهذه الشَّخصيات المهمَّة غير مذكورة في كتب السير الإباضية ولا في غيرها.

ومن الصُّعوبة جدًّا أن نجد تفاصيل حياة من ذُكِر باسمه في كتاب بدء الإسلام لابن سلاَّم، إن لم نوفَّق إلى وجود كتب مرَّة أخرى للسِّير غير ما هو متوفِّر، مطبوعا كان أم مخطوطا، وقد استقصينا تفاصيل جميع هذه التراجم المذكورة، في ما هو متاح لدينا، فلم نجد لها ذكرا إلاَّ عند ابن سلاَّم.

ووجود أسماء غريبة عنا في كتاب ابن سلاَّم الأقدم، يفتح لنا باب الأمل لمزيد من البحث والتنقيب عنها وعن غيرها؛ وهو ما نتوق إليه، ونحث عليه في مثل هذه الملتقيات والندوات، كما ندعو مالكي المخطوطات إلى التصريح بما عندهم حتى يسهموا في توضيح الرؤية القاتمة. علما بأنَّ وسائل الحفظ الآن متوفِّرة تجعل مالك المخطوطة يزول عنه هاجس الضياع والسرقة، بل يحوز على نسخ متعددة منها.

---

(1) المصدر نفسه، ص132.

ب . أبو زكرياء الوارجلاني وكتابه: «السيرة وأخبار الأئمة»

مؤلّف كتاب السِّيرة وأخبار الأئمة: هو أبو زكرياء يحيى بن أبي بكر الوارجلاني المتوفَّى بعد سنة ٤٧٤هـ/١٠٨١م. ويرى تاديوتش ليفتسكي أن أبا زكرياء لا يزال حيا في سنة ٥٠٤هـ[1]، وهذا خطأ منه، وإن ما ذُكر بأنَّ أبا العباس أحمد بن أبي عبد الله مات في منزل أبي زكرياء يحيى بن جعفر الوسلاتي، ورد في الجزء الأول من سير الوسياني[2] وليس في الكتاب المنسوب إلى أبي زكرياء[3].

أخذ أبو زكرياء صاحب كتاب «السيرة» جلَّ معلوماته عن شيخه أبي الربيع سليمان بن يخلف المزاتي المتوفَّى سنة ٤٧١هـ/١٠٧٨م بوادي أريغ.

يعدُّ كتابه هذا من أهمِّ المصادر لدراسة التَّاريخ الإباضي بالمغرب الإسلامي، من لدن انتشار المذهب فيه، دارسا قيام الدولة الخطَّابيَّة بطرابلس سنة ١٤٠هـ/٧٥٧م، إلى سقوطها على يد محمَّد بن الأشعث الخزاعي سنة ١٤٤هـ/٧٦١م، ودارسا قيام الدولة الرستميَّة بتاهرت من سنة ١٦٠هـ/٧٧٧م إلى سقوطها على أيدي العبيديِّين الشيعة سنة ٢٩٦هـ/٩٠٩م.

كما درس أحوال الإباضية في الحزام الأوسط للمغرب الأوسط والأدنى: أريغ ودُمَّر وأسوف ووارجلان وبادية بني مصعب، وكذا أحوال الإباضية بجربة وجبل نفوسة.

ويعدُّ كذلك المصدر الأساس لإبراز نظام العزَّابة الذي ظهر سنة ٤٠٩هـ، على يد أبي عبد الله محمد بن بكر الفرسطائي النفوسي، لقربه منه زمانا ومكانا[4].

وقد أولى الأوروبيون هذا الكتاب أهمِّيَّة بالغة، فهرَّبوه إلى أوروبا وترجموه. وذلك حينما أراد الاستعمار الفرنسي التَّعرُّف على هويَّة الإباضية الميزابيين، وبالتبع الشعب الجزائريِّ، شمالا

---

(١) ينظر تاديوتش: المؤرخون الإباضيون، ترجمة جرار، ص ١٣٤.

(٢) ينظر سير الوسياني، تحقيق: عمر لقمان، ج١، الفقرة س٨/٤، ص٤٢٠.

(٣) من المؤكَّد أنَّ الكتاب المنسوب إلى أبي زكرياء، والمنشور على أنه الجزء الثاني من سير أبي زكرياء، وعلى أنه جزء من سير الوسياني، قد برهنَّا في دراستنا لسير الوسياني على أنَّه ليس لأبي زكرياء ولا للوسياني. ينظر: ج١، ص١٤١-١٤٧.

(٤) وجدتُ هذا الكتاب مخطوطًا في الهيئة العامَّة للكتاب بمصر، تحت رقم ٩٠٣٠ح في جزءين.

وجنوبا، فهرَّب المخطوطات العديدة، حتَّى يتعرَّف على خصائص المجتمع وقبائله وهويته ومواضع اتِّفاقه واختلافه مع غيره.

استطاع إميل ماسكراي (Masqueray.E) في شهر جوان ١٨٧٨م أن يضع يده على كتاب: «السيرة وأخبار الأئمة» لأبي زكرياء يحيى بن أبي بكر الوارجلاني، حتَّى يتعرَّف على النَّاحية الاجتماعيَّة والاقتصاديَّة والتاريخيَّة للصَّحراء، ولمنطقة ميزاب خاصة، كما أسلفنا. وذلك ما يسَّر حدوث الهجمة الشَّرسة على المجتمع الإباضي الميزابي المسلم الموصوف بـ«الخطير»[١] عنده.

بعد أربع سنوات، حسب ما تشهد به الوثائق في ذلك الوقت، نجم عن ذلك إسقاط المدن الصحراويَّة الجزائرية تباعا، بدءا من غرداية بوابة الصحراء سنة ١٨٨٢م، إلى الجنوب الأقصى في غزو مدمِّر وحشيٍّ مستعينٍ بأدلاَّءَ من البادية (أصحاب المهاري) الذين باعوا ضميرهم فيسروا له كل المسالك الصعبة.

اهتمَّ (جون أوغست بوسترو Jean-August Bossoutrot)[٢] بالمخطوطات، ومن بينها نسخة أبي زكرياء، وذلك إبَّان مشاركته الهجوميَّة ضمن الجيش الفرنسي على ميزاب وتونس، فنقل النسخة إلى باريس، حيث وجدها المحقِّق التونسي عبد الرحمن أيُّوب في صندوق مع مخطوطات أخرى، فحقَّق كتاب «السيرة وأخبار الأئمة»، في مجال بحثه الأكاديميِّ.

كما أنَّ المستشرق البولوني تاديوش ليفتسكي كان قد حاز على نسخة من أستاذه زيغمونت سموجورزفسكي التي نقلها هذا الأخير من ميزاب سنة ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٦م[٣]. إلى لفوف البولونية آنذاك قبل الغزو الروسي عليها وضمها إلى أراضيه بعد الحرب العالمية الثانية.

بهذا يعدُّ المخطوط ـ محقَّقا ولو من نسخ قليلة ـ من المصادر المهمَّة في تاريخ الدولة الرُّستمية في تاهرت ونفوسة ووارجلان، كما يعدُّ المصدر الوحيد في الثورات التي قادها المشايخ ضد أعدائهم من العبيديين أو من غيرهم ممَّن أغار عليهم، والمصدر الأوَّل في التعريف بنظام الإمامة

(١) لا شكَّ أن وصف الاستدمار الفرنسي لمناوئيه المدافعين عن حريَّتهم، بأنهم خطر على فرنسا، مما يشرِّفهم.

(٢) جان أوغست بوسترو: ولد في الجزائر العاصمة سنة ١٨٥٢م، شارك في المعارك الهجومية الاحتلالية لمزاب سنة ١٨٨١م، واشترك في احتلال تونس أيضا، ومات سنة ١٩٣٧م.

(٣) ترجع هذه النسخة الخطية هذه إلى سنة ١٣٠٢هـ/ فيفري ١٨٨٥م، نسخها إبراهيم بن سليمان الشماخي.

الصغرى (أي نظام العزَّابة) كما أسلفنا، وكيف انتشر المذهب الإباضي حتى بلغ جنوب غرب إفريقيا بفضل دعوتهم وتجارتهم وحسن سلوكهم.

كما أن الكتاب يعدُّ من المصادر التي نوَّهت بالتُّراث الإباضي الأصيل[1]، إذ ذكر ديوان جابر بن زيد مثلا، الذي يعدُّ مفخرة وجوهرة في تاج الإباضية، وأقواله مبثوثة في كتبهم. وباهتمام أبي زكرياء بتاريخ المغرب الأوسط والأدنى في هذه المرحلة المبكِّرة، يعدُّ مصدرا أساسيا لمن أتى بعده من مؤرخي السير وكتَّاب التاريخ ودارسي المجتمعات.

ج - كتاب المعلقات لمجهول

«كتاب المعلَّقات في أخبار وروايات أهل الدعوة، لمؤرخ مجهول»، مخطوط حقَّقه الطالب سليمان بن إبراهيم بابزيز (بحث التخرج في قسم الشريعة، بمعهد الحياة القرارة) كتاب في السير الإباضية، يشبه في منهجه وأسلوبه سير الوسيانيِّ إلى حدٍّ بعيد، فهما يرويان عن مشايخ عدَّة من نفس العصر، كأبي عمرو عثمان بن خليفة السوفي، غير أنَّ صاحب المعلَّقات ـ وهو مجهول ـ يروي عن مشايخ من وارجلان، كأبي يعقوب الوارجلاني، دليل على أنه من وارجلان أو درس فيها، كما يحتمل أن يكون أصغر من الوسياني لكونه أيضا أخذ عن مشايخ عاشوا بعده، وبهذا من الممكن أن يكون قد التقى بالوسياني.

ومن خلال هذا يمكن أن نقول: إنَّ أصحاب هذه المصادر المتزامنة قد أخذوا من مصادر مشتركة شفويَّة كانوا يتلقون منها الروايات، أو راجت أقوالهم ورواياتهم بينهم، أو كانت لهم مصادر مكتوبة تناقلها النسَّاخ على شكل ألواح، أو كتب غير معزوَّة إلى أحد، والله أعلم.

٢ - المصادر السيرية اللاحقة للوسياني والبغطوري

أ - الدرجيني وكتابه «طبقات المشايخ بالمغرب»

لقد ألَّف أبو العبَّاس أحمد بن سعيد الدرجيني (المتوفَّى بعد سنة ٦٧٠هـ/ ١٢٧١م) كتاب طبقات المشايخ في جزئين، وذلك سنة ٦٥٠هـ/١٢٥١م.

---

(١) أبو زكرياء: السيرة، تحقيق: عبد الرحمن أيوب، ص ١٢٦.

نـال كتابـه اهتمامـا بالغـا مـن المثقَّفيـن، لكونـه يضيـف تعريفـا دقيقـا لتراجـم كانـت مغمـورة وغيـر معروفـة لديهـم ولـدى المؤرخيـن، خاصـة قبـل طبعـه بمطبعـة البعـث بقسنطينة سـنة ١٩٧٤م.

يرجع الفضل في إخراجه إلى النور، إلى الشيخ إبراهيم بن محمد طلاَّي اليزجني، فقد قام بطبعه بعد أن وضع للفقرات عناوين جانبيَّة، وأضاف بعض الإشارات الهامشيَّة، ولكنَّ كلَّ هذا العمل المشكور لا يرقى إلى التحقيق الأكاديميِّ المطلوب، إذ لم يخرِّج شيئا، ولم يقارن بين النسخ إلاَّ لماما. وقد أعاد الشيخ طبعه مشكورا في سنة ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م[١]، مع ضبط وتدقيق أكثر للنصِّ، بمساعدة جملة من الباحثين. ولا شكَّ أنَّ نشره بشكل أوسع سيستفيد منه الباحثون أكثر من طبعته الأولى.

• **محتوى المؤلَّف**

يحتوي المؤلَّف على جزئين.

الجزء الأوَّل منه لا يعدو أن يكون ـ بعد استعراض كامل فقراته ـ نسخةً طبق الأصل لكتاب أبي زكرياء «السيرة وأخبار الأئمة»، لولا تحسيناته البديعة في الأساليب والعبارات، وكذا بعض الإضافات. ولذا فمن المستحسن أن نؤكِّد بأنَّ الجزء الأوَّل لأبي زكرياء نقله الدرجينيُّ بتصرُّف.

وإنَّ الجزء الثاني للدرجيني نفسه، وقد أبدع فيه حقًّا، وهو مصدر هامٌّ، خاصَّة للمشايخ المذكورين لأوَّل مرَّة، وهم الذين عاشوا ما بين تاريخ وفاة أبي زكرياء بعد ٤٧٤هـ/١٠٨١م إلى ٦٥٠هـ/١٢٥١م، تاريخ تأليف الدرجيني لكتابه.

وقد ترك ذكر الطبقة الأولى من الصحابة والأخيار، لاشتهارها بين الناس، وليس ذلك استنقاصا ولا جحودا، بل لشهرتها، كما علَّل في بداية كلامه. وبدأ بالطبقة الثانية (من ٥٠ إلى ١٠٠هـ/٦٧٠-٧١٩م) إلى (الثانية عشرة ٥٥٠-٦٠٠هـ/١١٥٥-١٢٠٣م). وحسب قوله: إنَّ كتاب الطبقات، وهو ما ينطبق على الجزء الثاني فقط، نقله عن أبي عمَّار عبد الكافي رضي الله عنه، ولسنا ندري كيف كان هذا النقل، فبدل أن تكون رواية العزابة «واحدا عن واحد، وأكابر عن أكابر، وثقة عن

(١)لم يذكر تاريخ النشر في غلاف الطبعة الثانية، ولا ناشرها، وإنما استقينا هذا التاريخ من هامش الجزء الأول، صفحة "س".

ثقة، رأى من حسن نظره أن يكون ذلك جملة عن جملة»[1].

• اختلاف في التواريخ والأسماء

في سير أبي زكرياء: نجد تحت عنوان أخبار أبي حاتم وولايته: «وحدَّث غير واحد من أصحابنا أنَّ أبا حاتم يعقوب بن لبيد الملزوزي ولي طرابلس في رجب سنة خمس وأربعين ومائة [١٤٥هـ/٧٦٢م]»[2].

بينما في كتاب طبقات الدرجيني: نجد تحت عنوان: ولاية أبي حاتم يعقوب بن لبيب الملزوزي: «حدَّث غير واحد من أصحابنا أنَّ أبا حاتم ولي مدينة طرابلس في رجب سنة أربع وخمسين ومائة [١٥٤هـ/ ٧٧١م]»[3]. وحدد أيضا بتاريخ ٢٧ ربيع الأول سنة ١٥٥هـ /٧ مارس ٧٧٢م[4].

نلاحظ بين الفقرتين اختلافا بين الأسماء والتواريخ:

- بين لبيد، ولبيب.

- بين ١٤٥هـ/٧٦٢م، و١٥٤هـ/ ٧٧١م.

علما بأن هذا الاختلاف لاحظناه فيما ذهب إليه ابن سلام في كتابه «بدء الإسلام» عن تاريخ وفاة عاصم السدراتي في أنه توفي في جيش أبي حاتم الملزوزي إمام الدفاع وليس في جيش الإمام أبي الخطاب، مناقضا لأبي زكرياء الذي ذكر أنه توفي في عهد أبي الخطاب السابق عهده. وهنا يتوافق الدرجيني مع ما ذهب إليه ابن سلام، ويستقي منهما الشماخي، وهذا يعني أن الدرجيني له مصادر أخرى غير سير أبي زكرياء قبله.

وما يوجد في كتب السير من سقط، وانتقال نظر، وأخطاء في الأسماء والتواريخ... يدعونا إلى مراجعة كل النسخ السِّيرية اللاحقة خاصة، من تدقيق في المسائل والأحداث، لأن الباحثين لا ينظرون إلى المصادر على أن بها هذه النقائص ـ إن صح التعبير ـ لأنها في عداد المصادر، خاصة

---

(١) الدرجيني: طبقات، ٦/١.

(٢) سير أبي زكرياء، فقرة ٨: ١.

(٣) الدرجيني: طبقات، ٣٦/١.

(٤) مجهول: مشاهد جبل نفوسة. ص٢٠.

مـا مـرَّت عليـه أيـادي المحققيـن، فقـد كنَّـا نعتقـد ذلـك فـي سـيرة أبـي زكريـاء المحققـة مـن د. عبـد الرحمـن أيـوب، وقـد قـارن بيـن ثـلاث نسـخ، ولكـن بعـد مقارنتنـا لـه بأربـع نسـخ (فـي الجـزء المنـدرج فـي مجموعـة الوسـياني)، وجدنـا ـ كمـا أسـلفنا ـ الكثيـر مـن الأخطـاء، إضافـة إلـى ملاحظـات أخـرى لا يسـع المقـام لذكرهـا الآن.

ب - الشماخي وكتاب «السير» وتأثره بالوسياني:

١- نبذة عن المؤلِّف وكتابه

مؤلِّـف الكتـاب هـو: «أبـو العبـاس أحمد بـن أبـي عثمـان سـعيد بن عبـد الواحد بـن سـعيد بن أبـي الفضـل قاسـم بن محمد بـن عمر بـن يحيى بـن إبراهيم بـن موسـى بن عامـر الشـماخي». كان شـابًّا حينمـا توفِّـي أبـوه سعيد سـنة ٨٦٥هـ/ ١٤٦٠م. وتوفِّـي هـو سـنة ٩٢٨هـ/ ١٥٢٢م، وحـدَّد الشـيخ الخليلـي مولـده بالأربعينيـات.

يلتقـي مـع مؤلـف الإيضـاح الشـيخ أبـي سـاكن عامر بـن علي بـن عامـر الشـماخي فـي جدِّهمـا عامـر الشـمَّاخي.

ويبـدو حسـب تاديـوش ليفتسـكي[١]أنَّ عائلـة الشـمَّاخي عاشـت فـي تيغرميـن فـي أقصـى شـرقي جبـل نفوسـة، ثـمَّ انتقلـت إلـى يفـرن سـنة ٧٥٦هـ/١٣٥٥م.

أخذ أبو العبَّاس العلم عن أبي عفيف صالح بن نوح[٢].

لقـد مكَّنتـه زيارتـه لمشـاهد الجبـل مـن الكتابـة عنهـا فـي مؤلَّفـه. كمـا زار طرابلـس وتونـس، وكان التقـاؤه بالشـيخ الحـاج محمد بـن عبـد الله العمانـي السـمائلي عندمـا زار مريضـا، سـببا فـي التعـرُّف علـى إباضيـة عمـان[٣]. ولـه مؤلَّفـات عـدَّة مـن أهمِّهـا: «كتـاب السـير».

طبـع كتابـه طبعـة حجريَّـة[٤] سـنة ١٣٠١هـ. أمَّـا النسـخة المخطوطـة التـي اطَّلعـت عليهـا فـي دار الكتب

(١)لقد اعتمد تاديوش على نسخة الحاج سليمان بن مسعود النفوسي المطبوعة بالقاهرة ١٣٠١هـ / ١٨٨٤م.

(٢)تاديوش: المؤرخون، ترجمة جرار، ص٤٦.

(٣)أبو العباس أحمد بن سعيد الشماخي: السير، طبعة حجرية، المطبعة البارونية، القاهرة، مصر، ١٣٠١هـ، ص٥٦٥.

(٤)توجد نسخة منه في مكتبة الوالد «لقمان حمو» رحمه الله.

المصريَّة فهي تحمل تاريخ رقم[1] ٧٦٩.

وقد استفاد الشمَّاخيُّ ممَّن سبقه من كُتَّاب السير مثل ابن سلام وأبي زكرياء، والدرجيني، والوسياني وأبي الربيع سليمان بن يخلف المزاتي (ت: ٤٧١هـ/١٠٧٨م)، وأبي عمرو عثمان بن خليفة السوفي (ق٦هـ/١٢م)، ومقرين بن محمد البغطوري، الذي أتمَّ تأليف سيرته سنة ٥٩٩هـ/١٢٠٢م.

٢- استفادته من الوسياني

يبدو أنَّ المصادر المتكاثرة عليه قد أخذ منها بكثرة وبدون أيَّة إحالة عليها، والتشابه بين بعض النصوص بكاملها يؤكِّد ذلك.

فقد نقل عن الوسياني فقرات بكاملها؛ فإلى جانب اهتمامه بذكر مناقب المشايخ، نراه يستفيد ممن سبقه في إيراد الأحداث التي جرت، ويذكر المصادر المهمَّة، منها ذكره لتفسير هود بن محكم الهواري.

فإذا كان يمتاز بإحاطته بأغلب المصادر الإباضية وباستفادته من غير الإباضية، فإنَّ جل الدارسين يقصدونه لذلك، فإنه لا يرقى إلى أسلوب الدرجيني، ولا إلى منهجيته المحكمة، حسب تصورنا.

ومما تجدر الإشارة إليه اهتمامه بإيراده لـ«نسب الدين»، حتى يبرهن على أن الإباضية لهم اتصال وثيق بواسطة سلسلة ذهبية بسيد الخلق عليه السلام وأنهم أقرب المذاهب إلى المنبع الصافي.

ولا يسع المجال لذكر سائر كتب السير مثل الجواهر للبرادي أو كتاب ابن الصغير الذي أرخ للدولة الرستمية دون أن يهتم اهتماما كبيرا بسير المشايخ إلا عرضا، كذكر مناقب الإمام أبي اليقظان الرستمي.

---

(١)تبدأ النسخة بسيرة النبي e والخلفاء الراشدين وباقي الصحابة والتابعين ومن بعدهم، ومن وجد في عصر هؤلاء من الإباضية وأشرافهم ممَّن نشر مذهبهم، من بدء أمرهم على عهده في طرابلس الغرب.
النسخة ناقصة الأوّل، وأوّل ما ذكر دولة معاوية، وآخر ما ذكر من علماء الإباضية أبو عثمان سعيد السدويكشي. وملحق بالنسخة مجموع من مشاهد جبل نفوسة وذكر مساجدها وقصائد أدبيَّة. انتهى ناسخها محمد بن زكرياء بن موسى الباروني سنة ٩٦٥هـ، في ٢٤٢ ورقة، ومسطرتها ٢٢ سطرا.

٣- سير الوسياني وسير البغطوري:

أ . الجهود المبذولة في جمع النُسخ، سير الوسياني نموذجا

قد يطول الحديث بذكر الجهود المبذولة في جمع النسخ الخطية من شتى بقاع العالم، وقد يكون من فضول الكلام حشر هذا الموضوع هنا، ولكن بعد إلحاح كثير من الأفاضل، رأيت أن أورد طرفا من الحديث، تلبية لرغبتهم، مما قد يكون دافعا للباحثين على مواصلة المشوار، فيؤدي ذلك إلى اكتشافات جديدة، نحمد به مغبة هذا الخروج عن الموضوع.

-كيف كانت البداية؟

لم أكن أعلم قيمة كتاب سير الوسياني، ولا مكانه المرحَّل إليه، لولا تلك الرحلة اللِّيبية التي ضربنا أكباد الإبل إليها مع مجموعة من أكابر مشايخ قرى ميزاب، لأداء واجب التعزية، إثر وفاة شيخنا علي يحيى معمر رحمه الله سنة ١٩٨٠م، فكان اللِّقاء في مأدبة غداء للمعزِّين مع الدكتور عمرو خليفة النامي، ولست أدري السبب الذي جعله يتوسَّم فيَّ تحمُّل هذه المسؤولية الصعبة، طالبا مني الذهاب إلى «كراكوفيا» في بولونيا، لتحقيق سير الوسياني. في وقت يعزُّ عليَّ فيه الذهاب إلى أقرب من ذلك. وتحقَّق الأمل بعد رحلة شاقَّة إليها بسيارة ضعيفة (Renault٤) مع صديقين عزيزين، هما: مختار الحاج الناصر، ومحمد بن أيوب الحاج سعيد.

كانت فاتحةً عهد للبحث عن نسخ خطية أخرى لسير الوسياني، في مصر وميزاب وعمان وتونس وجربة وليبيا، بلغت إحدى عشرة نسخة، نالني من جمعها كلُّ النَّصب والإرهاق فضلا عن تحقيقها.

كما أخذ استقصاء أخطاء المحققين مني كلَّ الجهد؛ حتى أردَّ الحق إلى نصابه، وذلك بأسفار طويلة مرهقة، وبمقارنات بين النسخ متعبة.

وممَّا كاد أن ينالني منه الإحباط، غلق المكتبات المالكة للمخطوط، ومغالاتها في ثمن التصوير، وادعاؤها وجود نسخة منها في مكان آخر كان في الحقيقة {كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسِبُهُ الظَّمْئَانُ مَآءً حَتَّى إِذَا جَآءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا}.

فكانت الأيَّام التي مرت بي، والأموال التي صرفتها لا تسوى شيئا أمام الإحباط الذي ملأ قلبي أسى وكمدا.

ومن بين أهم ما أوصلني إلى نتائج مرضية، استقصاء أعمال البولونيين المهجِّرين للمخطوطات الإباضية من ميزاب، وعلى رأسهم زيقمونت سموغورزفسكي، وسفري إلى تاديوتش ليفيتسكي بكراكوفيا أفادني بمعلومات جمة، بلقاء مفيد معه، وبنسخة حقَّقت فراسة العزيز المغفور له: د عمرو خليفة النامي.

ب – التعريف بهما وبمؤلِّفيهما:

١ – سير الوسياني:

ألفه أبو الربيع سليمان بن عبد السلام بن حسان بن عبد الله الوسياني.

عاش في قصطالية، ويحتمل أنَّهُ ولد بها. يعدُّه الدرجيني من الطبقة الثانية عشرة (٥٥٠-٦٠٠هـ/ ١١٥٥-١٢٠٣م). ولد بالتقريب بعد سنة ٤٦٠هـ/ ١٠٦٧م، ينتسب إِلَىَ قبيلة بني واسين البربريَّة، وهي تنتهي إِلَىَ الجدِّ الأعلى «جانا»، أو «زاناتن». ألَّف كتابه حوالي سنة ٥٥٧هـ/ ١١٦١-١١٦٢م.

ذكر ابن خلدون وجود بني واسين في قصور بني مصاب قائلا: «ومن بني واسين هَؤُلاَءِ بقصور بني مصاب عَلَى خمسة مراحل من تيطري في القبلة بما دون الرمال، وَعَلَى ثلاثة مراحل من قصور بني ريغة في الغرب... »[١].

عاش الوسياني فترة صباه في قصطالية، ثُمَّ انتقل إِلَىَ آجلو بوادي أريغ، قرب بلدة اعمر، قرب تقرت، حيث تتلمذ عَلَى شيخه أبي محَمَّد عبد الله بن محَمَّد اللواتي، المعروف بالعاصمي، الْمُتَوَفَّى سنة ٥٢٨هـ/١١٣٣م. كما تتلمذ عَلَى شخص ذُكر باسم أبي زكرياء، ويرجِّح تاديوش ليفتسكي أنَّهُ أبو زكرياء يحيى بن أبي بكر الوارجلاني[٢].

---

(١) ابن خلدون: تاريخ، مج٧/ ص١٢٣.

(2) LEWICKI Tadeuz: Les Historiens bibliographes et traditionnistes Ibadites-Wahbites de l'Afrique du Nord du VIIIèm au XVIèm siècle, Folia Orientalia, tome III, (1961) Krakow, 1962, p68.

وصفه الدرجيني قائلا: هو «أحد شيوخ الحلقة الكبار، الحافظ للسير والآثار، المرويُّ عنه التواريخ والأخبار، لم تفته سيرة لأهل الدعوة في كُلّ الأعصار، وجملة أوصافه باختصار: أنـّكَ مهما وجدت في هَذَا الكِتَاب أو غيره رواية قديمة عن أبي الربيع فهو راويها عن شيوخه الكبار»[1].

لقد ألف الوسياني سيره ولسنا ندري من جمع ثلاثة كتب أول مرة، وكتب على الغلاف «سير الوسياني»، ولم ينتبه الدارسون للدمج هذا، علما بأن النُّسخ الخطية الموجودة في أغلب المكتبات المختلفة تضمُّ نفس المجموعة، والنسَّاخ الموالون الذين نسخوها كتبوها مجملة كذلك، وكاد أن يقع الإجماع على أنها للوسياني.

فتداوُلُ أيدي النسَّاخ عبر العصور عليها كتابةً، وانكبابُ أعين العلماء عليها قراءةً، وعدمُ الإشارة إلى أنها ليست كلُّها للوسياني، كلُّ هذا جعل الناس يرتاحون ولا يكلِّفون أنفسهم عناء البحث عن حقيقتها .

وفي تحقيقي لها سابقا، قادني التأمُّل إلى الشكِّ، فعمدت إلى النقد الداخليِّ والخارجيِّ، وذلك باستقراء الأحداث والروايات والتواريخ المذكورة، وهذا ما أوصلني إلى نتائج جديدة قلبت الموازين رأسا على عقب، فتغيَّرت عناوين طالما تداولتها أقلام الكتَّاب والنسَّاخ أزمانا سحيقة.

خلصت إلى نتيجة أدعو الله أن أكون موفَّقا فيها وهي أنَّ:

- الكتاب الأول: للوسياني؛ إذ قال في المقدّمة:

«فإنّي نظرت إلى الآثار قد امَّحت، وإلى أخبار أهل دعوتنا قد انطمست، فأحْببت أن أوَلِّف لكم منها كتابا ممّا بلغني وصحَّ عندي ولم تخالجني فيه الشكوك... (إِنْ اُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِيَ إِلاَّ بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ)».

وأردف مبينا مصدر كلامه:

«ممّا قبلته ورويته عن شيخي أبي محمّد عبد الله بن محمّد العاصمي ثمّ اللواتي، عن شيخه أبي محمّد ماكسن بن الخير الجرامي ثمّ الوسياني».

(١) الدرجيني: طبقات، ٢/٥١٣.

- الكتاب الثاني: كتبه شخص يحتمل أن يكون تلميذه، يكنّى أبوه بأبي صالح، وأبوه روى الروايات وأتقن حفظها، وما يؤيد أن لا يكون الكتاب الثاني للوسياني أدلةٌ ذكرتُها، منها فقرة يوجد فيها الترحُّم على الوسياني نفسه. وما أجريته من أدلة في الدراسة تكفي للاستدلال على ذلك، ويستحسن الرجوع إليها لكثرتها.

الكتاب الثالث: بعد الاستقصاء والبحث توصلنا إلى أنه ليس للوسياني، وذلك لكون الأحداث المذكورة سبقت الوسياني بزمن سحيق.

وبهذا يستحسن إعادة ترتيب الكتب حسب الآتي:

- الكتاب الأول من المجموعة لمؤلفها الوسياني.

- الكتاب الثاني من المجموعة لأحد طلبة الوسياني عاش بعده، ونسب إلى الوسياني.

- الكتاب الثالث من المجموعة لشخص عاش بعد أبي زكرياء وأبي الربيع سليمان بن يخلف المزاتي، وقبل الوسياني، وعاش في قنطرار.

هذه خلاصة ما توصلت إليه بعد طول عناء، ولم أشأ تركه يمر دون الرجوع إليه وإفادة غيري من الباحثين به.

يتميز كتاب الوسياني بكونه اهتم بجهات مختلفة عُرفت بعلمائها الأجلاء وأنه انفرد بذكر فترة بعد أبي زكرياء وقبل الدرجيني، استفاد منها الدرجيني إذ قال: «متى وجدت في هذا الكتاب أو غيره رواية قديمة عن أبي الربيع فهو راويها عن شيوخه الأخيار»[1].

٢- سير البغطوري:

ألفه الشيخ مقرين بن محمد البغطوري، والبغطوري نسبة إلى مدينة بغطورة بجبل نفوسة غير بعيدة عن شروس قرب وادي بقالا في الحرابة.

قال عنه الشماخي: «ومنهم الشيخ مقرين بن محمد البغطوري أحد الأشياخ الذين تمسكوا بالعلم وأتموا العمل به، واتبعوا الطريق، وهو ممن حفظ المذهب، وحافظ على السير، وهو أحد

(١) الدرجيني: طبقات، ٢/٥١٣. ونقل الشماخي نفس الرواية، في كتابه السير، ص٤٥٤.

المؤلفين سير من قبله من أشياخ جبل نفوسة، وألف في الفقه ما تيسر. أخذ العلم من أبي يحيى توفيق الجناوني وأظنه أيضا من أبي محمد عبد الله بن محمد [بن مطكود المجدولي] لأنه كثيرا ما يروي عنه السير والأخبار»[1].

لقد ألف البغطوري كتاب السير وأتمه في أواخر شهر ربيع الآخر عام ٥٩٩هـ/١٢٠٣م في إجناون.

يختص البغطوري بذكر مناقب مشايخ جبل نفوسة دون غيرهم، فهو بهذا التخصُّص يظهر تراجم جديدة لم تذكر عند غيره من المصادر والمراجع؛ وذلك لعوامل منها:

- كونه أتى بعد أبي زكرياء وغطَّى الفترة مابين ٤٧٤هـ و٥٩٩هـ.

- كونه اهتم بأهل الجبل دون غيرهم، كما أسلفنا.

- كونه من أبناء جبل نفوسة، وكما يقال: «أهل مكة أدرى بشعابها».

فهو كما رأينا عاش في بغطورة أو بقطورة بجبل نفوسة حيث نال القسط الوافر من العلم، والتقى بالعلماء الذين اهتموا برواية السِّير؛ من هنا يكتسي سير البغطوري أهميته العظمى.

فتنوع المنهجين عند الوسياني الذي غطى أماكن متعددة، والبغطوري الذي اهتم بالجبل فقط أعطى للدارسين بعدهم فسحة واسعة للاستفادة والمعرفة.

وإذا قارنَّا الوسياني بالبغطوري نجده اهتم بالآتي:

«بنفوسة، وجربة، وأهل القصور، وأسوف، وأريغ، ووارجلان.

وبهذا التنوع يتميز الوسياني عن البغطوري.

كما أننا إذا افترضنا فروضا من حيث الاستفادة من بعضهما أو من مشايخ استقوا منهما ندعمها بالآتي:

- الفترة الزمنية قريبة بينهما (٥٩٩هـ) و(٥٥٧هـ).

---

(١) الشماخي: سير، ص٥٤٨.

- المكان قريب، فالبغطوري عاش في جبل نفوسة، والوسياني عاش وانتقل بين الجريد وأريغ وقسطاليا.

- الروايات بينهما متشابهة.

وللاستدلال عن المشابهة بينهما نورد الأمثلة الآتية:

- **مختصر لنماذج من الروايات المتشابهة بين البغطوري والوسياني:**

- من البغطوري (مخ، ص٤٨) والوسياني (ن١/١): عن عمروس بن فتح النفوسي: كان قاضيا عند إلياس فأتى إليه رجلان ليقضي بينهما (الخ القصة...).

- من البغطوري (مخ، ص٤٨) والوسياني فقرة (ن٢/١): عن القافلة التي وقع عليها القُطّاع فأخذوها (الخ القصة...).

- من البغطوري (مخ، ص٧٣) والوسياني فقرة (ن٦/١): ما أورداه عن عمروس في مجلس أبي عبد الله محمّد بن محبوب رحمهم الله (الخ القصة...).

- من البغطوري (مخ، ص٥٨) والوسياني فقرة (ن٩/٢): عن رجل رمى طائرا بحجر فقتل شخصا، في عهد أبي معروف. (الخ القصة...).

- من البغطوري (مخ، ص٦٩) والوسياني فقرة (ن٨/٣): عن أبان بن وسيم وتحوله إلى العزم بعد مرضه. (الخ القصة...).

- من البغطوري (مخ، ص٦٩) والوسياني فقرة (ن٩/٣): إجازة أبي خليل لأبي ذر أبان بن وسيم للإفتاء..

- من البغطوري (مخ، ص٧٠) والوسياني فقرة (ن١٠/٣): غضب أبي ذر أبان بن وسيم على المفرط في الصوم وفتواه. (الخ القصة...).

- من البغطوري (مخ، ص١٠٠) والوسياني فقرة (ن٧/١): الأم التي أوصت بأن ينفّذ ابنها وصيتها، وهو لا يزال في المهد صبيا، القصة واحدة والأمُّ مختلفة: أم عمروس عند الوسياني، وأم ميمون عند البغطوري.

وهذه النماذج من التشابه الحرفي في بعض الأحيان، والتقارب الزماني والمكاني يجعلنا نبحث عن دليل أقوى لتلاقيهما، ولم نهتد بعد إلى ورود اسم شيخ اشتركا في الاتصال به ولو لم يلتقيا أمامه. غير أننا كما أسلفنا لا نستبعد شيوع هذه الروايات بين طلبة العلم في ذلك الحين لأهميتها، والباب مفتوح أمام الدارسين للاستدلال على لقائهما من عدمه، والله أعلم.

• كلام تحسيسي موجه إلى المشاركين

إن العرض الذي قدمناه بحثا عن المخطوطات، وتقييما لها، وتنافسَ المؤرخين - مسلمين وغير مسلمين - لاقتنائها ودراستها يجعلنا نعيد النظر في كثير من الأشياء منها:

- في غفلتنا معاشر المسلمين وانتباه غيرنا.

- في أوضاعنا الاجتماعية ونظرة مجتمعاتنا إلى الموروث الحضاري.

- في البقية الباقية من المخطوطات الآيلة إلى الزوال.

- في تراثنا الوقفي الذي كتب عليه: «وقف لمسجد كذا، لا يخرج منه إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها»، وهو الآن حبيس الخزانات الموصدة خارج أوطان الإسلام.

- في نسبة البحوث التحقيقية للمخطوطات بالجامعات أمام البحوث الأخرى التي نالت حصَّة الأسد.

وهذا ما يجعلنا نستغل مثل هذا الملتقيات لإعادة النظر في مصير أوضاع تراثنا، وكيف نستردُّه بأيَّة طريقة ممكنة، والهدف الأسمى: وضعه في متناول الباحثين من أبناء الأمَّة الإسلامية.

المصادر والمراجع

أ- المصادر المخطوطة:

١- البغطوري مقرين بن محمد النفوسي (حيٌّ في: ٥٩٩هـ/ ١٢٠٣م): سيرة أهل نفوسة، (مخ) بمكتبة الباحث، مصورات مختلفة.

ب- المصادر والمراجع المطبوعة:

١- ابن سلام اللواتي (حي في ٢٧٣هـ/٨٨٧م): كتاب فيه بدء الإسلام وشرائع الدين، تحقيق: فيرنر شفارتز والشيخ سالم بن يعقوب، سلسلة النشرات الإسلامية، عدد: ٣٣، نشر: فرانز شفارتزينر، بفيسبادن، ألمانيا، طبع: دار صادر، بيروت، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

٢- أبو زكرياء، يحيى بن أبي بكر الوارجلاني (ت: بعد ٤٧٤هـ/١٠٨١م): كتاب السيرة وأخبار الأئمّة، تحقيق: عبد الرحمن أيُّوب، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٣- امعمر، علي يحيى (ت: ١٩٨٠م): الإبَاضِيَّة في موكب التاريخ، الحلقة الثانية: الإباضية في ليبيا، مكتبة وهبة، مصر، مطبعة الاستقلال الكبرى، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.

٤- البرادي، أبو الفضل أبو القاسم بن إبراهيم (ت: أوائل القرن التاسع الهجري): الجواهر المنتقاة في إتمام ما أخلَّ به كتاب الطَّبقات، طبعة حجرية، القاهرة، ١٣٠٢هـ/ ١٨٨٤م.

٥- الجيطالي، أبو طاهر إسماعيل بن موسى (ت: ٧٥٠هـ/١٣٥٠م) قواعد الإسلام، تحقيق: بشير بن موسى الحاج موسى، الطبعة الأولى، د.نا، الجزء الأول: ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

٦- الدبَّاغ: معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان أكمله وعلق عليه أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي (ت: ٨٩٣هـ)، تحقيق: الشيخ محمد المجذوب ود. عبد العزيز المجذوب، وتصحيح: إبراهيم شيوخ، طبع ونشر المكتبة العتيقة، تونس، ط٢، ١٩٩٣م.

٧- الدرجيني، أبو العبَّاس أحمد بن سعيد (ت: حوالي ٦٧٠هـ): كتاب طبقات المشايخ بالمغرب، تحقيق: إبراهيم طلاَّي، مطبعة البعث، قسنطينة الجزائر، د. تا.

٨- الشماخي، أبو العباس أحمد بن سعيد: السير، طبعة حجرية، المطبعة البارونية، القاهرة، مصر، ١٣٠١هـ.

٩- الشماخي، أبو العباس أحمد بن سعيد: السير، تحقيق: أحمد بن سعود السيابي، تقديم: أحمد بن حمد الخليلي، الجزء الأول، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

١٠- ليفيتسكي، تاديوتش: الْمُؤَرِّخُونَ الإِبَاضِيُّون في إفريقيا الشمالية، ترجمة: ماهر جرار، وريما جرار، ط١، دار الغرب الإسلامِي، بيروت، لبنان، ٢٠٠٠م.

11. LEWICKI Tadeuz: Les Historiens bibliographes et traditionnistes Ibadites-Wahbites de l'Afrique du Nord du VIIIèm au XVIèm siècle, Folia Orientalia, tome III, (1961) Krakow, 1962.

المرأة في السّير الاباضية

أحمد الأسود
أستاذ مساعد بالمعهد العالي للعلوم الإنسانية بجندوبة/تونس
Ahmed_cso300@hotmail.com

تختلط في سير الاباضية ثنائيّات متضاربة، فالشيوخ رموز، آباء وجدود، علماء، يصارعون الشرّ والظلم ويحرصون على الخير والتّقاء، وإنّ أعوزتهم الحيلة، فهناك يد الله الخفيّة التي تظهر سرّا ببركة الشيخ، فتضرب بحسم أصحاب السوء، وتعيق حركتهم، وقد يثير هذا الصّراع العام، ثنائيّات ثانويّة تجمع بين الشّهوة والورع، وبين الطّمع والزّهد،... حيث يمتزج الواقع بالعجائبي، والحقيقة بالأسطورة، فتحدث معجزات وخوارق وكرامات، ويظهر الشيخ في منزلة وسطى بين البشر والإله،... تحصل لدى المتأمّل في هذه السير صور عن رجال شبه أسطوريين، يواجهون الشّر بالدّعاء المستجاب وباللّعنة النافذة، ولئن كانت هذه «الملاحم» مديحا لشيوخ خارقين، فإنّ المرأة كانت حاضرة في هذا الجوّ الخوارقي- الميثولوجي، بروح وهّاجة وبقدرات غامضة، ذلك ما نعمل على إبرازه في هذا العمل، برصد مختلف صور المرأة في هذه السير، من نافذتي الروح والجسد معا...

١. المرأة والتّديّن

لا تبدو المرأة فاعلة في كتب سير الاباضيّة، فالمتحرّكون على ساحة الأحداث هم شيوخ وعلماء يعملون ويفقّهون ويفتون ويتصدّون للأعداء ويموتون دفاعا عن القبيلة والمذهب والجهة، وهكذا، تبرز المرأة حين لا يكون للشيخ تدخّل، وفي المناطق المظلمة التي لا يلج إليها «العلم»، حيث يستوطن الماضي الوثني والمسيحي الماقبلي، وقد تنوّعت وتعدّدت صورة المرأة الاباضيّة في علاقتها بالتديّن:

٢. المرأة وطلب العلم

كانت المرأة الاباضيّة تسعى إلى العلم، فتصبر على مشاقّه وإن لم يرض وليّها، ولدينا في ذلك مثال «أم ماطوس»، فقد كانت بكرا وأرادت العلم كما يقول الشماخي، فكانت إذا جنّها اللّيل، ونام الناس أخذت مزراقا في يدها، وذهبت في هيئة الرّجل إلى أبي محمد التمصمصي، فتحضر المجلس، فإذا افترق رجعت، وتجعل مزراقها في زيتونة، فسمع أخوها، فأراد منعها، ولكنّها كانت تتركه حتى ينام، فتفتح وتغلق خلفها، ....[١]

ثمّ كانت عائشة بنت معاذ بن أبي علي وهي من أسرة علم، أخذت العلم عن الشيخ تبغورين بن عيسى، كان إذا قعد بالمجلس جازت بحصير، وكانت تدوّره على نفسها، تستتر به، وتقعد في المجلس، وكانت تقول: «لولا الشيخ أبو العباس أحمد بن أبي عبد الله، لمتّ بالجهل»، فكان يُقال عنها: « خير نساء أجلو، عائشة بنت معاذ.»[٢]

كانت المرأة في صورة أمّ ماطوس، متحدّية للذكر ومتجاوزة لأنوثتها، فقد فضّلت أن تكون بكرا مجاهدة في طلب العلم، تخرج ليلا برمحها، بينما كان أخوها الرّجل، يغطّ في النوم.

أما المرأة في صورة عائشة بنت معاذ، فهي تختلط بالرّجال، دون أن تكشف جسدها، فكان حضورها بعقلها وبعقلها فقط، وفي كلا الحالتين، هناك انفصام في المرأة، بين عقلها وجسدها، فإن كانت مساوية للرّجل في قدراتها الذّهنيّة، فجسدها عكس الرّجل، عورة يجب ستره.

من جانب آخر كانت المرأة حاضنة للعلم ساهرة على العناية بالتلامذة[٣]، كما كانت تقوم بتعليم النساء[٤]. وإن كان ليس للمرأة الاباضيّة الحقّ، في الإمامة والقضاء والإفتاء كما في الإسلام عامّة، فإنّها كانت عالمة، وإذا بلغت درجة عليا في العلم، كانت تسمّى عجوزا. وقد ارتفعت أعداد

---

(١) الشماخي، (أحمد بن أبي عثمان)، كتاب السير، تحقيق محمد حسن، المدار الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٩، ج ٢، ص ٤٨٥.
- البغطوري، (مقرين بن محمد)، سيرة أهل نفوسة، نسخة لمخطوط في مكتبة محمود بن سالم بن محمد بن يعقوب الجربي، نسخ في أوت ١٩٧٤، ص ٥٧.

(٢) كتاب السير، ج ٢، ص ٦١٥.

(٣) أبو زكرياء، (يحيى بن أبي بكر)، كتاب سير الأئمّة وأخبارهم، تحقيق إسماعيل العربي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ص ٢٧٤.

(٤) سيرة أهل نفوسه، ص ٢٥. مثال أمّ يحيى.
الدرجيني (أحمد بن سعيد)، طبقات المشائخ بالمغرب، تحقيق إبراهيم طلاي، قسنطية، ج ٢، ص ٣٧٨.

العجائز، توازيا مع انتشار المذهب، فقد ذُكر عن أبي يعقوب بن يوسف الغفولي، من عش يفرن، أنّه قال: «أدركت في الساحل ثلاثمائة عجوز يدّعين الإسلام».[1] فمن هي المرأة العجوز؟

٣. المرأة العجوز: إمرأة عالمة صالحة

إنّ المرأة العجوز هي إمرأة صالحة عالمة، فزورغ الإرجانية هي عجوز صالحة[2]، وكانت أصيلة إمرأة صالحة، وكذلك كانت أم يحيى[3]، وكانت أخت عمروس بن فتح المساكني (ت ٢٨٣هـ) عالمة فقيهة، وقد أفتت للنساء اللّواتي وقعن في الأسر في معركة مانو، بأن تستخلف كل واحدة منهنّ عن نفسها من يزوّجها لمن لأرادها بسوء.»[4]، وكانت أم البخت ابنة خال أبي الرّبيع سليمان بن يخلف المزاتي، تدّعي المسائل وقراءة الكتب.»[5]

إلاّ أنّ ما يُميّز العجوز عن المرأة الصالحة العالمة، هو أمران:

- للعجوز مُصلّى: كانت العجوز تضاهي الشيخ في المنزلة الدينيّة وتفوقه أحيانا، فقد كانت هناك عجوز بقرية خاملة في الجبل، «ذات علم يجتمع إليها أهل تلك القرية يستفتونها، وكان بيت العجوز مصلّى»[6]، وأخرى «يجتمع الناس إليها يسألونها عن دينهم، ولها مُصلّى تصلّي فيه.»[7] وقد ظلّت الكثير من هذه المعالم متواجدة في جبل نفوسة، فقد عدّد الشماخي بعضها، مثل مصلّى أمّ يحيى في جليمت، ومصلّى غزالة، ومصلّى زوغ (زورغ)، ومصلّى أمّ زيد، ومصلّى أمّ جلدين...[8]

---

(١) الوسياني (أبو الرّبيع سليمان بن عبد السلام)، سير الوسياني، تحقيق عمر بن لقمان حمو سليمان بوعصبانة، مسقط، ٢٠٠٩، ج ١، ص ٣٢٤.

(٢) المصدر السابق، ج ٢، ص ٧٦٠.

(٣) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٦٣٨-٦٣٩.

(٤) كتاب الأئمة، ص ١٥٧.

(٥) المصدر نفسه، ص ٢٦٨.

(٦) طبقات المشائخ بالمغرب، ج ٢، ص ٣٧٧- ٣٧٩.
- كتاب سير الأئمّة، ص ٢٧٤.

(٧) كتاب السير، ج ٢، ص ٥٧١.

(٨) الشماخي، كتاب السير، طبعة حجريّة، قسنطينة، ١٨٨٤، ص ٤٩٨-٦٠٠.

إنّ العجـوز، هـي مصـدر البركـة وهـي مقدّسـة فـي ذاتهـا وبمـا لـه علاقـة بمكانتهـا تلـك، فـأمّ يحيـى، أدركهـا الله بالرّحمـة فـي عـرس... فمضـت حتـى وصلـت إلـى صخـرة واتّكأت علـى الصخـرة، فبنـوا عليهـا مصلّـى.» [١]، كانـت العجـوز بحـق عالمـة، فيقـال أنّ زورغ، كان «معهـا ثلـث علـم الجبـل»([٢])، ولكـن أيّ علـم؟ فليس بالعلـم استحقّت العجـوز مكانتهـا فـي جبـل نفوسـة، وإنّمـا بمـا كان لهـا مـن بركـة، لا تستمدّها فقط مـن الإسـلام، وإنّمـا مـن منهـل الماضـي السـحيق. فقـد ذكـر عـن عجـوز بنفوسـة، وهـي زورغ، كان لهـا شـجرة عظيمـة استظلّ تحتهـا جيـش المعـز بـن باديـس، ولمّـا فـرغ مـن فسـاد غابتهـم أمـر بقطعهـا، فجـرت منهـا سـاقية لبـن، فـي حيـن قطعهـم لهـا.[٣]

إنّ خرافـة العجـوز والوثـن، فـي هـذا السـياق، لا علاقـة لهـا حصريـا بالفكـر الاباضـي وإنمـا بالمـوروث الحضـاري الأمازيغـي القديـم. فتلـك الشـجرة والعجـوز، همـا رمـز للأصـل وللهويّـة، إذ أنّ اللّبـن المُـراق هـو إيحـاء للجـذر المشـترك، فكانـت العجـوز، «جـدة الشـيوخ»، كمـا كان يُقـال عـن تبركانـت السـدراتية[٤]، ولأجـل تلـك البركـة التـي كانـت للعجـوز، والتـي لـم تـأت بهـا فحسـب، بعلمهـا الاباضـي، كان لهـا مصلّـى، لقـد كانـت العجائـز فـي نفوسـة المرجـع والأصـل، فعـن هـنّ يأخـذ النـاس العلـم والبركـة، وهـنّ بعـد مـلاذ عنـد الشـدّة، فكـنّ كهفـا للإسـلام، ومـأوى للأخيـار، «وهـنّ خيـم الإسـلام»[٥]، ولذلـك قيـل إنّ: «الفقـه هـو علـم العجائـز.»[٦]

- العجوز حكيمة:

كان أهـل الجبـل يستشـيرون عجائزهـم فـي الأمـور المسـتعصية، فكانـت آرائهـنّ ملزمـة، فقـد أرادوا استقضـاء رجـل عليهـم فاحتـاروا، فقالـت عجـوز، ابعثـوه لـي، فبعثـوه إليهـا، فاختبرتـه بطريقتهـا، فتبيّن لهـا أنّـه معجـاز مهيـن، ثـمّ أرادوا آخـر، فأرسـلوه إليهـا، فجرّبتـه العجـوز، بمـا جرّبـت بـه الأوّل، فتأكّد

(١)سير الوسياني، ج ٢، ص ٦٩٨.

(٢)المصدر نفسه، ج ٢، ص ٥٤٦.

(٣)المصدر نفسه، ج ٢، ص ٥٧٢.

(٤)كتاب السير، ج ٢، ص ٤٦٦.

(٥)سيرة أهل نفوسه ، ص ٢٥ و ص ١٩٠.

(٦)كتاب السير، ج ٢، ص ٤٣٦.

لها فضله.[1]

وقد كان أبو عبيدة عبد الحميد الجناوني يرفض أن يتولّى أمر نفوسة، فذهب يستشير عجوزا، «معروفة بالعلم والأدب والورع»، فنصحته بذلك، بعد أن سألته، إن كان هناك من هو أفضل منه...» [2]، ثمّ كان يلتجئ إلى العجوز بحكم البركة والحصانة التي تتمتّع بها، كل من وقع في مأزق، فتأتيها المرأة التي حملت غصبا[3]، وتلجأ إليها البنت البصيرة التي زُنيَ بها، فتلد عندها[4]، كما يأتيها الفقير المسكين يطلب خرقة، أو ماء، ... [5]. في المقابل، لم تكن العجوز عامة، أحادية الصورة، فهناك العجوز السيئة، التي لها علاقة بالسحر والضّرر.[6]

٤. المرأة المتنبّئة أو الكاهنة:

إنّ علاقة المرأة «الأمازيغيّة» بالتنبّئ والغيب شيء معروف، فقد وصف المؤرّخ بروكبيوس القيصري، هذه الموهبة لدى النساء، فقال: « عند هذه الشعوب (البربر) ليس للرجال الحقّ في التكهّن، إنّهنّ النساء على العكس، من يقمن بذلك، فبعض الطقوس الدينيّة تثير فيهنّ غشيانا، يمكنّهن، مثلما كان يفعل كهنة المعابد، من قراءة المستقبل»[7] وقد قيل ما يشبه ذلك عن الكاهنة[8]. كثير من نساء الجبل، ومن عجائزه، كنّ يتواصلن مع جنّي أو شيطان. وكان للكثير من نساء نفوسة، صاحب أو هاتف، فأصيل السالفة الذكر، كانت امرأة صالحة تُكلّم، يكلمها صاحبها[9]،

---

(١) سير الوسياني، ج١، ص ٢٧٨-٢٧٩.

(٢) سير الأئمة، ص ١٢٤-١٢٥.

(٣) كتاب السير، ج ٢، ص ٤٤٨.

(٤) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٤٥٨.

(٥) سير الأئمة، ص ١٩٦.

(٦) سيرة أهل نفوسه، ص ١٣٨. أبكار يرفضن حضور العجائز في مجلسهنّ مع زورغ.
- سير الوسياني، ج٢، ص ٥٣٣-٥٣٤. شيخ اباضي كان يقول: «لأن أجد في بيتي سبعين سارقا أحب إلى من (أن) أجد عجوزا واحدة».

(7) Procope de Césarée, La guerre contre les vandales, par Denis Roques, Les Belles Lettres, Paris, 1990, p. 140.

(٨) الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقية والمغرب، تحقيق المنجي الكعبي، الدار العربية للكتاب، تونس، ٢٠٠٥، ص ٨٢-٨٣.

(٩) سير الوسياني، ج ٢، ص ٦٣٩.

وكان لسارّة اللواتيّة منبّه ينبّهها ويأمرها بالخير، وقد يكون يسمّي ميمونا[1]، ثم كان لأمّ خليفة، خادم طوسة امرأة أبي عبد الله محمد بن تامر التناوتي النفزاوي، رفيق ينبّهها ويحفظها[2]. إنّ هذه العلاقة بين المرأة والجنّي في شكل هاتف أو صاحب أو منبّه، قد خوّلت للمرأة القدرة على التّكهّن وعلى الإيذاء، أو على المعجزة والخارقة، كذلك.

فقد اجتمع افلح بن عبد الوهاب وأخته، فقال لها: «هلمّ نحسب ما يذبح في السوق غدا أوّلا إن شاء الله، فحسب، فقال أفلح: إنّ أوّل ما يذبح في السوق بقرة صفراء في بطنها عجل، ذو غرّة في جبهته، فقالت له: صدقت، هي البقرة الصفراء وفي بطنها عجل، غير أنّ الذي رأيته هو طرف ذنبه، ابيض، تعمّمه على جبهته، فخلته أبيض الجبهة ذا غرّة، وإنّما ذلك طرف ذنبه» [3]، لقد كان أفلح قد بلغ في حساب الغبار والنجامة مبلغا عظيما ولكن علمه مهما بلغ من سعة، فإنّه كان قليلا أمام وضوح رؤية أخته للغيب.أمّا المعجزات والخوارق فذلك كثير، وقد ذكر عن سارة اللواتية، التي جعل الله لها منبّها ينبّهها، أنّها أرادت مرّة زيارة المشايخ، من الرّمال إلى سوف، فتحيّرت من الحرّ والبعد، فنبّهها، بأن قال:» إذا استقبلت موضعا وقصدت الله، أعانك ورفعك، كما رفع الله السماء، فارتفعت، فإذا هي في سوف بقدرة الله» [4]. و «روى عن أم زيد أنّها رفعت من بيتها ليلا، وهي على فراش واحد، قالت، فانفرج سقف البيت فرفعت إلى نحو السماء، حتى وصل بها فوق موضع مصلاها المعروف...» [5] أمّا أم جلدين، فقد تزوّجت شيخا من أشياخ العلم له بنات، وبقيت بغير ولد،... فرغبت في الولد وترجّت الله، فأجيب دعاؤها، فسمعت هاتفا يبشّرها...، فولدت أربعة أولاد[6]. لقد بدا التداخل جليا في هذه الحكايات بين الإسلامي والأسطوري القديم، وهو شيء

---

(1) كتاب السير ، ج ٢، ص ٦٣٩-٦٤٠.
المصدر نفسه، ج ٢، ص ٧٣٨.

(2) سير الوسياني، ج ١، ص ٥٧٥.
كتاب السير، ج ٢، ص ٦٧٩.

(3) كتاب سير الأئمة، ص ١٣٦ – ١٣٧.

(4) كتاب السير، ج ٢، ص ٧٣٨.

(5) سير أهل نفوسة، ص ١٨٥.

(6) كتاب السير، ج ٢، ص ٤١١-٤١٢.

ملفت لكل دارس[1].

٥. المرأة المتبتّلة: الصبر على الإيذاء طلبا للرّحمة

«ذكر الشيوخ عن ثلاث نسوة في جبل نفوسة اجتمعن، فقالت إحداهنّ: « (لو) أنّ الله ساقني إلى قوم جهلة، فأعلمهم فيرحمني ربّي بما أعلمهم لفضل العلم والتعليم، وقالت الأخرى: تمنّيت لو وقع عندي ملأ من المسلمين، في ليلة، قد ابتلّ كل شيء فيها بالمطر، فأعالج لهم العيش فيرحمني ربّي بهم، لفضل الصدقة وخدمة المسلمين. وقالت الأخرى: تمنّيت على الله لو يزوّجني رجلا فاجرا داعرا فيظلمني...(!)، فأصبر له وأطيعه، فأصيب من ذلك رحمة الله تعالي، لفضل حسن التبعّل والصبر على الأذى، فقضى الله أمنيّتهن وأجاب دعاءهنّ.» [2]

كان هناك، سعي لدى هؤلاء النّسوة إلى تمثّل «الضحيّة»، بطلب خدمة الآخر والصبر على الأذى، طلبا لرحمة الله، دون مقابل مادّي، وهو ليس شيئا مألوفا في الثقافة الإسلاميّة، عامّة.

كانت المرأة الثالثة، أكثر هؤلاء النساء إثارة للانتباه، فهي قد تمنّت على الله الزواج من رجل فاجر، كانت هذه المرأة هي منزو بنت أبي عثمان المزاتي[3]، فقد أخذها زوجها حيث كانت مع نسوة على الماء، فكان يركب جملا، وكانت تمشي خلفه حافية حتّى أُدميت قدماها، فلما نزلا في موضع، وسّدته طرف ردائها[4]، فكان يسيء إليها وتحسن إليه، ثمّ تزوّج عليها، وقد كان بنى لها خيمة منفصلة، وكان أن جاءها والدها، فقال:» خير عندي لو (وجدت) جنازتك من أن أجدك»، ثم استتابها فتابت، وبقيت على حالها، حتى مات زوجها. قتله حنش في بئر، فقيل: « سمعنا قضقضة عظامه» [5]، وكان ذلك زمن الشيخ أبي زكريا يحيى بن يونس السدراتي.

لقد امتزج في هذه الرّواية، حبّ التضحية والصبر على القسوة، وإن كان في ما قامت به منزو بعض الخطيئة، فقد طلب منها أبوها التوبة. إنّ الصبر على الأذى، وتحمّل الألم، ليس أمرا مألوفا في الثقافة الإسلاميّة عامّة، بناء على القاعدة الشرعيّة: «لا تلقوا بأنفسكم إلى التّهلكة»، ولكن

(١) حسن (محمد)، كتاب السير، ج ١، ص ٧٩-٨١.

(٢) سير الوسياني، ج ٢، ص ٥٣١.

(٣) كتاب السير، ج ٢، ص ٣٤٣.

(٤) سير الوسياني، ج ٢، ص ٥٣١.

(٥) المصدر نفسه، ص ٥٣٣.

نساء نفوسة كنّ يرتجين الإساءة طلبا للرّحمة. فأمّ جلدين، كانت تصبر على إساءة بنات زوجها، ولم تكن تخبر زوجها، حتى توفّاهن الله» [1]، وكان الصبر على إساءة الزوج بالنسبة إلى الزوجة، أو العكس، من علامات الصلاح، فقد اجتمع أهل طرابلس في ثورة أبي حاتم يعقوب حول امرأة، كان زوجها رجل سوء، ساءت سيرته[2]. وكان الصبر على مصائب القدر من علامات الإيمان، فقد مات ابن للغاية زوجة أبي القاسم يزيد بن مخلد، في غانة، فلما بلغها الخبر، اغتسلت وصلّت ركعتين، ثمّ قالت للنسوة :» انظرن إلى وجهي، هل امتقع من صدمة الرّزيّة...» [3]

وقد تضطرّ المرأة إلى التّوحش في الغاب والعزلة، فقد خرجت امرأة صالحة إلى الغابة، «متوحّشة عند زهو الثمار»[4]، طلبا للمغفرة عن ذنب مقترف، إنّ هذا السعي إلى الزّهد وطلب الأذى في شكل رهبنة، قد يكون ناتجا عن تأثر بالمسيحيّة، التي لم تكن غريبة في جبل نفوسة، فقد ظلّت أم الخطاب مسيحيّة، إلى زواجها من أبي يحيى الإزدالي[5]، وكان الشيخ أبو يحيى تكسنيت، من أمّ نصرانيّة[6]، وقد أحصى الشماخي سبع كنائس، بقيت كمزارات ومشاهد في الجبل. [7]

ويبدو أنّ بعض الرّوايات، يتداخل فيها الإسلامي بالمسيحي، مثل تلك المرأة من أهل تدينيت، كانت صالحة في أيام النصرانيّة، قبل الإسلام حملت قفّة من تين، فنزل إليها حارس التين، واسمه بيزرزر، فراودها عن نفسها، فأبت عليه وامتنعت منه، فعجن لها تينها، ومضى وتركها، وطلع إلى مظلته... فدعت عليه... فنزلت عليه نار من السماء، بل من الهواء فأحرقته، وبنى في موضع مظلته مصلّى، وهو معروف إلى يومنا هذا... [8] ثمّ أنّ بعض النساء قد تزهّدن بعد توبة، مثل أم

---

(1) كتاب السير، ج ٢، ص ٤١١.

(2) كتاب سير الأئمة، ص ٧٣.

(3) سير الوسياني، ج ١، ص ٣٤١ .

(4) المصدر نفسه، ج ١، ص ٤٧٨.

(5) كتاب السير، ج ٢، ص ٤٠٧-٤٠٨.

(6) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣٩٣

(7) الشماخي، السير، طبعة حجرية، ص ٤٩٨-٦٠٠.

(8) كتاب السير، ج ٢، ص ٤١٠.
- سيرة أهل نفوسة، ص ١٨٦-١٨٧.

جلدين التي كان يستهويها ضرب الدّف، وأمّ يحيى التي كانت تحضر الولائم والأعراس*[1]

٦-المرأة في المجتمع:

١) المرأة والثورة

لم يكن وجود المرأة غائبا في التاريخ البربري القديم، فالكاهنة قد تزعّمت أكبر ثورة ضدّ العرب المسلمين، أمّا في التاريخ ‹الخارجي› فالمرأة كانت حاضرة في تحرّكات الخوارج في المشرق الإسلامي. وقد شهدت تحرّكات الاباضيّة، في المواقع المشهورة، مثل موقعة مانو (٢٨٣هـ/٨٩٦م) حضور المرأة، التي وإن لم تكن لها مساهمة فعلية في الحرب، فإنّها كانت تدعم الرّجال، وقد وقعت بعض نساء نفوسة في الأسر، بعد أن خرجن مع الرّجال[2]. ولكن قبل ذلك في (١٥٤هـ/٧٧١م)، اجتمع البعض ممّن يريد الخروج على العباسين، «على امرأة مسلمة فاضطرّوا الاجتماع لشأنها، وهم يريدون الخروج على جند طرابلس وعامل أبي جعفر»[3]. كانت هذه المرأة صالحة وكان زوجها رجل سوء، فهي أولى نساء الاباضية ذوات البركة، وكان الاجتماع في بيتها لتظليل عيون العباسين، أمّا التأكيد على أنّها مسلمة، فذلك لتمييزها عن النساء المسيحيّات، وأن الثورة قد انطلقت من بيت مسلم. لم يكن ممكنا للمرأة أن تقود ثورة في حركة متمسّكة بأصول الإسلام، فكانت الحضن الذي نشأت فيه ثورة أبي حاتم الملزوزي. وقد تكون زورغ الأرجانيّة قامت بنفس الدور في مواجهة جيش الزيريين في القرن ٤هـ، فقد أقدم الزيريون على قطع شجرتها، وهذا ما يؤكّد على أنها كانت حاضنة للمقاومة، كما كانت الكاهنة من قبلُ، حاضنة للمقاومة ضدّ المسلمين[4]، وقد ظلّت وظيفة المرأة الحاضنة للثورة في المجتمعات المغربية إلى العصور

---

(١) المصدر نفسه، ص ٢٢ و ص ١٨٨.

(٢)كتاب سير الأئمة، ص ١٥٧.
- كتاب السير، ج ٢، ص ٣٧١.

(٣)كتاب سير الأئمة، ص ٧٣-٧٤.
- كتاب السير، ج ٢، ص ٢٥٩.

(٤)المالكي، رياض النفوس، تحقيق بشير البكوش، دار الغرب الإسلامي،بيروت، ١٩٩٤، ج ١، ص ٥٠، «فإن قتلتها يئس الروم والبربر أن يكون لهم ملجأ.»

الحديثة[1].

وبعدُ، كان البعض ممّن يثور على الظّلم، يضطرّ إلى إتمام نصاب الخروج وهو أربعين رجلا بإمرأة، كما كان يقع في المشرق ولم ينكر ذلك علماء الاباضية[2].

٢) المرأة والزواج

كان الزواج، يتمّ عبر الخاطب الذي يتصل بولي البنت[3]، الذي يطلب رأيها في الأمر، فكان التّواصل المباشر مفقودا بين الرجل والمرأة إلاّ في حالات نادرة كزواج أبي ذرّ أبان بن وسيم الويغوي من امرأة صالحة فقيهة، كان له مجلس في بيتها، وهي بهلولة[4].

وقد تختار المرأة في حالات خاطبهاعلى خطيبها وهو ما وقع لأبي مسور سيجا بن يوجين اليهراسني[5]، ويمكن لامرأة أن تكون راضية بقلبها ناكرة بلسانها، فيبطل الزواج، ولكنّها تتدارك أمرها في الزواج الثاني، حيث تعلم زوجها ليلة الزفاف بكونها كانت راضية بزوجها الأوّل[6]، وهو ما يشير ضمنيّا إلى وجود علاقات خفيّة[7].

كان الزواج التعدّدي معمولا به، ولكن لم يكن مرغوبا فيه، فالقاعدة هي الزواج الأحادي، فقد قال أبو زكريا يحيى بن أبي بكر الورجلاني: «عليك بقرينتك لا تشرأبّ بعنقك إلى ما فوقك، ولا تطأطئ برأسك إلى ما دونك.» [8]

قد يُفضي وجود الضّرة، إلى موت الزوجة الأولى كمدا، كما حدث لزوجة حمو بن لؤلؤ

---

(1)Rinn (Lieutenant Colonel), « La femme berbère dans l'ethnologie et l'histoire de l'Algérie », in société de géographie d'Alger et de l'Afrique du Nord, 1905, p. 461-500.

(٢)كتاب السير، ج ٢، ص ٤٧٨. ترجمة أبي القاسم الفرسطائي،.

(٣) بن رستم، (عبد الوهاب بن عبد الرحمان)، كتاب مسائل نفوسة، تحقيق إبراهيم محمّد طلاي، غرداية، ١٩٩١، ص ١٠٤.

(٤)كتاب السير، ج ٢، ص ٣٥٥.

(٥)كتاب سير الأئمّة، ص ٢٥٢.

(٦)سير الوسياني، ج ١، ص ٢٧١-٢٧٢ .

(٧) المصدر نفسه، ص ٢٧١-٢٧٢.

(٨)كتاب السير، ج ٢، ص ٦٢٢. القرينة هي المرأة المكافئة للرجل سواء في العلم أو في الغنى أو المنزلة الاجتماعية.

من ورجلان، بعد زواجه من ابنة يعقوب بن أفلح بن عبد الوهاب[1]، وقد عرف بعض الشيوخ بزواجهم الأحادي من قرينات لهم، مثلما تزوّج أبّان يالوت وأبو مرّ تزوّج زرزورت، وأبو مهاصر، تلّولي، وأبو ميمون أمّ يحيى...[2]. وكان الزوج يجبر على الإنفاق على زوجته، فيُضرب، وإن عجز يطلّق[3]، ولم تكن المرأة عامة، على مذهب زوجها، فقد تكون نكارية والزوج وهبي، فكان الشيخ يخلفتن بن أيوب النفوسي من أب نفاتي وأمّ وهبية، فإذا جاءت عزابة نفاثية أضافهم الأب، وإذا جاءت عزابة وهبية أضافتهم الأم[4].

ولم يكن للرجل أن يطلّق زوجته إن رفضت أوامره لها بخدمته، فقد طلب زوج وهبي من زوجته النكارية، أن تُهيّأ غذاء العزابة الذين حلّوا بمنزله، فأبت، فطلّقها ثلاثا، إلاّ أنّ المشايخ تدخّلوا وردّوا الزوجة إلى الزوج فـ: «هي لم تعمل شيئا، لأنّه ليس له عليها الخدمة، المرأة ريحانة وليست بقهرمانة، والناس في حجور علمائهم، كالصبيان في حجور آبائهم»[5]، إنّ هذا الموقف الاباضي، قد لا نجد له شبيها، في المذاهب السنية.

كانت المرأة الاباضية تعنّف زوجها أحيانا، ولم يكن ذلك يثير سخط الشيوخ، فقد اشتكى رجل إلى الشيخ أبو يوسف يعقوب الطرفي، قائلا عن زوجته: «ضربتني البارحة بمقلى، فصيرته طوقا في عنقي»، فأشار إليه الشيخ بضرورة الصبر[6]. وهذا يعود، كما قلنا، إلى أنّ الصبر على إساءة الزوج، بالنسبة إلى المرأة والرجل، هو آية من آيات الإيمان، فقد كان الشيخ أبو إسحاق الأشارني، ممّن ابتلي بزوجة سوء، وكانت تضربه، ويحتمل ذلك لله.» [7]

كانت المرأة الاباضية، كالمرأة المسلمة، حرّة في مالها، وكان بإمكانها أن تثبت حقّها أمام

---

(١)كتاب سير الأئمة، ص ١٨٩-١٩٠.

(٢)سير الوسياني، ج ١، ص ٥٤٧.

(٣)المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٨٧ وص ٣٢٩.

(٤)المصدر نفسه، ج ١، ص ٣٤٨ وص ٧٠٣ .

(٥)المصدر نفسه، ص ٣٤٨-٣٤٩.

(٦)طبقات المشايخ بالمغرب، ج ٢، ص ٣٤٥.
- سير الوسياني، ج ١، ص ٣٩٨.

(٧)كتاب السير، ج ٢، ص ٣٩٨.

علماء الاباضية الذين لم يكونوا ضدّ النساء عامة، فقد ترافع إلى الشيخ إسحاق بن رجا (من علماء ورجلان في القرن٧هـ)، وكان الزوج قد أكره زوجته على أن تتخلّى له على دين عليه، «فجعلت ثوبها بينها وبين زوجها، فأشارت للشيخ إلى مذبحها تعرّفه بأنها مكرهة والزوج لم يعلم بذلك...» [١]. وإن سمح للرجل الفقير أن يأخذ زكاة مال زوجته الثريّة، فإنّه ليس يحقّ للمرأة أن تأخذ زكاة بعلها[٢]، يعود ذلك، إلى قاعدة النّفقة.

٧- المرأة وجسدها:

أ. جسد مستور

لم يكن جسد المرأة البكر مكشوفا، فقد رأينا أنّ أم ماطوس كانت تذهب إلى مجالس العلم متنكّرة في هيئة الرجل[٣]، أمّا عائشة بنت معاذ، فكانت تلفّ جسدها بحصير بحضور الرجال. أما العجوز، فهي جسد ميّت، فاقد للإثارة فلا يهمّ رؤية شعرها، بل أنّ أحد الشيوخ قد طلب من ابنه، حلق رأس أمّه الأشعث[٤]، فذلك الشعر «الواقف»، قد يكون على علاقة بالتكهّن... [٥]، في المقابل، يُعجب الشيخ أبو يحيى الأندالي بشابة مسيحية، فيطلب يدها من أبيها، لجمالها، ولكن، يأمرها باعتناق الإسلام[٦].

لم تكن نظرة المشايخ إلى المرأة إيجابيّة عامّة، فهناك استثناءات، لابدّ من التوقّف عندها، فأبو عبد الله محمد بن سليمان النفوسي كان يقول:» لا أريد أن أرى الفرس والكلب والمرأة، إلاّ في بيت العدوّ: الفرس في رأسه مطحنة وتحته مزبلة، والكلب يروّع والمرأة تفشي السّر،» فلم يتزوّج إلاّ عندما أشرف على الموت، حتى يجد من يرعاه.[٧] وكان ميمون بن تجار، يُفتي: «من جاز على

(١)سير الوسياني، ج ١، ص ٤٥٠.

(٢)طبقات المشايخ بالمغرب، ج ٢، ص ٣٤٤.

(٣)سيرة أهل نفوسة، ص ٥٧.

(٤)سير الوسياني، ج ١، ص ٣٢٠-٣٢١.

(٥)رياض النفوس، ج ١، ص ٥٣: خرجت الكاهنة ناشرة شعرها ... وكانت من أعلم أهل زمانها بالكاهنة.

(٦)كتاب السير، ج ٢، ص ٤٠٧.

(٧)كتاب السير، ج ٢، ص ٥٩٧.

الموضع الذي يغتسل فيه النساء أعاد الوضوء» [1].

كان المبدأ في المجتمع الاباضي أن تستر المرأة جسمها، وأن لا يظهر منه، ما يعتبر تبرّج، فقد رأي الشيخ أبو مرداس مهاصر السدراتي عن غير قصد، امرأة مكشوفة الرأس، فصام سنة كفارة لرؤيته.»[2] أمّا الشيخ أبو الربيع سليمان بن زرقون النفوسي، فإنّه كان ذهب مرّة إلى قسطالية، فرأى نساءها متبرّجات مكشوفات، فقال: «ما أكثر خدم هذا البلد، حملهنّ على أنّهن لسن حرائر»[3]، وذلك أنّ الأمة لم تكن ملزمة بالستر كالحرّة. الواقع، أنّ نساء قسطيلية لسن كمثل نساء نفوسة، ولا نساء ورجلان. فقد سألت الغاية زوجة أبي القاسم يزيد بن مخلد بن كيداد، الشيخ أبا عمران المزاتي عن: « امرأة صحبت النساء إلى الوادي، فنزلت في الماء في ثيابها وجعلت على رأسها سترة، فقال لها: أيّما امرأة نزلت في الوادي مكشوفة، فإنّها ستقوم في سبعة أودية من نار جهنّم.»[4] في المقابل، كان التعرّي مألوفا لدى البربر، في علاقة باعتقاداتهم القديمة، فقد رُوي عن ميمون بن تجار، أنّه قال:» من تعرّى لنار موقودة هلك، وإن كان تعرّى لجمر عصى، ومن تعرّى للمسجد عصى، ومن تعرّى للكعبة عصى...» [5].

وقد سعى بعض الشيوخ المحبين للمرأة، إلى الترخيص للنساء، بغاية التوفيق بين تديّنهن المفرط وشؤونهن الأنثوية، فقد أباح الشيخ أبّان بن وسيم النفوسي، حاكم الجبل للمرأة التي تكون في أواخر الدورة الشهرية، أن تجعل علما تتفقده عند الصبح، بدل أن تسهر الليل كلّه، منتظرة الحيض. كما سمح للمرأة المرضع، التي يمكن لها أن تحفظ فم ولدها وتمسحه في كلّ مرّة، بدل أن تتوضّأ إثر كل رضعة، ثمّ أنّه بالنسبة إلى المرأة التي تعمل الغزل، فليس عليها إعادة الوضوء في كلّ مرّة تمسّ صباغ اليهود، فتكتفي بغسل يديها وكفّيها.[6]

(١) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٧٠٥.

(٢)سير الوسياني، ج ١، ص ٣٠٧.
- طبقات المشايخ بالمغرب، ج ٢، ص ٢٩٢

(٣)كتاب سير الأئمة، ص ١٩٦.

(٤)كتاب السير، ج ٢، ص ٥٩٠.
- طبقات المشايخ بالمغرب، ج ٢، ص ٤١٠

(٥)كتاب السير، ج ٢، ص ٧٠٥.

(٦)نفس السابق، ص ٢٤٨.

أمّـا الغنـاء فقد كان منكـرا حسـب شـيوخ الاباضيـة فـي الأعـراس والولائم، ولكـن حتـى عنـد غزل الصـوف، فزيديـة بنـت عبـد الله الملوشـائية، منعـت نسـاء مـن الغنـاء، عنـد غـزل الصـوف، أمّـا أصيـل فقد أمرهـا هاتفهـا بالرّجـوع إلـى بيتهـا علـى أن تشـارك النسـوة عمـل الصـوف[1]. وكانـت النسـاء يأتيـن إلـى مجالـس العلـم دون التخلّـي عـن غـزل الصـوف، فـكان الشـيخ أبـو حسـان الفرسـطائي يتشـدّد فـي إلزامهـنّ بالوقايـة فـي لباسـهنّ، ولكنّهـن لـم يمتثلـن لذلـك[2]. كان يعـد الحضـور فـي الأعـراس، عنـد بعـض الشـيوخ، منقضـا للوضـوء[3].

وإن كان يمكـن للبنـت أن تسـأل أباهـا فـي الحيـض[4]، فـإنّ رؤيـة الأب لفـرج ابنتـه عـن غيـر قصـد، أدّى إلـى طلاقـه مـن أمّهـا[5]، وذلـك أنّ الأب لا يحـقّ لـه النظـر إلـى جسـد ابنتـه بعـد السـنتين، ذلـك مـا يمكـن فهمـه مـن حكـم غسـل الطفـل عنـد الوفـاة، حيـث ليـس للرجـل، أن يغسـل جثّـة البنـت، بعـد السـنتين مـن العمـر[6].

ب. جسد مغصوب

كان الانغـلاق يشـتدّ فـي ورجـلان ويضعـف فـي نفوسـة ويقـلّ فـي قسـطيلية، وإنّ هنـاك رأي للشـيخ أبـي نـوح سـعيد بـن زنغيـل المزاتـي الإفريقـي (٤هـ/١٠م)، فـي أهـل ورجـلان، يسـتحقّ النّظـر، فـي شـأن نـكاح السـرّ: «فـإذا مـرّ أحـد برجـل وامـرأة مجتمعيـن فـي موضـع التّهمـة، زجرهمـا ونهاهمـا عـن الاجتمـاع فـي موضـع التهمـة، قـالا لـه: إنّـا قـد تناكحنـا، فـكاد يظهـر فيكـم الفحشـاء، كمـا يقـول.» [7]، ذلـك يعنـي أنّ التشـدّد علـى المـرأة، لا يمنـع مـن الخطيئـة. فكانـت ظاهـرة الاغتصـاب والإنجـاب الغيـر شـرعي، ملاحظـة فـي سـير الاباضيـة، وقـد أشـرنا إلـى بعضهـا، فقـد ذكـر عـن الشـيخ أبـي المهاصـر الأفطمانـي: «أنّـه فطـن بامـرأة حاملـة لا زوج لهـا، فرآهـا يومـا أوت إلـى خربـة، فتتبعهـا، فقـال: «تكـون

(١) كتاب السير، ج ٢، ص ٤٨٤-٤٨٥.

(٢) المصدر نفسه، ص٤٧٤.

(٣) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٧٠٥.

(٤) كتاب السير، ج ٢، ص ٣٧٣.

(٥) طبقات المشايخ بالمغرب، ج ٢، ص ٤٤٠. هو الشيخ أبو الربيع سليمان الزلفيني.

(٦) سير الوسياني، ج ١، ص ٣٩٩.

(٧) كتاب سير الأئمة، ص ٢٤٦.
- كتاب السير، ج ٢، ص ٥٤١.

الغلبة ويكون الرّقاد فوضعت حملها، وهيّأ لها، ما يُحتاج إليها مثلها...» [1]، وقد دخلت على الشيخ عبد الله بن توتسيت، إمرأة حامل من الزنى، «مشهورة في الزنى»، مومسة، تطلب دراهم لشراء لحم اشتهته[2]. وقد تجبر المرأة على الفاحشة، ومتى فطن بها أهلها قتلوها، ذلك ما حدث للبنت البصيرة التي التجأت إلى تبركانت جدّة الشيوخ، لتلد غلاما، ولكن أخاها، يتمكّن من قتلها ذبحا، في غفلة من العجوز[3]، أمّا الشيخ أبو مسور، فقد وجد منبوذا في مسجده، فقام بتربيته[4]، وقطع قاطع على امرأة عفيفة من أرجان، فحملت منه[5]. كان المجتمع الاباضي معترفا بهذه الظاهرة، فكان يعمل بطرق مختلفة على حماية هذا النّوع من الإنجاب.

يقول مثل أمازيغي قديم: «المرأة متى لم يزرها بعلها، ابتغت السّفاح»[6].

إنّ أكثر ما يميّز الفقه الاباضي، هو الإقرار بنسبة المولود إلى أبيه يولد بعد مضي مدّة الحمل الطبيعية. فقد: «ذُكر عن امرأة في تين يسلي توفي عنها زوجها، فمكثت بعد ذلك زمانا، وليس لها زوج، فأتت بولد، فاتّفقوا على أن يضربوها، فبلغ ذلك الشيخ ماكسن، فتوجّه إليهم، وقال لهم: لم يجز لكم ضربها، لأنّها قد كان لها زوج قبل ذلك، والولد لذلك الزوج، والحدود تدرأ بالشبهات...»، وقد نسب الشيخ ماكسن بن الخير الوسياني، مولودا لزوجة ابن ابنه، بعد أن تُوفي بسنتين»[7]. وإن اختلف علماء الاباضية في الأمر، فإنّ الاتجاه كان في هذا النحو، فكان هناك، من يقول، إنّ المرأة تلد بعد طلاقها، أو وفاة زوجها حتى بعد أربع سنين، ومنهم من يقول: «يلزمه

---

(1) المصدر السابق، ج ٢، ص ٣٣٦. أمران يفسران حسب الشيخ هذا النوع من الولادات، هما: الغلبة أي الإكراه والرقاد وهو أن يمكث الجنين في بطن أمّه أكثر من المدة الطبيعية.

(2) سير الوسياني، ج ١، ص ٣٢٠-٣٢١.
- كتاب السير، ج ٢، ص ٧٣٢.

(3) سيرة نفوسة، ص ١٥.
- كتاب السير، ج ٢، ص ٤٥٨.

(4) سيرة نفوسة، ص ١٣٩.

(5) كتاب السير، ج ٢، ص ٤٤٨.

(6) طبقات المشايخ بالمغرب، ج ٢، ص ٣٥٧.

(7) سير الوسياني، ج ١، ص ٣٩٠.

مـا أتـت بـه مـا لـم ينقطـع فراشـه بـزوج.» [1]وقـد جـاء فـي روايـة عـن الشـيخ ماطـوس بـن ماطـوس، أنّ امـرأة أحضرتـه ليـلا لتثبـت بوجـوده، أنّ زوجهـا يأتيهـا ليـلا، فيطؤهـا، وقـد أمرتـه بإعـلام النـاس بذلـك...، وقـد عـرف الشـيخ ماطـوس، بمخالطتـه نسـاء السـوء[2]، وقـد تضمّـن كتـاب مسـائل نفوسـة، نبـذة عـن حـالات الاغتصـاب والزنـى، والحمـل المجهـول الفاعـل، فأُفتِـي: إن اعتلّـت المـرأة بأنّهـا أوتيـت فـي _ المنـام مـن حيث لا تـدري، فيُقبـل منهـا، فقـد قيـل :» إدرؤوا الحـدود بالشـبهات.» [3]

ج. جسد مسكون

قـد رأينـا أنّ بعـض نسـوة نفوسـة، كـنّ يتواصلـن مـع صـوت يُجهـل مصـدره، ووُصـف أحيانـا، بالرّفيـق والصاحـب، هـو جنّـي بالتأكيـد، لا يسـكن المـرأة، ولكـن جسـدها، يسـتجيب لـه، فجسـد المـرأة بهـذه الصـورة، ملتقـط فائـق لأصـوات الـروح، رادّ للصّـدى، كآلـة جوفـاء، إنّ علاقـة المـرأة بـالأرواح والجـنّ أمـر مثيـر فـي سـير الاباضيّـة، فقـد رأينـا سـابقا، أنّ أحـد الشـيوخ قـارن المـرأة بالفـرس، والكلـب، ورأى أنّهـا، فاشـية للسـرّ. وقـد رُوي عـن أم داود: « أنّهـا كانـت مـرّة تصلّـي، فدخـل حنـش، وخـرج مـن الكـمّ الآخـر، ولـم تكسـر الصـلاة.» [4] إنّ الحنـش والقـطّ مـن صـور الجـنّ، فقـد أخـذ أبـو عامـر التصـراري، بكـمّ أمـة الواحـد زوجتـه وقـال:» أخـرج يـا ملعـون مـن حبـس طاهـر، فخـرج مـن كمّهـا مثـل القـطّ، وهـو يصيـح حتـى خـرج مـن بـاب البيـت»[5]، وقـد رأت أمـة الواحـد هـذه، فـي يـوم واحـد، الشـيطان مرّتيـن[6]. كان أبـو مـرداس مهاصـر السـدراتي رجـلا فقيـرا، «فأرسـل ذات مـرّة رجـلا يخطـب عليـه إمـرأة، فطـاف الرّجـل بالجبـل يطلـب لـه، ولـم يجـد إلاّ واحـدة مجنونـة ، فأجابتـه فتزوّجهـا، فمكـث معهـا أبـو مـرداس دهـرا، فكانـت بعـد ذلـك مـن أفضـل نسـاء نفوسـة وأحسـنهنّ وأرفعهـنّ ذكـرا.» [7] «وقـد ذكـر غيـر واحـد مـن الحفّـاظ: أنّ صبيـة صغيـرة مـن بنـي ينجاسـن، أخذهـا الجنـون، فقالـوا، اتـرك

(١)المصدر نفسه، ج ١، ص ٤٧٣-٤٧٨.

(٢)كتاب السير، ج ٢، ص ٤٤٨.

(٣)كتاب مسائل نفوسة، ص ١١٠-١١١.

(٤)سيرة أهل نفوسة، ص ٢١.

(٥)المصدر نفسه، ص ٨٤.

(٦)كتاب السير، ج ٢، ص٣٤٧.

(٧)كتاب سير الأئمة، ص ١٢٦. (الغريب أنّ جنون المرأة مانع للنكاح: انظر: مسائل نفوسة، ص ١٠٧.)

هـذه المسكينة الضعيفـة، قـال: لا تقولـون مسـكينة ضعيفـة، فإنّهـا زوجـة ملكـة جغـراف[1]* ؛ فتزوّجهـا أبـو عبـد الله محمـد بـن بكـر (أحـد كبـار علمـاء القرن ٥هـ/٩م)، فـي أجلـو.» [2]

هنـاك فـرق بيـن جسـدي الرّجـل والمـرأة، فجسـد الأنثـى، كان آلـة جوفـاء، كمـا قلنـا، مرجعـا للصـوت، فـكان كهفـا يـأوي إليـه الجنـيّ، سيما إذا لـم يعمّـر بالإيمـان، وهـو غيـر كتـوم فـاش للأسـرار، أمّـا جسـد الرجـل فهـو عكـس ذلـك فـإن كان للمـرأة هاتـف أو منبّـه صاحـب أو رفيـق فـإنّ للرجـل تابـع يتبعـه دون أن يلـج جسـده، فقـد كان لماطـوس بـن ماطـوس عمـود مـن الضـوء يمشـي أمامـه ليـلا، هـو يقـوده إلـى المهالـك وكانـت امرأتـه زوجـة سـوء، فكانـت تقـول: «جنّيـك يـا ابـن ماطـوس !»، فـكان الشـيخ معروفـا بمخالطـة النسـاء وكانـت زوجتـه تصـبّ علـى رأسـه الرّمـاد إبعـادا للجنـيّ إذا وجدتـه صحبـة امـرأة[3].

إنّ علاقـة جسـد المـرأة بالجنـيّ، اعتقـاد راسـخ لـدى «الأمازيـغ»، وإنّ هـذه العلاقـة علـى صلـة بكـون جسـد الأنثـى، هـو منبـع الخلـق والحيـاة، فهـو جسـد حامـل لحيـاة ونفـس وجنيـن، ثـمّ إنّ علاقـة المـرأة بالشـيطان، تسـتمدّ أصلهـا كذلـك مـن الأسـاطير التوراتيّـة عـن خطيئـة حـواء والهبـوط إلـى الدنيـا. إنّ الـدّم، ومنـه دم الحيـض، حامـل لثنائيّـة المدنـس والمقـدّس، فـإنّ كان نجاسـة[4]، فهـو مصـدر الحيـاة والخلـق، وهـو نفـس كلّ جسـد[5]، فـكان الاغتسـال إجباريـا لمـن تلطّـخ بالـدم[6]، «ومـن أعطـى ثيابـه لامـرأة، فـلا يصلّـي بهـا حتـى تغسـل.»[7] ولكـن دم الشـهداء، الـذي يبقـى مئـات السـنين علـى الرّمـل، هـو مقـدّس[8] لقـد كان الـدم مسـكنا للجنـي.

كان تقديـس الأسـلاف، وعبـادة الإنسـان L'anthropôlatrie اعتقـادا «بربريـا» قديمـا، كمـا

---

(١)* جغراف: هي أجلو من مدن ورجلان، انظر: الشماخي، ج ٢، ص ٦٧٩.

(٢) كتاب السير، ج ٢، ص ٦٧٢.

(٣)سيرة نفوسة، ص ٧٣.

(٤)كتاب السير، ج ٢، ص ٧٧٠.

(٥)فريشاور (بول)، الجنس في العالم القديم، ترجمة فائق دحدوح، دار الكندي، دمشق، ١٩٨٨، ص ٢٣-٢٤.

(٦)بن رستم، كتاب مسائل نفوسة، ص ٥١.

(٧)كتاب السير، ج ٢، ص ٧٠٥.

(٨)المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٦٣ و٧٧٠.

أشـار إلـى ذلـك هيـرودوت فـي شـأن بعـض قبائـل ليبيـا القديمـة قائـلا مـا معنـاه:» فـي حـال أيمانهـم، هـم يقسـمون برجـال منهـم يعتقـدون أنّهـم كانـوا الأكثـر اسـتقامة وصلاحـا، وذلـك بوضـع أيديهـم علـى قبورهـم»[1]، وكان هـذا الاعتقـاد علـى علاقـة بظاهـرة الإيمـان بـ»الجنـون» والأرواح[2]، فـروح الجـدّ حاميـة للجماعـة المنتسـبة إليـه(un génie protecteur) يحضـر عنـد المخاطـر كمـا يحتمـي بـه الغريـب والضعيـف، مثلمـا هـو الشـأن لـدى بعض قبائـل إفريقيـا جنـوب الصحـراء، فكان يطلـب رضـاه بإراقـة الـدّم ويُقسـم بـه بوضـع اليـد[3]* الملطّخـة بالـدم علـى قبـره... لكـن مـا مكانـة المـرأة فـي هـذا الاعتقاد؟

إنّ مـا يوحـي بتقديـس الجـدود والآبـاء*[4]* فـي سـير الاباضيـة، بشـكل ملمـوس، هـو قدسـية آثـار الأقـدام علـى الصخـر، فقـد كان يُحتفـظ أحيانـا بأثـر قـدم الشـيخ علـى الصخـر أو علـى الرمـل[5]، حتـى يظـلّ حاضـرا علـى الـدوام. لقـد أكّـد الشـمّاخي علـى سـمعة جبـل نفوسـة، بالإشـارة إلـى وفـرة الآثـار علـى الصخـور، فهـذه آثـار غنـم الشـيوخ علـى الصخـر، كأنّهـا ماشـية علـى الطّيـن، وبقاؤهـا بقـاء الدهـر، وأقـدام أبـي عثمـان المزاتـي، بدجّـي علـى صفـا فـي مصـلاّه، ثـمّ مـا بقـي مـن آثـار ناقـة عمّـي طاهـر (بـن يوسـف) وكلبـه ودابتـه علـى صخـرة تحـت جـادو... وتلـك الدمـاء التـي فـي الرمـل فـي ككلـه[6]، تخليـدا لشـيوخ استشـهدوا. ولكـن، لا وجـود لأثـر المـرأة علـى الصخـور !!إنّ المـرأة، هـي الجـدّة، وهـي الأصـل الـذي تكـون منـه الفـروع، مثـل شـجرة زورغ، فمنهـا يكـون الآبـاء والشـيوخ.

وإن حـاول الزيريـون قطـع شـجرة زورغ، فإنهـم لـم يفلحـوا، بـل لاحقتهـم اللّعنـة[7]، أمّـا ذلـك اللبـن الـذي سـال مـن الشـجرة، فهـو إيحـاء لعلاقـة الأمومـة بيـن العجـوز (الجـدة) وأبنائهـا، فالحليـب

(1) Hérodote, Histoires, par Eugène Talbot, Paris, 1864, p 348.

(2) Froelich (J.C.), Animisme, éditions de l'Orante, Paris, 1964, p 179.

(٣) * لقد تحوّلت اليدّ أداة القسم إلى شيء مقدّس (قدسيّة العدد خمسة لدى بعض القبائل الليبيّة، والخمسة التونسية المعروفة)، وأصبح كذلك القسم باليد عهدا يُقسم به، فيقال في تونس مثلا «وعهد سيدي فلان...»

(٤) ** سيرة نفوسة، ص ١١٧. قال الشيخ: «... والناس في حجور علمائهم، كالصبيان في حجور آبائهم.»: لا علاقة لعبارات «جدي» و»بابا» بالانتماء النسبي، وإنّما كما، قال هيرودوت هي على علاقة بتقديس السلف الصالح، فيكون الانتساب عندئذ روحيا وليس بيولوجيا.

(٥)سير الوسياني، ج ١، ص ٥٣٢.

(٦)كتاب السير، ج ٢، ص ٤٠٦ و ص ٧٧١.

(٧)سير الوسياني، ج ١، ص ٥٧٢-٥٧٣.

يحمل رمزية البنوّة، والانتساب، والحياة كذلك.

إنّ تناول موضوع المرأة في سير الاباضية إشكالي، إذ هناك تداخل بين ثلاثة أبعاد: دنيوي، وديني، وأسطوري-ميثولوجي، فبعض الرّوايات التي تبدو واقعيّة، هي في الأصل على علاقة باعتقادات قديمة، وكثيرا ما يتدخّل الديني، لتلطيف ممارسة إعتقاديّة قديمة، فكان يستحيل فكّ خيوط تلك الرّوايات، عن نساء يأتين بأفعال عجيبة، فكيف تخرج مثلا، امرأة لم تف بدينها إلى الغابة متوحشة، في زهو الثمار؟ وكيف تشتهر امرأة بالزنا وتأتي شيخا تطلب دراهم؟ وهل مصادفة، أن تكشف امرأة عن جسدها في احتفال الربيع، فيضطرّ الشيخ لصوم سنة كاملة؟

وأن يصرع رجل غريب دخل إلى دار تسمّى دار الإباحة يلجها الرّجال، فلم يسلم على «أنثى» كانت بعضادة الباب[١]، في حضنها صبيّ؟ وأن تجلس امرأة من « أهل تمنكرت تغربل الدقيق ذات ليلة في ضوء القمر فأتاها سائل فجعلت الماء في الدقيق فأخلطته فأعطته، فمدّ يده فرأت خلقا عظيما قد جاوز فوق الباب، فلما أصبحت من الغد أخبرتهم بذلك فقفوا الأثر فلم يجدوا إلاّ خطوة واحدة في الخطّ، قدام تندوردورت، فبنوا هناك عليه مصلّى.» [٢] أفليس ذلك استحضارا لأرواح الآباء، أليس ذلك سحرا؟[٣] إنّ سير الاباضية مفيدة لدارس الاباضية دون شكّ، ولكن هي مفيدة أكثر للباحث الانتروبولوجي الذي ينبغي عليه قراءة ما وراء الكلمات، فزيادة على تواصل الاعتقادات الأمازيغيّة القديمة بأشكال مختلفة وبدرجات متفاوتة، فإنّ الكثير من الروايات تثيرا جوّا عشتاريا تموزيّا، ولا نستغرب من ذلك فتلك الاعتقادات انتشرت في المتوسط وتواصلت بعدانتشار المسيحيّة[٤]، إنّ المرأة في سير الإباضية هي صورة للماضي، وهي ذاكرة للمستقبل.

(١)طبقات المشايخ بالمغرب، ج ٢، ص ٤٦٠.
- كتاب السير، ج ٢، ص ٦٣٢.

(٢)سيرة أهل نفوسة، ص ١١٧.

(3)Gaudry (Mathéa), La femme chaouia de l'Aures, Chihab-Awal, Batna (Algérie) 1998, p.228-229.

(4)-Vellay (Claude), Le culte et les fêtes d'Adonis-Tammouz dans l'orient antique, Paris, 1904, p 20, 169,-171.
- السواح (فراس)، لغز عشتار الألوهة المؤنثة واصل الدين والأسطورة، دار المنارة، سوريا، ١٩٩٠، إنّ رمزية الشجرة، وغيرها من الرّموز المشار إليها على علاقة وطيدة بعبادة عشتار... إنّ المجال لا يسمح بالتفصيل، فنكتفي بالإشارة فقط.

الأبعاد الحضارية لسيرة حلقة العزابة في: القرن٥ه

أ: أحمد بن حمو كروم
أستاذ وباحث بمؤسسة عمّي سعيد غرداية/الجزائر
amddfm@gmail.com

أ: عمر بن أحمد بازين
أستاذ وباحث بمؤسسة عمّي سعيد غرداية / الجزائر
Bazine66@yahoo.fr

المقدمة

اخترنا لكم عرض السيرة المسورية البكرية في القرن الخامس الهجري والتي تمثل وجهة نظر الإباضية في التربية والتعليم في شمال إفريقيا حتى تكون ذات أثرٍ فعال في حياة الفرد والمجتمع..

وقد وضعنا لهذه المداخلة العنوان التالي:«الأبعاد الحضارية لسيرة حلقة العزابة في القرن:٥هـ».ولتحليل الموضوع تحليلاً علمياً مفيداً قسمنا المداخلة إلى مبحثين أساسيين: فخصصنا المبحث الأول للتعريف بمؤسس هذا النظام التربوي العزيز وهو: الشيخ أبو عبد الله محمد بن بكر الفرسطائي النفوسي وشيخه أبو زكرياء وتلميذه الشيخ أبو الربيع سليمان بن يخلف المزاتي القابسي بعد تحديد مصطلح:«السير» و:«العزابة».

وأما المبحث الثاني: فقد تعرضنا فيه لسيرة حلقة العزابة في شمال لإفريقيا في القرن:٥هـ بعد توضيح أهمية التربية والتعليم في الحضارة الإسلامية ثم ختمناه بإبراز الأبعاد الحضارية لهذه السير في المجتمعات المغربية .. ونرجو أن نكون موفقين في هذا الاختيار والعرض المقتضب والله ولي ذلك وهو حسبنا ونعم الوكيل.

• المبحث الأول:

تعاريف أساسية

وهـي تتعلـق بتحديـد مصطلحـات وضبـط مسـيرة شـخصيات فعالـة فـي هـذا المجـال.. ولذلـك قسـمناه إلـى خمسـة مطالـب.

المطلب الأول: تعريف كلمة:«السيرة».

«السيـرة»: فـي اللغـة هـي كلمـة مشـتقة مـن الفعـل: «سـار» يسـير سـيراً ومسـيراً.. ومسـيرة، والسـيرة كمـا ورد فـي لسـان العـرب هـي: الطريقـة، يقـال: سـار بهـم سـيرة حسـنة.. وهـي بمعنـى: الهيئـة والشـكل. قـال تعالى:سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الأُولَى[طـه:٢١]، وهـي تعنـي أيضـاً: الحديث عـن تاريـخ الأوائـل فـي قولهم:«سـيّر سـيرة»[١] مثـل: سـيرة سـيف بنـي ذي يـزن.

ثـم تطـورت هـذه الكلمة:«السـيرة» فانحسـر اسـتعمالها كمصطلـح خـاص لذكـر الحـوادث التـي بـرزت فـي حيـاة عالـم أو مجاهـد أو نبـي مثـل نبينـا محمـد حيـث أصبحـت هـذه الكلمـة علمـاً خاصـاً لحيـاة النبـي محمـد فيقال:«السـيرة النبويـة»[٢].

لكـن علمـاء الإباضيـة فـي المشـرق والمغـرب لـم يسـتغنوا عـن هـذه الكلمـة ولـم يغيروهـا بـل وظفوهـا فـي معانيهـا اللغويـة المختلفـة فقالوا:«كتـاب السـيرة وأخبـار الأئمـة». وقالوا:«كتـاب سـير الوسـياني». كمـا وظفـوا هـذه الكلمـة بمعنـى: قانـون أو نظـام، مثل:«سـير أبـي عمـار الوارجلانـي»[٣]. و:«سـير الحلقـة»[٤]. أو:«سـير أبـي الربيـع المزاتـي»[٥]. أو سـيرة أهـل المغـرب إلـى الإمـام الصلـت بـن خميـس[٦]. وكذلـك سـيرة محمـد بـن محبـوب إلـى أهـل المغـرب، وهاتـان الأخيرتـان بمعنـى النصيحـة

(١) ابن منظور، لسان العرب:٣٨٩/٤ - ٣٩٠. مادة:«سير».

(٢) الوسياني، السير:١٤/١. تحقيق: د/عمر سليماني. تقديم: الشيخ أحمد بن سعود السيابي.

(٣) هي رسالة في نظام حلقة العزابة بعد أبي عبد الله محمد بن بكر في ق:٦هـ تحقيق: مسعود مزهودي ومطبوعة.

(٤) الدرجيني، طبقات المشائخ بالمغرب:١٧٢/١.

(٥) أنظر المبحث الثاني من هذه المداخلة.

(٦) الجعبيري، العلاقة بين إباضية المغرب وإباضية البصرة وعمان:١٢٨.



والإرشاد، وأما في مصطلح التاريخ فنجد عنوان كتاب:«تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان»[١].

المطلب الثاني:تعريف مصطلح:«العزابة».

وأما العزابة فهي في اللغة من عزب يعزب، بمعنى: ذهب وغاب. قال الله تعالى:عَالِمُ الْغَيْبِ لاَ يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ[فاطر:٣]، أي: لا يغيب عنه ولا يبعد عنه. وهي بمعنى: أبعد كما ورد في لسان العرب[٢]. وأخذ منها مصطلح:«العزابة» التي هي بمعنى: اعتزال عوائق الدنيا والتفرغ لحفظ القرآن الكريم والعلوم الإسلامية والتدريب على الأخلاق الحميدة داخل الحلقة. يقول أبو عمار عبد الكافي: «أصل العزابة: اشتقاقها من العزبة والعزلة والغربة والتصوف والتهجد على رؤوس الجبال»[٣].والحلقة: هي الجماعة التي تشتغل بتبليغ العلم للطلبة أو الذين يتلقون العلم عن أعضاء الحلقة[٤]. ويقول الدرجيني: «وأهل الحلقة صنفان آمر، وهما: الشيخ والعريف. والمأمور: هم الطلبة على مختلف أعمارهم»[٥]. ثم يضيف الدرجيني في ضبط الوصف العملي لهذه الفئة من المجتمع قائلاً:

«العزابة واحدهم عزابي، وهذه اللفظة استعملت لقباً لكل من لازم الطريق، وطلب العلم وسير أهل الخير، وحافظ عليها وعمل بها، فإن أحسن جميع هذه الصفات سمي عزابياً، وإن حافظ على السير والعمل فقط سمي به، وإن حصل العلم دون السير والعمل بها والمحافظة عليها لم يسم بهذا الإسم»[٦].

ثم تطورت هذه الكلمة فأصبحت تعني الرجال الأتقياء المكلفين بقيادة المجتمع الإباضي في شمال إفريقيا.

---

(١) هو كتاب مطبوع صنفه الشيخ عبد الله بن حميد السالمي يجمع فيه تاريخ عمان في جميع العصور.

(٢) ابن منظور، لسان العرب:٥٩٦/١. مادة:«عزب».

(٣) أبو عمار، سير أبي عمار:١٢ - ١٣.

(٤) الدرجيني، طبقات المشائخ بالمغرب:٤/١.

(٥) الدرجيني، طبقات المشائخ بالمغرب:١٧٣/١.

(٦) المصدر السابق:٣/١.

المطلب الثالث: ترجمة مختصرة عن واضعي نظام التربية والتعليم:

لقد تعاون على رعاية شؤون التربية والتعليم في شمال إفريقيا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات عملوا في مختلف العصور على تبليغ أمانة الإسلام كما تلقوها عن الصحابة الأوائل مع تنوع في الطرق والوسائل الممكنة لذلك، فنجد في هذه: «السيرة» التي نحن بصدد دراستها، أو: «سيرة حلقة العزابة» أو: «السيرة المسورية البكرية» ثلاثة أسماء لامعة نذكر منهم:

١- الشيخ أبو زكرياء فصيل بن أبي مسور[1]

هو العلامة الشيخ أبو زكرياء فصيل بن أبي مسور يسجا بن يوجين اليهراسني من علماء القرن: (٤- ٥ هـ) تعلم عند والده الشيخ أبي مسور وعند أبي خزر، وبعد تأسيسه لحلقة العلم في جزيرة جربة بالجامع الكبير الذي أسسه والده ثم أتمه بعد أن توفي والده واصل فيه الشيخ أبو زكرياء رسالة والده في التدريس مع ثلة من رفاقه العلماء مثل: الشيخ محمد كموس، والشيخ أبي عمرو النميلي، وأبي صالح اليهراسني[2].

وكان من شدة اهتمام الشيخ أبي زكرياء فصيل بتلاميذه في الحلقة كان ينفق عليهم من ماله الخاص فيعلق النقود في ألواحهم، أو يضعها في أوعية دفاترهم، وكان الطلبة يتوافدون إليه من مختلف المناطق الإباضية ويمكثون عنده إلى نهاية فترة التعليم، وكان الناس يقصدونه للفتوى والتوجيه والإرشاد والصلح لما كان يمتاز به من أخلاق عالية وتمكن في الفقه والأحكام.

وقبل وفاته اهتم بهذه الرسالة النبيلة لتتواصل من بعده ولا تنقطع على يد ابنيه زكرياء ويونس[3]وابن أخته أبي بكر بن يحي أن يتوجهوا إلى تلميذه أبي عبد الله محمد بن بكر الفرسطائي ويطلبوا منه أن يجلس لتدريسهم في حلقة علمية خاصة فأسس التلميذ النجيب هذه الحلقة على خطى شيخه فأصبح نظام هذه المدرسة يدعى: «السيرة

(١) **جمعية التراث**، معجم أعلام الإباضية: ١٦٢/٢. رقم: ٣٥٠.

(٢) الشيخ سالم بن يعقوب، تاريخ جزيرة جربة ومدارسها العلمية: ٩١.

(٣) الدرجيني، طبقات المشائخ بالمغرب: ١٦٩/١.

المسورية البكرية» ورحل الشيخ أبو زكرياء بعد سنة ٤٢٠هـ وهو مطمئن على حياة الرسالة العلمية من بعده رحمه الله وأرضاه وجعل الجنة مثواه.

٢- الشيخ أبو عبد الله محمد ين بكر[١]

هو العلامة المربي مؤسس نظام حلقة العزابة الشيخ أبو عبد الله محمد بن بكر بن أبي بكر بن يوسف الفرسطائي النفوسي ولد في مدينة فرسطاء بجبل نفوسة سنة ٣٤٥هـ تعلم في فرسطاء وجربة والقيروان عند علماء أفذاذ منهم الشيخ: أبو زكرياء فصيل بن أبي مسور في المسجد الكبير حتى كلّفه شيخه بتأسيس حلقة للتربية والتعليم فاستجاب لنداء الواجب بعد امتناع كبير، فأسس هذا النظام في مسجد المنية بتقيوس جنوب تونس، ثم قام بتطبيقه في مدينة تقرت جنوب شرق الجزائر عندما أسس مدرسة في غار تينسلي بأجلو سنة:٤٠٩هـ/١٠٢٠م فأصبح نظامه التربوي يعرف بـ: «سيرة حلقة العزابة» بعد أن كان يعرف بـ: «السيرة المسورية البكرية».

وقد توافد إليه الطلاب من جميع أقطار المغرب الكبير، كما اشتغل برعاية المجتمع الإباضي يقوّمه نحو الجادة إلى أن توفي سنة:٤٤٠هـ/١٠٥٠م رحمه الله وأرضاه وجعل الجنة مثواه.

٣- أبو الربيع سليمان بن يخلف المزاتي[٢]

هو العلامة الأصولي أبو الربيع سليمان بن يخلف المزاتي القابسي من ناحية تمولست[٣]من قبيلة مزاتة التي كانت تعيش في قابس جنوب تونس. ولد حوالي سنة:٤٠٠هـ وتعلم عند مشائخ كثيرين منهم: الشيخ محمد بن بكر الفرسطائي، وأبو زكرياء يحي بن ويجمن، وزكرياء ويونس ابني فصيل بن أبي مسور اليهراسني الجربي[٤]، وكان الشيخ أبو الربيع كثير الترحال مع الشيخ أبي عبد الله محمد بن بكر مع رفاقه في مدرسته

---

(١)جمعية التراث، معجم أعلام الإباضية:٢/٣٦٨. رقم:٨٠٣.

(٢)جمعية التراث، معجم أعلام الإباضية:٢/٢١٥. رقم:٤٧٢.

(٣)محمود الأندلسي، التحف المخزونة:١٧.(مرقون).

(٤)أبو زكرياء الوارجلاني، السيرة وأخبار الأئمة:٢٦٩.

المتنقلة عبر مناطق الإباضية بشمال إفريقيا خلال فصول السنة، حتى كان من منظمي رحلة الشيخ ورعاتها في منطقة تمولست[1].

وأول ما بدأ التدريس هو تنفيد اقتراح ورد من حلقة الشيخ أبي محمد ويسلان في الجامع الكبير بجربة أن يقبل أبا الربيع طالباً في الحلقة إذا قبل الشرط الذي يكلفه القيام بتدريس علم الكلام لطلاب المدرسة[2] . وطبعاً بهذه الاستجابة يعتبر قد واصل رسالة مدرسة شيخه أبي عبد الله حتى اضطر أن يضم طلابه في غار ويدرسهم بالتناوب[3]في قلعة بني علي بجبال زنزفة لضيق الغار وكثرة رواد حلقته.

وقد أحيا سنة الزيارة والرحلات مثل شيخه فقد نظم رحلات إلى وارجلان وجنوب تونس وجزيرة جربة. وبالتالي يكون في جميع العلوم التي يبثها لطلابه يعبر عن أراء شيخه العلامة الشيخ أبي عبد الله محمد بن بكر الفرسطائي رحمه الله ولذلك نجد في كتبه التي ألفها يقول: وسألت الشيخ..، ويقول الشيخ:..، ونجد ذلك في كتابه: «التحف المخزونة»[4]وكتاب «السير»[5]الذي سوف نلخصه في المبحث الثاني. ولا يزال جاداً في رسالته النبيلة إلى أن استشهد في مسقط رأسه[6]تمولست سنة: ٤٧١هـ، وقيل: دفن بوارجلان رحمه الله وأرضاه وجعل الجنة مثواه

- **المبحث الثاني:**

نظام التربية والتعليم في القرن:٥هـ

لقد اهتم المؤرخون من كتاب السير بسرد أنظمة التربية والتعليم في مختلف العصور التي يؤرخون لها سواء كانت السيرة لمجتمع كبير أو لشخصية معتبرة حتى يظهر الغث من السمين

(١)أبو زكرياء الوارجلاني، السيرة وأخبار الأئمة:٢٥٧.

(٢) الجعبيري، شخصيات إباضية:١٥٧.

(٣) محمود الأندلسي، التحف المخزونة:٣٢.(مرقون).

(٤) قام بتحقيق الكتاب ووضع دراسة عليه في أكثر من:٩٠٠ صفحة، وهي رسالة دكتوراه مرقونة قام بإعدادها محمود الأندلسي إلا أن المنية عجلت به قبل أن يناقش.

(٥)لقد حققه الأستاذ: مسعود ج سعيد سنة:١٩٩١م.

(٦)أبو زكرياء، السيرة:١/٢٧٦ – ٢٧٧.

فـي هـذه الحقبـة التاريخيـة وأسـباب ذلـك إيجابـاً وسـلباً، ولا شـك أن الهـدف مـن ذلـك هـو إعـداد القـدوة الصالحـة فـي النجـاح والتحذيـر مـن أسـباب الإخفـاق سـواء فـي الحيـاة الاقتصاديـة أو النفسـية أو العائليـة أو الاجتماعيـة أو الثقافيـة أو السياسية.وأحسـن نظـام شـاهدته فـي هـذه السـير المغربيـة هـو سـرد تاريـخ نظـام حلقـة العزابـة فـي شـمال إفريقيـا وسـبب تأسيسـه وتفصيـل قوانينـه داخـل الحلقـة وخارجهـا سـواء مـا كان مـن أمـر التلاميـذ أو المشـائخ وأعوانهـم خـلال فتـرة التكويـن أو بعدهـا.

ولعـرض هـذا النظـام وأبعـاده الحضاريـة قسـمنا المبحـث إلـى ثلاثـة مطالـب، ففـي المطلـب الأول: تعرضنـا فيـه لأهميـة التربيـة والتعليـم فـي الحضـارة الإسـلامية. وفـي المطلـب الثانـي: شـرحنا قوانيـن حلقـة العزابـة. وأمـا فـي المطلـب الثالـث: فقـد شـرحنا آثـار هـذا النظـام وأبعـاده الحضاريـة فـي المجتمعـات المغربيـة التـي اعتمـدت هـذا النظـام فـي مدارسـها العلميـة آنـذاك ممـا أورده الدرجينـي فـي طبقاتـه، والبـرادي فـي جواهـره، والوسـياني فـي سـيره، والمزاتـي فـي سـيره.

المطلب الأول:

أهمية التربية في الحضارة الإسلامية:

لقـد أشـادت نصـوص القـرآن والسـنة كثيـراً بأهميـة التربيـة والتعليـم فـي حيـاة المجتمـع المسـلم عمومـاً وحيـاة الفـرد المسـلم خصوصـاً، قـال تعالـى فـي معـرض الاعتـراف بحقـوق الوالديـن: وَقُـل رَّبِّ ارْحَمْهُمَـا كَمَـا رَبَّـيَانِي صَغِيرًا[الاسـراء:٢٤].وقال أيضـاً عـن فضـل الرسـول محمـد علـى أمته:هُوَ الـذِي بَعَـثَ فِـي الأُمِّيِّـينَ رَسُـولاً مِّنْهُـمْ يَتْلُـو عَلَيْهِـمْ ءَايَاتِـهِ وَيُزَكِّيهِـمْ وَيُعَلِّمُهُـمُ الْكِتَـابَ وَالْحِكْمَـةَ وَإِن كَانُوا مِـن قَبْـلُ لَفِـي ضَـلاَلٍ مُّبِينٍ[الجمعة:٢]ويزكيهـم مـن معانيهـا ويربيهـم.

وفي معرض التحدث بنعمة الله تعالى يقول الرسـول :«أَدَّبَنِي رَبِّي فَأَحْسَنَ تَأْدِيبِي»[المقدسـي:٢٧]. ويقـول الرسـول وهـو يحـث المسـلمين علـى التنافـس فـي التربيـة قائـلاً: «مَـنْ آوَى يَتِيمًـا لِلَّهِ وَقَـامَ بِـهِ احْتِسَـابًا لِلَّهِ وَقَـعَ أَجْـرُهُ عَلَـى اللَّهِ، وَاللَّهُ لا يُضِيـعُ أَجْـرَ مَـنْ أَحْسَـنَ عَمَلاً»[الربيـع:٦٦٢]. وقـال أيضـاً: « مَـنْ عَـالَ ثَـلاَثَ بَنَـاتٍ فَأَدَّبَهُـنَّ وَزَوَّجَهُـنَّ وَأَحْسَـنَ إِلَيْهِـنَّ فَلَـهُ الْجَنَّةَ»[أبـوداود:٥١٤٧].

وقـد كان الرسـول يـؤدب الصحابـة الصغـار علـى الخيـر والصـلاح قائـلاً لابـن عبـاس مثـلاً: «يَـا غُـلامُ سَـمِّ اللَّهَ، وَكُلْ بِيَمِينِـكَ، وَكُلْ مِمَّـا يَلِيكَ»[البخـاري:٤٩٨٢]. ويحـرض المسـلمين علـى مواضيـع التربيـة قائـلاً: «أَدِّبُـوا أَوْلاَدِكُـمْ عَلَـى ثَـلاَثِ خِصَـالٍ: حُـبِّ نَبِيِّكُـمْ وَحُـبِّ أَهْـلِ بَيْتِـهِ وَتِـلاَوَةِ الْقُـرْآنِ فَـإِنَّ

حَمَلَةَ الْقُرْآنِ فِي ظِلِّ اللهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إلاَّ ظِلُّهُ مَعَ أَنْبِيَائِهِ وَأَصْفِيَائِهِ»[المناوي: ١/٢٩٢].

ولا تكون تلاوة القرآن صحيحة إلا بالتعليم الصحيح للتلاوة الصحيحة قال رسول الله: «عَلِّمُوا أَوْلادَكُمُ الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ أَوَّلُ مَا يَنْبَغِي أَنْ يُتَعَلَّمَ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ هُوَ»[الربيع:٣]. وقد أرشد الصحابة إلى تعليم القرآن قائلاً: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»[البخاري:٤٦٦٤].

والعلم الذي يأخذه الإنسان لا يحده زمان ولا مكان فقال: « اطْلُبُوا العِلْمَ وَلَوْ بِالصِّينِ»[الربيع:١٨]. فقد تعلم عنه الصحابة كباراً وصغاراً القرآن والسنة حتى أصبحوا هداة مهتدين يشيعون الفضيلة بمعاملاتهم التي تربوا عليها قبل أقوالهم في جميع البلاد التي رحلوا إليها عبر العالم فأصبحوا محل اقتداء واهتداء من جميع من عاصرهم من التابعين المحسنين، فأسسوا مدارس وحلقات في المساجد لتبليغ هذه السنن الحميدة إلى الخلف من بعدهم، حتى لا تنقطع هذه الأخلاق العالية عبر الأجيال المتلاحقة. وبعد المسجد النبوي في المدينة المنورة بنيت جامعات وجوامع ومساجد في البلاد المفتوحة يؤمها الطلبة والباحثون من مختلف الديانات والمذاهب لرعاية عملية التربية والتعليم التي تعتبر وسيلة ضرورية لتحصين الفرد والمجتمع من الأمراض النفسية والاجتماعية والفكرية ويضمن له النمو السليم في جميع مجالات الحياة.

ومن خلال القراءة السريعة لمختلف السير المغربية نجدها لا تخلو في كل عصر من شيخ أو مسجد أو مدرسة ترعاها العزابة لمثل هذه المهمة النبيلة سواء كان ذلك في جربة[١]أو جبل نفوسة[٢]أو وارجلان[٣]أو وادي ريغ[٤]أو وادي ميزاب[٥]أو غدامس[٦]أو فزان[٧].

---

(١) جربة: جزيرة جنوب شرق تونس.

(٢)جبل نفوسة: هو سلسلة جبال تسكنها قبائل أمازيغية غرب ليبيا.

(٣) وارجلان: أو ورقلا إقليم واسع في شرق صحراء الجزائر.

(٤) وادي ريغ: هو إقليم واسع جنوب وارجلان في شرق صحراء الجزائر.

(٥) وادي ميزاب: أو بلاد الشبكة منطقة وجود الإباضية شمال الصحراء الجزائرية.

(٦) غدامس: واحة صغيرة تقع في مفترق الطرق في الحدود الليبية التونسية الجزائرية.

(٧) فزان: هو شريط صحراوي يمتد جنوب ليبيا من حدود مصر إلى حدود الجزائر.

وقد ارجع الشيخ علي يحي معمر نجاح هذه المدارس[1]في رسالتها إلى ثلاثة عوامل أساسية هي :

١- وجود الأقسام الداخلية التي تأوي الطلبة.

٢- القيام برحلات مدرسية استطلاعية لمرافقة الطلبة وتدريبهم على الحوار مع الآخرين واكتشاف مواهبهم في الميدان.

٣- توفير التعليم الصحيح والتربية السليمة للمرأة مثل الرجل وعدم التمييز بينهما في ذلك حتى لا يؤتى الحذِر من مأمنه.

وأنا أضيف له عاملين أساسيين هما:

٤- التنظيم والتخطيط المحكم والتنسيق بين هذه المدارس المتباعدة في الصحراء.

٥- تأليف الكتب والمراجع المفيدة في مجال الأخلاق والتربية مثل: كتاب تبيين أفعال العباد للشيخ أبي العباس أحمد بن محمد بن بكر الفرسطائي(ت:٥٠٤ه). وكتاب السيرة وأخبار الأئمة للشيخ أبي زكرياء يحي بن أبي بكر الوارجلاني(ت:٤٧١هـ). وكتاب السير لأبي الربيع سليمان بن يخلف المزاتي(ت:٤٧١هـ).

المطلب الثاني:

سيرة حلقة العزابة في شمال إفريقيا

إن الدارس لكتب الطبقات والسير ليلفت انتباهه وجود اهتمام بالغ بكتابة سيرة حلقة العزابة ونظامها في التربية والتعليم خلال القرن الخامس الهجري، وهذا دليل على الآثار الإيجابية التي تركتها هذه السيرة الحميدة في مختلف مجالات الحياة بشمال إفريقيا، كما تعتبر هذه السيرة قمة الفكر التربوي عند الإباضية، فما يزال هذا الفكر يرعاه المشائخ في مدارسهم العلمية ويطورونه تطويراً يقتضيه الزمان والمكان حتى انحسر نشاطه اليوم في الجزائر كنظام تسيير مجتمع لا كنظام خاص بالتربية والتعليم كما رسم نظامه أول مرة في مسجد المنية بمدينة تقيوس في منطقة

(١) علي يحي أمعمر، الإباضية في ليبيا:(ق:٢):٢/٦٢.

الحامـة بالجريـد التونسـي.

وللتعريـف علـى هـذا النظـام أترككـم سـادتي العلمـاء مـع المـؤرخ الدرجينـي والبـرادي والمزاتـي فيمـا خلـدوه مـن تفاصيـل هـذا النظـام التربـوي الفريـد. يقـول أبـو العبـاس أحمـد الدرجينـي[1]:

أ- مواصفات العزابي:

١- العزابي: هو الذي اعتزل عن دناءة الأجلاف الدنيويين،وانضم إلى سلك المتدينين

٢- يتجرد عن طريقة أهل الدنيا بحلق شعر رأسه ولا يتركه يطول أبداً

ب - لباس العزابي:

١- لا يلبـس العزابـي لباسـاً مصبوغـاً إلا البيـاض، ولا بـأس بعلَـم الطرفيـن والطـراز مـا لـم يتفاحشـا.

٢- ثـم إن اقتصـر علـى عبـاءة أو ملحفـة لـم يشـنه ذلـك ولـم يعبـه بـل ذلـك بـه أليق، وإن لبس ذلـك علـى قميـص كان أكمـل مـا لـم يكـن مبتدنـاً.

٣- لا سبيل على اقتصاره على قميص، أو قميص دون اشتمال أو التحاف أو ارتداء.

٤- إن اعتـمَّ فالتلحّـي علـى مـا جـاء فـي الأثـر، وليـس لبـس العمامـة بضربـة لازب، بـل لا بـأس باسـتغنائه عنهـا.

٥- مـن اقتصـر علـى العبـاءة أو اللحـاف غطـى رأسـه وألقـى الطـرف الأعلـى مـن هـدب حاشـية الجانـب الأيمـن علـى العاتـق الأيسـر، لا يلقـي الهـدب كلـه علـى العاتـق الأيسـر فـإن ذلـك مـؤد إلـى انكشـاف العـورة.

أ- أصناف الناس في الحلقة:

٦- أهل الحلقة صنفان: آمر ومأمور.

---

(١) الدرجيني، طبقات المشائخ:١٧٢/١ – ١٨٤. البرادي، الجواهر المنتقاة:٢٢٦ – ٢٣٥.

ب- أنواع المسيرين في الحلقة:

٧- الآمر اثنان: شيخ الحلقة أو مستنابه، والعريف

٨- العريف اثنان: منفرد وغير منفرد.

٩- المنفرد اثنان: عريف أوقات الختمات والنوم.

١٠- عريف العرفاء (وهم: حملة القرآن يكون منهم من يكتب عليه طلبة القرآن ألواحهم ويصححونها ويحفظونها) فهؤلاء لا يحصون عدداً.

١١- العريف على أوقات الدراسة ربما كان واحداً وربما أكثر، فهؤلاء على قدر الاحتياج إليه.

ض- أنواع الطلبة في الحلقة:

١٢- المأمور ثلاثة: طلبة القرآن، وطلبة فنون العلم، والعاجزون.

غ- مهام شيخ الحلقة: فالشيخ يتعلق به أشياء:

١٣- الجلوس لطلبة فنون العلم في وقت معلوم ليأخذوا عنه فيه الدرس.

١٤- الجلوس بإثر الختمات للجواب على الأسئلة في أي فن كان، وليذكر التلاميذ فيما حصلوه قبل ذلك، فيستفيدون ويستفيد من حضر.

١٥- يختص غداة الجمعة بزيادة شيء من الوعظ إن أمكن.

١٦- الاستفتاح وهو قيامه في الثلث الأخير من الليل، أو في الربع الأخير منه فيأتي

الشيخ إلى موضع الاستفتاح فيستعيذ ويبسمل ويقرأ فاتحة الكتاب ويبتدئ من حيث انتهى مجلس الاستفتاح من القرآن في الليلة التي قبلها.

١٧- يهب كل نائم فمنهم من يصير معه في المجلس، ومنهم من يخرج فيدرس وحده.

١٨- إذا أذّن مؤذن الصبح قطعوا القراءة ويدعون كالعادة من بعد العشاء.

١٩- أن يجمعهم يوم الجمع، وذلك يوم الإثنين والخميس فيعظ ويذكّر ويحذر، ويورد أمثالاً حكيمة وحكايات زهدية، ثم يفحص جميع من حضر فيسأل عن أحوالهم واحداً فواحداً.

٢٠- يتفقد العرفاء فمن حمدت أحواله حمد الله وشكره على فوزه، ومن عيب عليه شيء من أحواله فإن كان صغيراً أقيم إلى زاوية معروفة بأن تكون موضعاً لتأديبهم، ثم يجتهد في عدد ما يجلد تأديباً، والكبير إلى الخِطة[1] والهجران.

٢١- إذا قدم قادم من بلد قريب أو بعيد فلا يخلو إما أن يكون عابر سبيل أو طالباً للإقامة والدخول في زمرة أهل الحلقة، فيتشاور الشيخ في كلا النوعين، ويستأذن في شأنهم.

٢٢- كان عابر سبيل كان له حظ فيما فتح الله عليه من المأكول غير المدخر، فيفتح له ذلك، ولا يحفز عليه في ملازمة الأوقات، ولاحظ له في شيء من الفتوح التي تدخر لا من طعام ولا من غيره.

٢٣- إن كان يريد الدخول في الحلقة استوذن الشيخ في شأنه فيكشف الشيخ عن أحواله، وعما كان في الموضع الذي قدم منه.

٢٤- إن اطلع على صلاح أحواله أذن له في الدخول لا غير، فيكون من أهل الحلقة له مالهم وعليه ما عليهم.

٢٥- إن أطلع على نقيصة وأحوال ذميمة طرده لا غير.

٢٦- إن تعذر لبعد داره الإطلاع على الأحوال أو اختلفت في صلاحه وفساده الأقوال توقف حتى يستبرئ ويستعلم حميدها من ذميمها وصحيح الأقوال من سقيمها،

---

(١) الخِطة: عملية اقصاء الفرد العاصي من حلقة العزابة في حبس معنوي داخل خطٍّ مربع مرسوم على الأرض.

فإن اطلع على الخير ألحقه بأهله، وإن أطلع على شر أفضاه إلى نوعه وشكله.

٢٧- حكم هذا الغريب في مدة الاستبراء حكم المسافر عابر سبيل في كونه لاحظ له في القسم من الفتوحات المدخرات والعين، وكونه لا يحفز عليه، وكونه لا يمنع المأكول.

٢٨- إن كان تائباً مبتدأ أذن له.

٢٩- إليه تولية عرفاء الأوقات والإذن فيما يشتري وما يباع ويدخر من الأقوات.

٣٠- الإذن في قسمة ما يفتح الله من رزق مما يدخل عليهم أو هو من اعتلالات الأوقاف ومتى يقسم وعلى من يقسم.

٣١- مما ينبغي لشيخ الحلقة أن يتفقد أحوال التلاميذ فمن كان منهم موسراً أنظر له فيمن يخدم له ما يقتات به من الطعام، ومن كان مقتراً نظر له فيمن يتبرع له بالخدمة والإطعام.

٣٢- الحكم بين المختلفين والمختصمين من التلاميذ فيأخذ المظلوم من الظالم وينصف المحسن من المسيء.

ك- مهام العرفاء: عريف الختمات وأوقات النوم:

٣٣- العريف المكلف بالختمات وأوقات النوم يتعلق به ارتصاد حزب الغداة في المجلس الذي تعقبه المذاكرة.

٣٤- إذا كمل الحزب أو كاد دَعَا وَجميع من في المجلس يؤمنون على دعائه، فيدعو أسنهم ويدور الدعاء.

٣٥- إن انقضى الدعاء وتخلف أحد فالخطة.

٣٦- إذا كان الضحى نادى بنوم الهاجرة فينامون.

٣٧- إذا ناموا وتكلم أحد أو تحرك بحيث يؤذي النائمين فالخطة.

٣٨- إن أبى أحد أن ينام بغير عذر وكان تركه النوم ذريعة إلى امتناع القيام بالليل حتم عليه نوم القائلة فإن امتنع فالخطة.

٣٩- عند غروب الشمس وبعد صلاة المغرب نادى بالختمة فيجتمعون على أكبرهم فيدير معه من يليه في السن والمعرفة.

٤٠- إن قلوا ثلاثة وإن كثروا فعشرة لا يجاوزونها، والوسط بين التحديدين أعدل.

٤١- إذا استداروا ذكروا الله وقرأ قارئان آيات من القرآن ثم يدور الدعاء كالعادة ويؤمّن من خلفهم، ومن تخلف فالخطة.

٤٢- إذا صلوا العشاء وقرأوا من القرآن ما يسَّر الله وحان وقت النوم مالم تكن من ليالي الإحياء نادى بالدعاء. وهي ختمة ليست بأكيدة في أكثر الأقطار، والمتعارف أن حضورها على الكفاية، فيدعون دعاء خفيفاً.

٤٣- إذا دعوا فالمستحب الذي وضعه الشيخ أبو عبد الله أن يكون بيد أفصحهم كتاب، إن كان في الوعظ فهو أولى وإلا ففيما أتاح الله تعالى، فيقرأ فيه قليلا بحيث يستمعون وهم مجتمعون أو لا يجتمعون ثم يدعو وينادي بالنوم.

٤٤- إذا ناموا وتكلم أحد أو تحرك فالخطة، إلا أن يكون في مطالعة كتاب بعيداً عن النائمين فما على المحسنين من سبيل.

عريف أوقات الطعام: والعريف المكلف بأوقات الطعام له حدود يقف عندها وأشياء له متسع فيها:

٤٥- إن الطعام لا يخلو أن يكون في موضع مألفهم أو خارجا، فإذا كان خارجاً لا يخلو أن يكون في محل عزابي أو محل دنيوي.

٤٦- إذا كان في محل دنيوي حفز عليهم كل الحفز في ملازمة التحفظ وإفراط الحذر.



وجعل الشعار بينهم من القول (حسان) وربما قال: (حسان بن ثابت) أي: حسنوا آدابكم وأخلاقكم، وهي كلمة يقولونها مهما يدخل فيهم غير الصِّنف، تحذيراً أن يطلع على ما ينتقد منهم.

٤٧- إن كان الطعام في محل عزابي لم يتحفظوا كل التحفظ بل يميلون إلى ضرب من الإدلال، وينبسطون بعض الانبساط، ويحسنون الظنون.

٤٨- لا يحتشمون في اقتراح أطيب الطعام أو زيادة الإدام ونحو ذلك، في دار العزابي.

٤٩- المتعلق بالعريف في كلا المجلسين أن يرتب جلوسهم، فإذا غاب أحدهم في عذر ذكرهم بأن يستوصوا عنه، وإن كان في غير عذر فالخطة.

٥٠- إذا اعتدل جلوسهم استدعى بماء غسلوا بعد اشتمالهم الشملة المتعارفة عند حضور الطعام، وهو أن يخرج طرفي توبه على صدره بعد أن يدير كل طرف فوق العاتق الذي يليه، فتبرز اليدان ولا ينكشف شيء من الجسد.

٥١- يأكلون أكلا معتدلا، فمن أكل أكل نهم، أو أكل ذي كبر، عيب عليه في غير ذلك الموضع، ونهي وقبح وحذر أن يعود، فإذا عاد فالخطة.

٥٢- إذا طعموا تفقدهم العريف، فإذا وجد منهم من يده في الطعام انتظره حتى يقضوا حاجتهم منه.

٥٣- إذا فرغوا أذن بالإنصات إلى الدعاء ثم يأذن أسن من حضر فيدعو.

٥٤- إن كان الطعام في موضع مألفهم فلا يخلو أن يكون مما لا بأس بقسمته أو مما ينبغي فيه مشاركة الأيدي في المؤاكلة[1](٣٥).

٥٥- لا يخلو أن يكون ممن يقدر على معالجته وحده أو يحتاج فيه معينا، فإن كان مما يحتاج فيه معينا استعان بمن استحسن.

(١) البرادي، الجواهر: ٢٢٩.

٥٦- إذا استعان بأحد فامتنع من غير عذر فالخطة.

٥٧- لكن ينبغي له أن لا يخص بذالك من يعلم منه كثرة الانقطاع إلى المدارسة والمطالعة فيضع الشيء في غير موضعه.

٥٨- إن كان مما لا بأس بقسمته قسم على ما جرى به العرف في ذلك القطر.

٥٩- الذي تصلح فيه المواكلة فإما متكرراً معلوماً وإما نادراً، فالناذر يؤكل لا شريط إلا إطراح الحرص والشره والترتيب في ذلك إلى العريف.

٦٠- المتكرر كل يوم كالتمر والفاكهة في أوقاتها فترتيب ذلك أيضاً إلى العريف.

٦١- المتكرر من الفاكهة لها وقتان: أحدهما وقت الضحى بعد استكمال اكتتاب الألواح وتصحيحها. والآخر بعد صلاة العصر، بقدر ما يقرأ فيه قاريء القرآن اللوح مرة أو مرتين.

ج- وقت المراجعة والتصحيح:

٦٢- إذا استداروا طوائف فإن من شروط ذلك الحضور أن يكون في كل طائفة عريف يكون أسنهم أو أنبههم. لا تعدوا عرافته ذالك المجال.

٦٣- يلقي ثلاث مسائل في أي فن كان ثم كذلك ميامنة حتى يتم الدور.

٦٤- إن وقف أحد أمسك المبتدئ يده ومنعه الأكل تأديبا وردعا وتحريضا على تحصيل الفوائد.

٦٥- إن أتى بشيء قبل منه ولو بعد حين وأطلقت يده.

٦٦- من شأن هذين الوقتين أن يتفقد العريف الألواح، وإذا صحح آخر لوح منها دعا إلى الطعام، وبعد العصر بقدر ما ذكرناه.

٦٧- فمن أجاب أكل ومن تأخر فلا إثم عليه فإنما ذلك على الاختيار.

٦٨- إن كانت نافلة[١]فينبغي للعريف أن يعرّف بها، لا يستخفي النطق بها، فقد يكون من العزابة من له شوق إلى تلك النافلة.

٦٩- إذا امتنع بعد هذا ممتنع لم يتعلق منه بالعريف ذم.

ط - عريف الدراسة: نظام حفظ القرآن.

٧٠- العرفاء من حملة القرآن ترتبط بكل واحد منهم جماعة من أصحاب الألواح طلبة القرآن. يملي عليهم ويصحح ألواحهم ويأخذهم بالحفظ عن ظهر.

٧١- الجماعة التي ترتبط بكل حافظ يكون أكثرهم عشرة وأقلهم اثنين، وهذا حسب الاختيار، وفي الأمر الأشهر العام.

٧٢- أما مع الضرورات وعدم الرجال فلا حدّ لكثرتهم ولا لقلتهم.

٧٣- إذا كان وقت الضحى وتأهبوا للكتب كان لكل جماعة نقيب من أنفسهم يحفز على أصحابه ويجمعهم.

٧٤- يستدعي العريف فإذا حضر استأذنه ميامنة في حفظ ما كتب أمس، ثم يحفظون على اليمين فإن حفظوا كلهم استأذنوه في الاستملاء وأملى عليهم.

٧٥- إن توقف أحدهم حين الحفظ فإن كان مبتدءا أقيل له خمس عشرات، وإن كان فوقه إلا أنه في أول قلم أقيل له ثلاث، وإن كان في الإعادة فعشرة واحدة.

٧٦- فمن زاد فعلى ما يجتهد فيه العريف والمعروف الأشهر أنه إن كان صغيرا فالزاوية والجلد، وإن كان كبيراً فالخطة والطرد.

ظ- متابعة التلاميذ وضبطهم:

٧٧- إذا ارتسم أحد التلاميذ بعريف فليس له أن ينتقل عنه إلى غيره إلا بإذنه.

---

(١) النافلة: أي صدقة تبرع بها أي أحد من غير الطعام المعتاد في المدرسة.

٧٨- إن تخلـف أحدهـم بغيـر عـذر حتـى يحفـظ أصحابـه ويكتبـوا سـطرا أو بعـض سـطر فالتأديـب قـد تقـدم تفصيلـه. وإن كان قبـل ذلـك وبخـه العريـف ثـم صفـح عنـه وعنهـم.

٧٩- عليه أن يختبرهم أحياناً فيما قد حفظوه ليعلم كنه اشتغالهم ورغبتهم واجتهادهم.

٨٠- إن وجـد حفظـاً ركيكـاً فـإن كان ذلـك لقلـة فـي فهـم التلميـذ وضيـق باعـه، وعلـم أن ذلـك الأمـر كان سـماوياً عـذره وأمـره بالإعـادة.

٨١- إن كان التلميـذ ذكيـاً فهمـاً وعلـم أن ذلـك لحـب البطالـة وتـرك الدراسـة اجتهـد فـي تعزيـره.

٨٢- يسـأل الشـيخ العريـف عـن أحـوال التلاميـذ حيـن التمحيـص يـوم الاجتمـاع فـلا ينبغـي لـه أن يقـول إلا مـا علـم مـن حـال كل واحـد منهـم.

ك- عريف أوقات الدراسة:

٨٣- أما عرفاء أوقات الدراسة فيتفقدون أصحاب الألواح بين الظهر والعصر.

٨٤- إن أبطأ أحدهم إبطاء لا يعذر فيه فالخطة.

٨٥- إن اشتغل بما يلهيه عن قراءة لوحه فالخطة.

٨٦- إن سمعه العريف يقرأ خطأ وكان مع ذلك لإهماله بتصحيح لوحه فالخطة.

٨٧- إن أبطـأ التلاميـذ بيـن المغـرب والعشـاء أو غـاب أو اشـتغل بمـا يلهيـه أو يشـغل سـواه فالخطـة.

٨٨- إن قام إلى الطعام اختياراً أو إلى نجوى فالخطة.

٨٩- في وقت الاستفتاح إن نام أو تناوم أو اشتغل بغير الدراسة ولم يكن له عذر فالخطة.

٩٠- إن غـاب التلاميـذ بيـن صـلاة الجمعـة والعصـر عـن الحضـور لاسـتماع قـراءة كتـاب المواعـظ فالخطـة. وقـد قلنـا إلا ثلاثـة علـى مـا فصلنـا.

ل- طلاب الحلقة ومراتبهم: طلبة القرآن ومقاعدهم:

٩١- طلبة القرآن يقرأون ألوحهم بين الظهر والعصر حتماً وبعد العصر استحباباً.

٩٢- صفة هيئتهم حينئذ أن يشتملوا فلا يظهر من أجسادهم شيئ ويسندوا ألواحهم إلى الأساطين[1]، ويقابلونها غير مستندين ولا مكثرين من الإلتفات.

٩٣- بين العشاءين يجلسون في وسط الساحة غير مستندين وقد أبيح لهم الاسناد في غير هذين الوقتين إن شاءوا، والأفضل للأصغرين ترك الإسناد.

٩٤- لا يتعرضون إلى ما ليس بشأنهم غير دراسة القرآن إلا ما قد عناهم من العبادات وفرائض الإسلام كالطهارات والصلاة والصيام وما أشبه ذلك.

٩٥- إن امتدوا إلى غير ذلك كره مشي الغراب مع الحمام على أنه من كان ذا فهم وقلب ذكي و أعطاه الله قدرة على تحصيل هذا أو هذا فلا بأس في الازدياد من الخير.

م – طلبة العلوم:

٩٦- إما طلبة الأدب, فإن أتفق أن يكونوا أصحاب لويحات وصغار في السن فينبغي لهم التأسي بطلبة القرآن في ترك الاستناد.

٩٧- وأما أصحاب الكتب فشأنهم الاستناد إلى أركان المسجد والأبواب وإلى الأساطين و حيث يستحسن واستحسن منهم.

٩٨- لهم أن يجتمعوا للبحث والمذاكرة والمناظرة ما لم تفض إلى توغير الصدور, ويكون هذا دأبهم.

٩٩- لابد أن يكون لهم وقت معتاد يكون فيه الميعاد للحضور على الأساتذة ويؤدب من غاب من التلاميذ..

---

(١) الأساطين: جمع أسطوانة، وهي: السارية بين الأقواس.

١٠٠- يأخذ كل منهم درسه وهي دولته[1]، على أستاذه ,ويجعل ما يتلقنه خير ملاذه ومعاده.

ن – منهج الأسئلة والأجوبة في الحلقة:

١٠١- إذا كانت ختمة غداة وحضر الشيخ فإن هنالك طرقاً كلها حميدة .. وذلك أنهم إما أن يتداولوا وضع السؤال فيبتدءون بالسؤال ميامنة فمن أفضى إليه النوبة وغاب اجتهد فيه.

١٠٢- إما أن يسأل أفصحهم لساناً وأكثرهم بياناً، وإما أن يسأل أشدهم احتياجا لإسراع في ضرورة دعت ، أولنازلة وقعت.

١٠٣- إذا ألقي السؤال فإن كان الجميع حفيلا بدأ فسأل الشيخ ثم على من يمينه فيعيده الثاني إلى الشيخ طلبا للتخفيف والاختصار.

١٠٤- إن كان الجميع دون احتفال سيما إن كانوا أماثل فإنه يدير السؤال أو يحيل كل مسؤول على ميامينه حتى يدور السؤال إلى الشيخ.

١٠٥- إن علم الشيخ أن في الجمع أكفى منه في تلك المسألة أذن له في الكلام فيها, وإلا تكلم بما عنده.

١٠٦- للسائل أن ينبهه إذا غفل ويذكره إذا نسي ويفتح له إن ارتج عليه، ويعترض إن احتاج إلى زيادة إيضاح أو علم من الحاضرين إرادة استزادة كشف، ثم يسأل كذلك من شاء ويجيب كيف شاء.

ص – كيفية الخروج من الحلقة:

١٠٧- من أراد القيام فلا يقوم حتى يستأذن من يليه، فإن أذن له قام، وإن لم يأذن له أقام.

---

(١) دولته: أي نوبته.

١٠٨- إذا حضـر غيـر الصنـف فيكـره إدارة مـا يستشـنع مـن المسـائل الشـواذ التـي تضـل الغبـي أو تجعلـه ينسـب الرشـد إلـى الغـي.

١٠٩- إذا هـم الشـيخ بالقيـام ولـم يسـتثقل تشـييع مـن يختـص بـه مـن طلبتـه ركـع وركـع أصحابـه ركعـات الضحـى، ويشـيعوه تكرمـا لـه و تأنيسـاً بـه .

١١٠- إن ثقل عليه ذلك ركع وركعوا وودعوه ولم يشيعوه.

ع – الطلبة العاجزون وطرق معاملتهم في الحلقة:

١١١- أمـا العاجـزون فأنـواع فـالله حسـيبهم فيعاقبهـم أو يثيبهـم، فمنهـم الطـرش والعميـان والزمنـي والهارمـون والأفهـام القاصـرة.

١١٢- ربما استعمل مستعمل فألحق نفسه بهؤلاء وفيه قدرة أو عنده لوجدّ بعض الغناء.

١١٣- فهـذه الأنـواع شـأنهم الإصغـاء والاسـتماع ليحصلـوا الطـرق والأخـلاق ويظهـروا التلهـف والاسـتياق.

١١٤- عليهم حفظ السيارات والمحافظـة علـى الطـرق والأوقـات وإن أجهـدوا أنفسـهم وزادوا ظفـروا ببعـض مـا أرادوا.

١١٥- أمـا الزمنـى والعميـان فقـد نطـق بعذرهم(١)القـرآن، وأمـا القاصـر والفهـوم ، فمنهـم القانـط التـارك للعلـوم، ومنهـم مـن اليـأس عنـده معـدوم(٢)..

١١٦- ينبغـي أن تكـون خدمـة الطعـام مـن هـؤلاء الذيـن لـم يفتـح الله عليهـم، ولا شـرح للعلـم صدورهـم، لينفعهـم بخدمـة أهـل الخيـر ويوفيهـم أجورهـم.

---

(١) قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾[النور:٦١].

(٢) ذكر الدرجيني في طبقاته:١/١٨١ – ١٨٢ أمثلة من هؤلاء القاصرين الذين عاصرهم في حلقة وارجلان عام:٦١٦ – ٦٢٠هـ.

ف – مواطن الراحة وأوقاتها:

١١٧- وقت الراحة والتصريف هو آخر النهار.

١١٨- يتصرف إلى المواضع التي لا ينكر التصرف فيها كمواضع المياه ومواضع الأشجار وأمثالها من الأماكن التي تتفرج فيها النفوس وتنفسح فيها الصدور, فإن في ذلك إجماماً للخواطر، وجلاء للنواظر.

١١٩- لا بأس في ذلك ما لم تكن هذه الأماكن معروفة بأن يستقر فيها مصادف الشبهات، كالنساء وأهل الخساسات، فلا سبيل حينئذ إليها.

١٢٠- الإكثار من التصرف في الطرقات والأسواق يكره، وإن دعت ضرورة ففي طريق نافد ووقت لا يظن به ريبة.

١٢١- وقت الأكل لمعايشهم التي تختص بكل واحد منهم إذا صلى العتمة، فإما وحده و إما مع من توافق طبائعهم طبعه ويشترط التخفيف وأن لا ينفصل إلا بعد الدعاء.

١٢٢- وقت تغيير المنكر متى ظهر، لا ينحصر إلى وقت، ويشترط تقدم الشيخ أو بإذنه، أو تقدم الأمثل.

د – اعتناء العزابة بالعبادات:

١٢٣- الأوقات المستحب فيها التأهب للصلاة معروفة وهو أن يكون بمقدار ما يَستبرئ ويتوضأ ثم يدرك صلاة الجماعة،ويشترط بعد الأثر وإعداد المدر.

١٢٤- أوقات نوافل العبادات ليلا ونهارا معروفة فلا يحتاج إلى زيادة، فإن أصبح فخمس تسليمات بالليل ومثلها ضحى، هذا الأفضل، فإن زدت فلك ذلك، وإن نقصت فلا ذنب عليك.

١٢٥- لصلاة الليل شروط من إطالة القراءة، واختلف في إسرارها وإعلانها، قيل: الإعلان أفضل إذ فيه إيقاظ النائمين، وقيل الإسرار أفضل لبعده عن رياء المخلوقين،

وهذا بحسب الأحوال - و الأولى إخفاء العبادات -.

١٢٦- الركعات التي تصحب الفرائض معلومة[١].

١٢٧- أوقات الصوم المستحب كيوم الجمعة[٢]ويوم قبله، وتاسع ذي الحجة، ويوم عاشوراء، و الثلاثة البيض من كل شهر وما أشبه ذلك.

ذ – سلوك العزابة مع العوام:

١٢٨- من آداب الطريق وأحوالهم أن لا يتكبر على متواضع، ولا يتواضع لمتكبر.

١٢٩- لا يخالط أهل الدنيا ولا يجالسهم إلا إن دعت ضرورة لا يوجد معها بُدٌّ.

١٣٠- يجلسون لكي يستفيدوا مصلحة لدينهم من علم أو عمل، والكبير أعذر في مخالطتهم من الحدث فإن الكبير أهل لأن يهديهم والحدث أهل لأن يضلون.

١٣١- من نهي عن الإكثار من ذلك فلم ينتبه فالخطة.

١٣٢- ينبغي أن يعلم أن المؤاخذة على العثرات وإلزام الذنب على الخطيئات إنما هي بحسب أصحابها وهم طبقات، فالكبير المبتهل حسن به الظن، وحسن معه العبارة، و أدمج له تفسح زلته في اللطف.

١٣٣- إن كان من دونه في الطريق راسخ القدم شامخ القدر واخذته على الكبيرة والصغيرة، واستعظمت نقيره من الخطايا وقطميره.

١٣٤- إن يكن غير ذلك يجاف عن النقير والقطمير واستكثرت من حسناته الشيء الحقير، وسلكت معه سلك التأنيس لا التنفير، فرب قبيح من ذلك هو من هذا حسن. وكثيراً ما رأيت المشائخ يشبهون الصنفين بالماء واللبن.

---

(١)وهو يشير إلى سنة الصبح وسنة المغرب وصلاة الشفع والوتر.

(٢)صوم يوم الجمعة لم ترغب فيه السنة مثلما رغبت في اليوم الذي قبله وهو يوم الخميس منفرداً، وقد ورد في الحديث قوله ﷺ: «لاتصوموا يوم الجمعة إلا وقبله يوم وبعده يوم»[رواه أحمد عن أبي هريرة] وروى النسائي وأحمد من حديث جنادة قوله ﷺ: «لا تصوموا يوم الجمعة مفرداً»

ملاحظات وتقويم:

نشاهد من خلال هذه المواد ثراء غزيراً في الفكر التربوي الإباضي خلال القرآن ٥ه الهجري و الدليل على ذلك هو عندما نقارنه بنظام التربية و التعليم في عصرنا هذا فلا نجد فيه اختلافاً كبيراً بينه وبين المدارس العلمية ذات الإقامة الداخلية للطلبة.

١- الشيخ يمثل المدير العام أو رئيس المؤسسة.

٢- عريف أوقات الدراسة يمثل مدير الدراسات.

٣- عريف الختمات وأوقات النوم يمثل المراقب.

٤- عريف أوقات الطعام يمثل مسؤول المطعم المدرسي.

٥- عريف الدراسة يمثل الأستاذ.

٦- النقيب يمثل المعلم المستخلف.

٧- تلاميذ القرآن يمثلون المرحلة الابتدائية.

٨- طلبة العلوم يمثلون المرحلة الإكمالية

١- العاجزون يمثلون الطلبة ذوى الاحتياجات الخاصة.

٢- منهج الدراسة= الحفظ- الاختبارات- الحوار- القراءة والعرض- المذاكرة - المراجعة- التصحيح - توحيد اللباس - الرحلات المدرسية- تصنيف الطلبة- اختيار الصالحين- العطل المدرسية.

١- تموين عام للمؤسسة و تموين خاص لكل تلميذ.

٢- أوقات يومية وأسبوعية للراحة والاستحمام

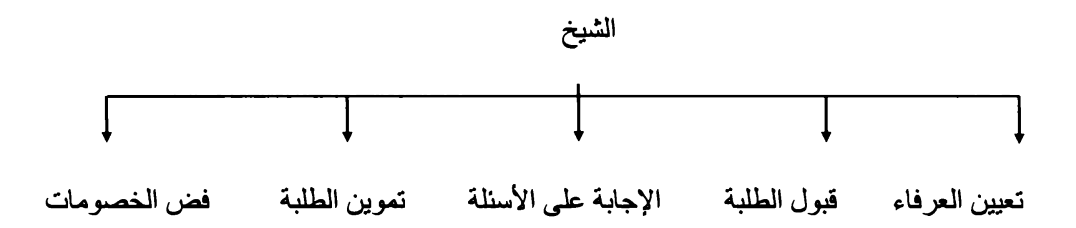
٣- العقوبات = الجلد و التأديب- الخطة- الطرد- الزاوية – الهجران.

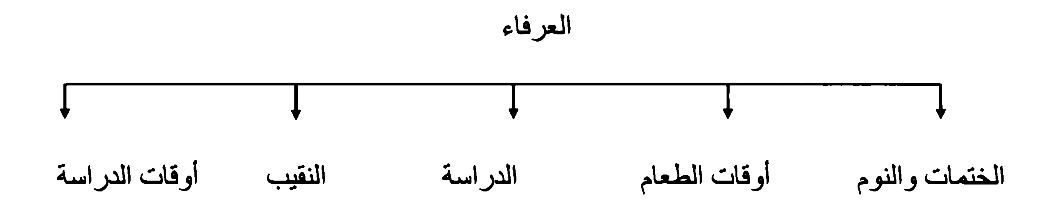
٤- تزكية النفس بالعبادات المختلفة و الوعظ.

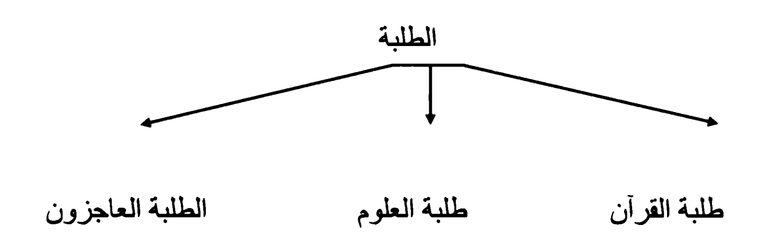
٥- المتابعة الميدانية لأحوال الطلبة.

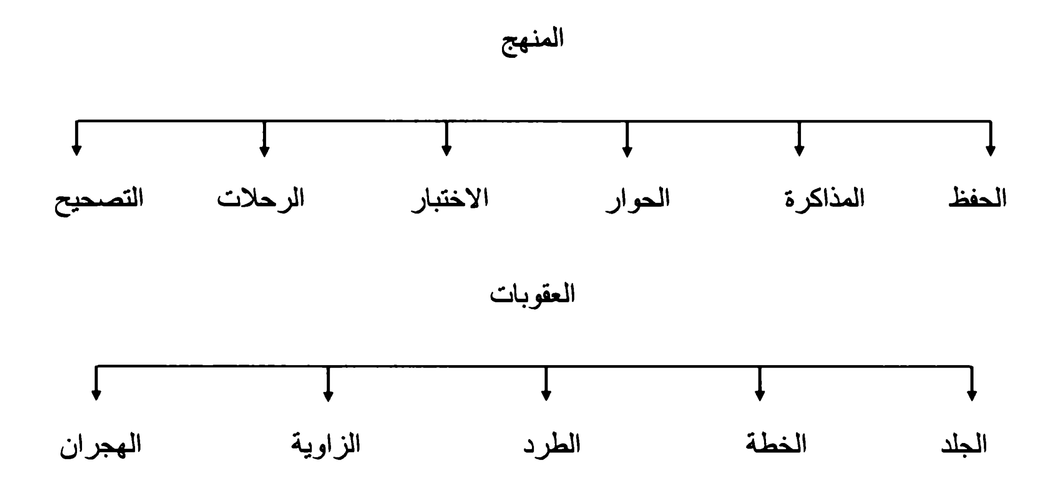
ولعل الملفت للانتباه في هذا النظام هو عدم وجود الجوائز والمحفزات المادية لنجاح الطلبة.بينما العقوبات تكررت في أكثر من ٢٠ مرة، وربما توظيف الطالب في الحلقة كعريف هو الجائزة المحفزة. وربما كان الاعتماد على الثواب الأخروي هو الأهم و الأكمل..

ومما يلفت انتباهنا سادتي العلماء هو عدم تحديد سنوات التعليم، ولم يتعرض لذكر أقسام تعليم البنات، رغم أنها موجودة في مجالس يعقدها الشيخ مع المجتمع النسوي خلال رحلاته المختلفة.كما أن هذا النظام لم يحدد السن الرسمي للدخول المدرسي في البداية.









- **أهمية هذه السيرة:**

لقد توالت دراسات قيمة على هذا النظام لأهميته وآثاره الكريمة في المجتمع الإباضي بشمال إفريقيا نذكر منها:

١- إعادة نقله حرفيا من قبل الشيخ البرادي في كتابه الجواهر المنتقاة في ق ٩ه.

٢- وأما الشيخ أبو عمار عبد الكافي فقد طوره إلى نظام قيادة مجتمع في السير المنسوبةإليه.

٣- بينما الشيخ الدكتور فرحات الجعبيري قدم له دراسة معمقة بعنوان «نظام العزابة عند الإباضية الوهبية بجربة» سنة: ١٩٧٥. ودمج فيه بين النظامين.

٤- وأما الشيخ علي يحي معمر فقد اكتفى بسرد هذا النظام في كتابه الإباضية في موكب التاريخ قسم ليبيا: ج٢ ق٢ ص١٣٧ بعنوان"نظم التربية والتعليم".

٥- وكذلك الدكتور عوض خلفيات الأردني قدم لهذا النظام دراسة بعنوان: «النظم الاجتماعية والتربوية عند الإباضية في شمال إفريقيا في مرحلة الكتمان».

٦- وأما الأستاذ صالح سماوي فقد حلل سيرة العزابة تحليلاً نظرياً وتطبيقياً بعنوان: «العزابة ودورهم في المجتمع الإباضي بميزاب».

٧- وأما الدكتور صالح باجية فقد اكتفى في كتابه: «الإباضية بالجريد» بإعادة ما كتبه الدرجيني في طبقاته.

٨- ونجد الدكتور عبد الرحمن عثمان حجازي قد وفق إلى حد بعيد في عقد مقارنة بين المدارس التربوية في شمال إفريقيا بعنوان: «التربية الإسلامية في القيروان في القرون الهجرية الثلاثة الأولى» وتعرض لتفاصيل هذا النظام رغم أنه جاء بعد هذه القرون ومزج بينه وبين نظام التعليم عند الإمام جابر بين زيد وأبي عبيدة في البصرة.

٩- وأما الشيخ سالم بن يعقوب مؤرخ جربة فقد اكتفى بذكر تأسيس الشيخ أبي عبد الله للحلقة ثم عرج إلى ذكر نظام العزابة في غرداية.في كتابه: « تاريخ جربة وعلمائها»

١٠- وأحسن وأسبق من دوَّن هذا النظام واهتم به هو الشيخ أبو الربيع سليمان بن يخلف المزاتي (ت٤٧١ هـ) تلميذ مؤسس الحلقة في القرون ٥هـ فقد كتب رسالة بعنوان: «السير» شرح فيها أخلاقيات «العزاب العالم والمتعلم» في حلقة أبي عبد الله مما أخذ عن الشيخ أبي عبد الله مباشرة .. وهي على شكل وصايا جليلة رواها عن الصحابة والتابعين في فضل العلم وأهله وغيرهم من أعلام الأمة إضافة إلى ما أورده من آيات قرآنية وأحاديث نبوية وقد جمع فيه ٢١٨ مقولة فيها عظات بليغة وإرشادات تربوية نفيسة لإصلاح النفس وتزكيتها ولزوم الطريقة والثبات عليها(١)ونذكر بعض الأمثلة للتعرف على مضمون الرسالة:

١- لا يصلح العلم لطالبه إلا بعد ثلاثة: العالم النقاد البصير بفنون العلم والكتب الصحاح، وسعة المؤونة، وذهن حاضر(٢).

٢- على العالم أن يعبد الله بكتمان علمه ما لم يحتج إليه، فإذا احتيج إليه فلا يسعه كتمانه، فإن كتمه على أهله فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين(٣).

---

(١) أبو الربيع، السير:٢٩.(المقدمة).

(٢) المصدر السابق:٤٥.

(٣) المصدر السابق:٤٤.

٣- من طمع في الإسلام أن يدركه ومعه أخلاق السوء، كمن طمع أن يجعل الماء في الشبكة وكمن طمع أن يأخذ شاردة وليس معه السلاليق يدورون بها، أو كمن ينظر بإحدى عينيه إلى السماء، وبأخرى إلى الأرض في حالة واحدة، أو كمن يبسط يده إلى السماء أن يبلغها وهو في الأرض[١].

٤- قلب اختلقته الذنوب كجلد احترقته النار لا يعالج ولا يصلح[٢].

٥- وقيل عن عمر بن الخطاب: من حمده ثلاثة فلا شك في صلاحه، من حمده قرابته وجاره وصاحبه في السفر[٣].

٦- إذا أراد الله بعبده خيراً بصره عيوبه وعرفه قدره وجعل خطاياه وذنوبه بين عينيه، ومن أراد به شراً أعماه عن عيوبه وأجهله قدره وأنساه ذنوبه، ورد نظره في عيوب غيره[٤].

٧- إذا كان قوم في منازلهم يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر كانوا في ستر الله وأمانه ماداموا كذلك فمن عصى الله منهم في السر أتته عقوبة من عند الله لا تأخذ معه غيره، ولا يزالون على حالهم ذلك مادام فيهم رجل واحد يأمرهم وينهاهم فإذا استووا وارتفع منهم الأمر والنهي أتتهم عقوبة من عند الله جميعاً، فلا يرتفع عنهم مادام فيهم واحد من أولئك الذين أتتهم بهم العقوبة[٥].

٨- ليست الدنيا فتنة كلها بل منها ما هو محمود ومطلوب، ومن طلب حلالاً ليستر به على نفسه ويتقوى به على طاعة الله ويقدم منه لمعاده ويوم فقره فليس بطالب للدنيا[٦].

---

(١) المصدر السابق:٦٠.

(٢) المصدر السابق:٦٥.

(٣) المصدر السابق:٧٩.

(٤) المصدر السابق:٨٥.

(٥) أبو الربيع، السير:٩٦.

(٦) المصدر السابق:١٠٠.

هـذا هـو نظـام حلقـة العزابـة فـي القـرن ٥هـ بشـمال إفريقيـا فـي بعـض مـن عمومياتـه وخصوصياتـه.

المطلب الثالث:

الأبعاد الحضارية لسيرة حلقة العزابة في المجتمعات المغربية

لا شـك أن نظـام أي مؤسسـة تربويـة أو اجتماعيـة أو ثقافيـة أو اقتصاديـة تعـرف قوتـه وفعالياتـه بالإيجابيـات التـي تركهـا فـي المجتمـع الـذي يطبـق فيـه, وفعـلا لقـد بـرزت آثـار هـذه السيـرة الحميـدة فـي المجتمـع المغاربـي مـن جوانـب مختلفـة نذكـر منهـا:

- **البعد الديني**

لقـد انتشـرت العقيـدة الصحيحـة وامتـد عمرهـا إلـى يومنـا هـذا بسـبب الاهتمـام بهـا داخـل الحلقـة والتركيـز عليهـا فـي جميـع المناسـبات العامـة والخاصـة، قـال أبـو مسـور: «علينـا أن نعـرف أن التوحيـد عبـادة الله وأن الشـرك عبـادة غيـره وأن التوحيـد عـدل والشـرك جـور»[١].

حتـى أصبحـت مـادة أصـول الديـن مـادة أساسـية تـدرس فـي المرحلـة الأخيـرة علـى يـد الشـيخ أبـي عبـد الله محمـد بـن بكـر مؤسـس الحلقـة يقـول الدرجينـي: «وذكـر عـن أبـي يعقـوب شـيخ كان بنفوسـة «أمسـنان» أنـه كان مقصـد المبتدئيـن فـإذا انتضمـوا فـي حلقتـه علمهـم السـير وآداب الصـالحيـن، ثـم ينقلهـم إلـى محمـد بـن سُـدرين فيجـرون قـراءة القـرآن ويتعلمـون اللغـة والإعـراب ثـم ينتقلـون إلـى أبـي عبـد الله بـن بكـر فيعلمهـم أصـول الديـن والفقـه»[٢].

وبـرز فـي التأليـف فـي العقيـدة الشـيخ أبـو الربيـع سـليمان بـن يخلـف المزاتـي فـي كتابـه الـذي رواه عـن الشـيخ أبـي عبـد الله «التحـف المخزونـة فـي إجمـاع الأصـول الشـرعية»[٣]في مجلدين.

وألـف فـي هـذا المجـال أيضـاً الشـيخ أبـو العبـاس أحمـد بـن محمـد بـن بكـر كتـاب: «مسـائل

---

(١) القطب أطفيش، ترتيب المعلقات لأصحابنا:٩.

(٢)الدرجيني، طبقات المشائخ:٢/٢١٨.

(٣)حققه وقدم دراسة عليه الأستاذ: محمود الأندلسي.(مرقون). معجم أعلام الإباضية:٢/٢١٥. رقم:٤٧٢.

التوحيـد»[1].

• البعد الاجتماعي

إن سيرة حلقـة العزابـة تعتبـر مؤسسـة اجتماعيـة لتربيـة الرجـال الذيـن يرعـون القيـم الاجتماعيـة للمجتمـع مثـل: الحيـاء والشـجاعة والصبـر والمثابـرة والبنـاء والصلـح بيـن المتخاصميـن والتوجيـه الاجتماعـي والتنظيـم والانضبـاط والتعـاون علـى البـر والتقـوى والمحبـة والتـزاور.

يـروي أبـو الربيـع المزاتـي عـن أحـد مشـائخه قولـه: «يخـرج الاسـلام مـن الرجـل وهـو يصلـي ويصـوم ويفعـل مـا كان يفعـل قبـل ذلـك مـن خصـال البـر وهـو لا يشـعر إذا كانـت فيـه ثـلاث خصـال:

١ـ فرقة المسلمين بعد صحبتهم.

٢ـ وترك زيارتهم بعد أن كان يزورهم.

٣ـ وإذا استوت عنده حاجة أخيه المسلم مع غيره»[2].

فهو يحرض على اجتماع الكلمة والتزاور وخدمة الجماعة المسلمة.

ويروي أيضاً عنهم قولهم:« إنما ينبغي للمؤمن أن يوجد في ثلاثة مواطن:

١ـ إمـا مسـجد يذكـر الله فيـه، أو يعمـل خيـراً، أو يسـمعه، أو يتعلـم الخيـر، أو يامـر بالخيـر، أو يعلمـه.

٢ـ أو في ضيعته ساعياً لمعاشه.

٣ـ أو في قعر بيته هارباً مما لا يعْنيه مشتغلاً بما يعنيه»[3].

فالشـيخ فـي الحلقـة يحـث النـاس علـى الجـد والعمـل فـي كل مـا فيـه صـلاح الأمـة عـن طريـق المسـجد أو عـن طريـق العمـل الـذي يكتسـب بـه قوتـه أو عـن طريـق منزلـه الـذي يصلـح فيـه أسـرته.

(١)كتاب مخطوط توجد منه نسخة في جربة. معجم أعلام الإباضية:٢/٤٨. رقم:٨٩.

(٢)أبو الربيع، السير:٦١.

(٣)المصدر السابق:٦٨.

والبعد الاجتماعي لهذه السير الحميدة يبرز من حيث ممارسة التوجيه والارشاد للناس في المسجد أو من حيث إصلاح الخصومات على يد الشيخ القاضي أو على يد قاض يعينه الشيخ لأي منطقة من مناطق المجتمع مثل: أبي الحسن[١]الذي عينه الشيخ أبو عبد الله على منطقة بني ورتيزلن قاضياً عادلاً حكيماً[٢].

وكانت امرأة تخدم الطلبة فغاب عنها زوجها فأرسل الشيخ في أثره رجلان إلى طرابلس لتسوية وضعيتها العائلية من فك العصمة الزوجية[٣]أو إثباتها.

ولما تحول مقر الحلقة من الغار إلى المسجد تطور نشاط سير الحلقة من مدرسة علمية إلى مدرسة اجتماعية ترعى شؤون المجتمع الذي تشرف عليه في مختلف الميادين الحضارية لذلك المجتمع.

- **البعد الثقافي**

ومن خلال الرعاية الاجتماعية والتربوية التي تقوم بها الحلقة في المدرسة والمجتمع فإن الثقافة الإسلامية قد تضاعفت في مختلف شرائح المجتمع حيث ينتشر التعاون والتناصح والتزاور ونبذ الفرقة والخصام بين الناس، ونجد التنافس بين الناس في خدمة العلم والعلماء ورعاية الطلبة داخل الحلقة وخارجها.

كما نجد انتشار الحلقات العلمية بين الأحياء والمدن والقرى وتبادل الكتب ونسخها وشرائها وتأليفها واستقدامها من بلاد بعيدة لأن سير الحلقة التي تهذب الطلبة الصغار سوف لا تنفك عنهم فينتشر الوعي الاجتماعي في مجتمعاتهم بفضل الالتزام بها وحمل الناس عليها فيسود الاحترام والرحمة بين الكبار والصغار.

ونجد من مظاهر تطور الوعي الثقافي تنقل الطلبة واستقبال العلماء بين المساجد والحلقات.

---

(١)الدرجيني، طبقات المشائخ:٢/٢٠١.

(٢)جمعية التراث، معجم أعلام الإباضية:٢/١١٦. رقم:١١٣.

(٣)الدرجيني، طبقات المشائخ:٢/١٩٨.

• **البعد التربوي:**

تعتبـر التربيـة بيـت القصيـد فـي سـير أهـل الحلقـة حيـث تتـدرج مـع التلاميـذ فتهتـم بتربيتهـم اهتمامـاً بالغـاً بفضـل القـرآن الكريـم الـذي يصـدّرون بـه مختلـف العلـوم التـي يتلقاهـا التلميـذ داخـل الحلقـة. كمـا أن التدريبـات التـي يأخذهـا التلميـذ أثنـاء الرحـلات المدرسـية تعتبـر مدرسـة تطبيقيـة يسـتفيد منهـا الطلبـة لرعايـة مسـتقبلهم رعايـة واقعيـة صحيحـة.

• **البعد الاقتصادي:**

سـيرة حلقـة العزابـة تحفـز الأغنيـاء علـى الرعايـة الماديـة لمشـائخ الحلقـة والبـذل بسـخاء فـي بنـاء المسـاجد و المـدارس والرباطـات العلميـة لإيـواء الطلبـة الفقـراء والتعـاون فـي أجـور المعلميـن وإكـرام الحلقـة فـي أحيانهـم، فينتشـر بذلـك التعليـم المجانـي بيـن طبقـات المجتمـع.. و يسـتقر الطلبـة فـي مدارسـهم-. وبهـذه الطريقـة تخصـص أوقـاف مـن الغـلال الموسـمية للطلبـة والمعلميـن داخـل المدينـة وخارجهـا.. فينشـط اقتصـاد المدينـة والقريـة بالحركيـة الدائبـة فـي الأسـواق وتنشـط التجـارة والزراعـة فـي تلـك المنطقـة.

الخاتمة

وبعد هذا العرض المقتضب السريع لسيرة حلقة العزابة يتبين للقارئ الكريم ثلاثة أشياء:

١- السيرة الحميدة في حلقة العزابة هي رعاية المجتمع وتكوينه ماديا وأدبيا.

٢- التاريخ الصحيح لا يؤخذ إلا من المؤرخين الصادقين.

٣- السـير المغربيـة مازالـت فـي حاجـة إلـى دراسـات متأنيـة لاسـتثمارها واسـتخلاص العبـر منهـا حتـى نسـتفيد منهـا قواعـد تفيدنـا فـي عصرنـا هـذا مـع غيرهـا مـن تجـارب المخلصيـن.

وفـي الختـام لا يسـعني إلا أن أتقـدم بالشـكر الجزيـل والثنـاء الجميـل لجميـع مـن فكـر ونظـم وجمـع فأوعـى السـامعين بالمحاضـرات التـي سـمعناها خـلال هـذه الأيـام والله لا يضـع أجـر المحسـنين والسـلام عليكـم ورحمـة الله تعالـى وبـركاتـه.

المصادر والمراجع

١- أبو العباس بن أحمد بن سعيد الدرجيني، طبقات المشائخ بالمغرب

ت: إبراهيم محمد طلاي ط٢الجزائر٢٠٠٨م.

٢- صالح باجية، الإباضية بالجريد ط١ دار بوسلامة.

٣- محمد بن يوسف أطفيش، ترتيب المعلقات ط١ المطبعة البارونيةمصر١٩٢٦

٤- علي يحي معمر، الإباضية في موكب التاريخ: ج١،ق٢،ط١ مطبعة الاستقلال الكبرى القاهرة ،١٩٦٤

٥- أبو القاسم بن إبراهيم البرادي، الجواهر المنتقاة فيما أخل به كتاب الطبقات ت: أحمد بن سعود السيابي ط١، دار الحكمة لندن ، ٢٠١٤م.

٦- أبو الربيع سليمان بن يخلف المزاتي، كتاب السير، ت: ح سعيد مسعود ،ط٢،مكتبة الضامري سلطنة عمان،١٩٩٣م.

٧- د/عبد الرحمن عثمان حجازي، التربية الإسلامية في القيروان في القرون الهجرية الثلاثة الأولى ،ط١،المكتبة العصرية ،بيروت،١٩٩٧م.

٨- الشيخ سالم بن يعقوب، تاريخ جربة وعلمائها ط٣، نشر د/ ناجي بن يعقوب،تونس٢٠١٣

٩- د/ فرحات بن علي الجعبيري: نظام العزابة عند الإباضية الوهبية في جربة، ط١، المطبعة العصرية، تونس ١٩٧٥.

١٠- صالح بن عمر سماوي، العزابة ودورهم في المجتمع الإباضي بميزاب ط١،نشر جمعية التراث ،المطبعة العربية،غرداية -الجزائر ٢٠٠٥

١١- جمعية التراث، معجم أعلام الإباضية ، ط١، المطبعة العربية ،غرداية،١٩٩٩

١٢- فرحات بن علي الجعبيري، شخصيات إباضية، ط١،مكتبة الضامري، سلطنة عمان, ٢٠١٠.

١٣- سليمان بن يخلف المزاتي، التحف المخزونة. ت: محمود الأندلسي. رسالة دكتوراه مرقونة عند الشيخ فرحات الجعبيري.

١٤- أبو زكرياء يحي بن أبي بكر الوارجلاني، كتاب السيرة وأخبار الأئمة. ت: عبد الرحمن أيوب. نشر الدار التونسية. تونس ١٩٨٥م.

١٥- أبو الربيع سليمان بن عبد السلام الوسياني، سير الوسياني. ت: د/ عمر سليماني بوعصبانة. نشر وزارة التراث والثقافة. مسقط عمان. ط ١. ٢٠٠٩م.

١٦- أبو عمار عبد الكافي الوارجلاني، سير أبي عمار. ت: مسعود مزهودي. ط ١. مكتبة الضامري. سلطنة عمان.

١٧- ابن منظور، لسان العرب. دار الفكر. ط ١. ١٩٩٠م.

الإسنادُ الدّينيُّ (نسبُ الدين)عند الإباضية بالمغرب
قراءةٌ وصفيةٌ تحليليةٌ

بشير بن موسى الحاج موسى
أستاذ وباحث بمؤسسة عمي سعيد بغرداية/ الجزائر
Hmbachir73@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

يتطرق البحث إلى التعريف بنمط خاص من الكتابة التاريخية، يُعرف في الثقافة الإباضية بالمغرب بنسب الدين، وهي أعمال تتعلق بالتاريخ الديني الذي يهتم بحملة العلم، وتُعنى أساسا بتوثيق عملية رواية العلم والدين طبقة عن طبقة عن طريق الإسناد المتصل في كل زمان ومكان من لدن المتعلم الراوي إلى مصدر الوحي والرسالة محمد. فهي من هذا الجانب تندرج ضمن علم الرجال والطبقات، وهي ضرب من السير الإباضية.

ومما تتميز به هذه الأعمال إسهامها في إبراز جوانب دقيقة من تاريخ بعض الأقاليم والمناطق المستقلة جغرافيا والمتصلة ثقافيا ومذهبيا، بالإضافة إلى ما تفيده بصفة أساسية من سلسلة العلماء المدرسين والطلبة المتعلمين الآخذين عنهم، وهو ما يُعبر عنه بالإسناد.

ويغطي البحث ما كُتب بصفة خاصة عند الإباضية بالمغرب، وهو يتعلق بالمناطق التالية مرتبة بحسب التواجد الإباضي فيها زمنيا: أريغ وورجلان بالجزائر، ثم جربة والجريد بتونس، ثم طرابلس ونفوسة بليبيا، ثم وادي مزاب بالجزائر،.. .

ويعالج البحث بعون الله جوانب الموضوع وفق الخطة التالية:

المبحث ١: لمحة عن الإسناد والإجازة في التراث الإسلامي

- امتياز المنظومة التعليمية الإسلامية بنظام الإجازة.
  - التأليف في أدب الإجازة وتراثها.
  - نماذج معاصرة من الإجازة عند الإباضية بالمغرب.
- الإسناد وأهميته في تصحيح العلوم وتوثيقها.
  - علم الإسناد مبدؤه وأهميته.
  - علم الإسناد الحديثي.
  - أهمية الإسناد في تصحيح المرويات.

المبحث٢: الإسناد في التراث الإباضي

- مدخل.
- التعريف بنسب الدين واهتمام علماء الإباضية به.
- خصائص نسب الدين عند الإباضية.
  - الارتكاز على العلم.
  - نظافة السند وقربه.
  - الإذن من الشيخ بالإسناد إليه.
- نبذة عن نسب الدين عند العمانيين.
- الفرق بين الإسناد الحديثي والنسب الديني.

المبحث٣: نسب الدين عند الإباضية بالمغرب

- عرض المؤلفات التي عنيت بنسب الدين عند الإباضية بالمغرب

١. نسب الدين المروي عن أبي عمرو عثمان بن خليفة السوفي (ق٦هـ).

٢. نسب الدين لمقرن بن محمد البغطوري النفوسي (حي في ٥٩٩هـ).

٣. نسب الدين لخليفة وسعيد النفوسيين (ق٨هـ).

٤. نسب الدين لأبي مهدي عيسى بن إسماعيل المليكي (ت:٩٧١هـ).

٥. نسب الدين لمحمد بن زكرياء الباروني (ت:٩٩٧هـ).

٦. نسب الدين لسليمان بن أحمد الحيلاتي (ت:١٠٩٩هـ).

٧. نسب الدين لأبي القاسم بن يحي المصعبي الغرداوي (ت:١١٠٢هـ).

٨. عمل الشيخ امحمد بن يوسف اطفيش (ت:١٣٣٢هـ).

٩. نسب الدين لأبي اليقظان إبراهيم بن عيسى المزابي (ت:١٣٩٤هـ).

١٠. عمل الأستاذ ج أحمد بن حمو كروم (معاصر).

• ملاحظات

- السلسلة الجامعة (=الإسناد الجامع) لطرق نسب الدين عند الإباضية بالمغرب.

- خاتمة: نتائج وتوصيات

• المبحث الأول: لمحة عن الإسناد والإجازة في التراث الإسلامي

امتياز المنظومة التعليمية الإسلامية بنظام الإجازة:

تمتاز المنظومة التعليمية في التراث الإسلامي من جانب رواية العلم وتوريثِه بمنهج توثيقي فريد، ينبني على دعامتين أساسيتين هما: الإسناد والإجازة.

أما الإسناد فبضبط سلسلة الأشخاص الذين يشكّلون الطريق الذي يتم من خلاله تلقي علم معين، سواء كان ذلك قراءة قرآنية أوحديثا نبويا أو كتابا في بعض العلوم والمعارف، أو خبرا من سائر الأخبار.

أما الإجازة فتتمثل في الإذن بنقل العلم إلى الآخرين، أو هي الإذن بالرواية، سواء كانت رواية حديث أم رواية كتاب، وأعلى صورها الإذن بالإفتاء والتدريس، وهي في هذه الصورة تقترن بمعنى مضاف للمُجاز هو التفويض عند إطلاق الإجازة.فالإجازة في المنظومة التعليمية الأصيلة هي المعيار الرئيسي الذي من خلاله يُقرّ المدرس أن تلميذه أصبح قادرًا على الجلوس للتدريس في حلقة مستقلة، ولقسمٍ معين من أقسام العلوم المختلفة(١).

وقد وردت في التراث الإسلامي أنواع من الإجازة، منها ما يكون شفويا، ومنها ما يكون كتابيا، كما قد تكون الإجازة بإعطاء الشيخ كتبه أو بعضها لتلميذه، مؤكدًا له على أنها بخط يده، مخبرا باسم الشيخ الذي نقل عنه، وأخذ منه هذا العلم، ثم يُجيزه تلميذه لإعطانه للآخرين.

وقد تكون الإجازة مقيدة خاصة، كالإجازة برواية أحاديث معينة بسندها، أو الإجازة برواية كتاب معين أو تدريسه، وقد تكون الإجازة مطلقة عامة، كالإجازة بالتدريس والإفتاء.

ومن أمثلة الإجازة الشفوية ما روي عن الشيخ أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة

---

(١) د/ راغب السرجاني، الإجازة سبق إسلامي وتقليد غربي، ص: ٠١، (مقال منشور في الموقع الالكتروني: «قصة الإسلام»).

(ت حوالي: ١٤٥هـ)[١] صاحب مدرسة السرداب بالبصرة إجازته مجموعة من تلاميذه المغاربة، بناء على ما تفرس في كلّ واحد منهم بعد سنوات من الاختبار ما أكسبه معرفة بمؤهلاتهم ومداركهم. فقال لتلميذه عبد الرحمن بن رستم[٢]: «أفت بما سمعت وما لم تسمع»، فهذا من الإجازة المطلقة العامة، وقال لتلميذه أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري[٣]: «أفت بما سمعت مني»[٤]، وهذا من الإجازة المقيدة الخاصة.

ومن أمثلة الإجازة الخاصة ما أُثر عن الإمام أحمد بن حنبل(ت: ٢٤١هـ) إجازته لابنه عبد الله؛ حيث روى عنه المسند ثلاثين ألفا، والتفسير مائة ألف حديث وعشرين ألفا، ونُقل أن الإمام محمد بن شهاب الزهري (ت:١٢٤هـ) أجاز لابن جريج (ت:١٥٠هـ) رواية ما حدثه به لغيره[٥].

ومن أنواع الإجازات في تاريخ الحضارة الإسلامية ما عُرف من الإجازات القرآنية، وهي شهادة من الشيخ المجيز لطالبه بأنه قد قرأ عليه القرآن كاملا غيْباً مع التجويد والإتقان والتفريق بين المتشابهات، على إحدى القراءات السبع أو عليها جميعا، أو على القراءات العشر، وأنه بذلك أصبح مؤهلا لإقراء غيره، وبهذه الإجازة يكون الطالب المجاز متصل السند بالنبيء، ضمن سلسلة الناقلين للقرآن بالسند المتصل.

واعتبارا لعظم مسؤولية المفتي والمدرس فإن بعض الطلبة عندما لا يكون معهم من

(١) أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميميّ بالولاء، سياسيٌّ محنّك، وعالم جليل، عرفت الإباضيّة على يديه أكبر إنجازاتها السياسية في المشرق والمغرب. أخذ العلم عن الإمام جابر بن زيد الأزدي، وروى عن الكثير من الصحابة، كما أخذ عن صحار بن العبّاس الصحابيّ العمانيّ، وعن جعفر بن السمّاك. وطّن نفسه على التعلم والتعليم، وتعرّض لسجن الحجّاج بن يوسف الثقفي، وبعد موته سنة ٩٥هـ/٧١٣م، أفرج عنه ليعود إلى نشاطه العلميّ والدعويّ، فتولّى إمامة الإباضيّة بعد جابر بن زيد الذي توفّي سنة ٩٣هـ/٧١١م. أنكر أيّ عمل مباشر ضدّ الدولة الأمويّة، وشكّل شبه حكومة سرّيّة، تولّى فيها بنفسه مهامّ شؤون الدين والدعوة، وعنه تخرّج مشاهير أيمّة الإباضيّة ودعاتها، من حملة العلم إلى المشرق وإلى المغرب. وله ثار علمية (ينظر: معجم أعلام الإباضية، قسم المغرب، الترجمة:٨٩١).

(٢)ت: ١٧١هـ/ ٧٨٧م، وأصله من القيروان بتونس، تنظر ترجمته في: معجم أعلام الإباضية، قسم المغرب، الترجمة:٤٥٥.

(٣)ت: ١٤٤هـ/ ٧٦١م، وأصله من اليمن، تنظر ترجمته في: ن م، الترجمة:٥٣٤.

(٤) الشماخي، أحمد بن سعيد، كتاب السير، ص: ١٤٤.

(٥) د/ راغب السرجاني، الإجازة سبق إسلامي وتقليد غربي، ص: ٠١. وجاء فيه أن من نوادر أخبار الإجازة ما روي أن مرضعة الإمام الذهبي (ت: ٧٤٨هـ) حصلت على الإجازة من مشايخها: ابن أبي اليسر، وجمال الدين بن مالك، وزهير بن عمر الزرعي، وجماعة آخرين، وسمعت من عمر بن القواس وغيره، وروى الذهبي عنها.

القدرات والكفاءة ما يؤهلهم للتصدي للفتوى والتدريس قد يضطر ذلك مدرسيهم لأن يمنعوهم من خوض غمار ذلك، صونا للعلم وحفظا لشريعة الله، وإن كان ذلك قليل النقل إلا أنه يدل على مستوى التحري في نقل أمانة الدين والعلم عبر الأجيال. ومن ذلك ما وروي عن أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة أنه قال لتلميذه أبي داود القبلّي[1]: «لا تفت بما سمعت مني ولا ما لم تسمع»[2].

• التأليف في أدب الإجازة وتراثها:

راجت الإجازة واستقر تداولها بشكل واسع عند علماء الأندلس بصفة خاصة، إلى درجة إبداع التأليف فيها وفي متعلقاتها، حيث اشتهر عندهم ما يُعرف بكتب البرامج، مفردها البرنامج، وهو كتاب يسجِّل فيه العالم ما قرأه من مؤلفات في مختلف العلوم، ذاكراً عنوان الكتاب، واسم مؤلفه، والشيخ الذي قرأه عليه، أو تحمّله عنه، وسنده إلى مؤلفه الأول. ونظرا لتعدد طرق تأليف هذه البرامج فقد عُرفت بأسماء أخرى بحسب منهجية كل مؤلف في تأليفه وطبيعة مادة التأليف، فمن أسمائها: المعجم، والمشيخة، والثبت، والفهرس، والسند. وقد يتولى تصنيف البرنامج غير صاحبه، ومثاله:

- محمد بن عبّاد الأندلسي (ت٦٠٣هـ) الذي ألّف في مشيخة أبيه مجموعاً مرتباً على حروف المعجم.

- أبو القاسم ابن الشاط الأنصاري (ت٧٢٣هـ) الذي دوّن برنامج شيخه أبي الحسين، ابن أبي الربيع القرشي[3].

إن السمة الغالبة على كتب البرامج أن مصنفيها لم يلتزموا منهجاً واحداً في تأليفها وترتيب مادتها، وقد أوجزت الباحثة د/ هناء دويْدري منهج تبويبها في أربع صور:

- التبويب بحسب الكتب التي قرأها صاحبه ورواها.

- التبويب بحسب الشيوخ الذين وقع الأخذ عنهم.

---

(١) حي في: ١٤٠هـ/ ٧٥٧م، وأصله من مدينة «قِبلّي» في جنوب تونس، تنظر ترجمته في: معجم أعلام الإباضية، قسم المغرب، الترجمة:٣٠٣.

(٢) الشماخي، أحمد بن سعيد، كتاب السير، ص: ١٤٤.

(٣) د/ هناء دويْدري، السّند العلمي في كتب برامج العلماء في الأندلس، ص: ٠١، (مقال منشور في الموقع الالكتروني: «شبكة سحاب السلفية»).

- المزج في البرنامج بين الطريقتين الآنفتي الذكر.

- الإكثار من الاستطراد بذكر حكايات وطرف وأشعار(١).

كما عقد القلقشندي (ت: ٨٢١هـ) في كتابه «صبح الأعشى في صناعة الإنشاء» حيزا خاصا لنصوص الإجازات بالفتيا والتدريس والرواية(٢) وعراضات الكتب(٣)، على أنه ضرب متعارف عليه من ضروب الإنشاء العربي ونوع شهير من آدابه، حيث حشر فيه نماذج من تلك النصوص، وقد كان اختياره لها لموافقتها الصنعة العربية وجريها على أسلوب البلاغة(٤).

ومن ذلك نص الإجازة التي أخذها من أستاذه ابن الملقن الشافعي، قال القلقشندي: «هذه نسخة إجازة بالفتيا والتدريس على مذهب الإمام الشافعي... كُتبت لي حين أجازني شيخنا العلامة سراج الدين أبو حفص عمر بن أبي الحسن الشهير بابن الملقن... عند قدومه الإسكندرية وأنا مقيم به في شهور سنة ٧٧٨هـ، وكتب لي بذلك القاضي تاج الدين بن غنوم موقع الحكم العزيز بالإسكندرية في درج ورق شامي في قطع الشامي الكامل، وسنّي يومئذ إحدى وعشرون سنة، فضلا من الله ونعمة»، ثم ساق نصها بالكامل وهي في قدر أربع صفحات.

وممّا جاء فيها أن الشيخ أبا حفص عمر بن أبي الحسن الشهير بابن الملقن أذن وأجاز لتلميذه القلقشندي أن يدرّس مذهب الإمام الشافعيّ، وأن يُقرئ ما شاء من الكتب المصنّفة فيه، وأن يفيد ذلك لطالبيه، حيث حلّ وأقام، كيفما شاء متى شاء وأين شاء، وأن يفتي من قصد استفتاءه خطّا ولفظا، على مقتضى مذهبه الشريف المشار إليه، لعلمه وديانته وأمانته، ومعرفته ودرايته، وأهليّته لذلك وكفايته. وخُتمت الإجازة بعبارة: «فليتلقّ -أيده الله تعالى- هذه الحلّة الشريفة، وليترقّ

---

(١) د/ هناء دويْدري، م س، كله. وقد ساقت في بحثها نماذج من البرامج في كل تبويب فليرجع إليه.

(٢) قال القلقشندي: «جرت العادة أنه إذا تأهل بعض أهل العلم للفتيا والتدريس أن يأذن له شيخه في أن يفتي ويُدرّس، ويكتب له بذلك. وجرت العادة أن يكون ما يُكتب في الغالب في قطع عريض إما في فرخة الشامي أو نحوها من البلدي، وتكون الكتابة بقلم الرقاع أسطرا متوالية، بين كل سطرين نحو أصبع عرض»، (صبح الأعشى، ٣٢٢/١٤).

(٣) قال القلقشندي: «جرت العادة أن بعض الطلبة إذا حفظ كتابا في الفقه أو أصول الفقه أو النحو أو غير ذلك من الفنون يعرضه على مشايخ العصر، فيقطع الشيخ المعروض عليه ذلك الكتاب ويفتح منه أبوابا ومواضع يستقرئه إياها من أي مكان اتفق، فإن مضى فيها من غير توقف ولا تلعثم استدلّ بحفظه تلك المواضع على حفظه لجميع الكتاب، وكتب له بذلك كلٌّ من عُرض عليه في ورق مربع صغير، يأتي كلّ منهم بقدر ما عنده من الملكة في الإنشاء وما يناسب ذلك المقام من براعة الاستهلال ونحوها»، (صبح الأعشى، ٣٢٧/١٤).

(٤) القلقشندي: أبو العباس أحمد بن علي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ٣٢٧/١٤.

بفضـل الله تعالـى ذروة هـذه المرتبـة المنيفـة، وليعلـم قـدر مـا أنعـم الله تعالـى عليـه، وأسـدى مـن الإحسـان الوافـر إليـه، وليراقبـه مراقبـة مـن يعلـم اطّلاعـه علـى خائنـة الأعيـن ومـا تخفـي الصـدور، وليعاملـه معاملـة مـن يتحقّق أنـه يعلـم مـا يخفيـه العبـد ومـا يبديـه فـي الـورود والصّـدور، ولا يسـتنكف أن يقـول فيمـا لا يعلـم: لا أعلـم»[1].

لقـد عرفـت الحضـارة الإسـلامية طريقـة الإجـازة منـذ فتـرة مبكـرة جـدًّا، ... علـى أنـه نـوع مـن أنـواع الثقـة المتبادلـة بيـن الأسـاتذة وتلاميذهـم، ثـم تحولـت بالزمـن إلـى تقليـد علمـي يُلتـزم بـه لـدى حلقـات العلـم ومعاهـده ويتنافس علـى نيلـه الطلبـة مـن أبـرز العلمـاء وكبـار المدرسـين. ولذلـك مـا خـلا عصـر مـن العصـور الإسـلامية المتفاوتـة إلا ووجدنـا الإجـازة شـرطًا مـن الشـروط المهمّـة فـي تعيين أحـد العلمـاء فـي منصـب مـن المناصـب الحساسـة فـي الدولة[2].قـال د/ راغـب السـرجاني: «والإجـازة فـي حقيقـة الأمـر إضافـة إسـلامية مهمّـة فـي مسـار الحضـارة الإنسـانية عبـر آلاف السـنين؛ إذ إنهـا بمنزلـة الشـهادة الموثّقـة التـي يحصـل عليهـا طـلاب العلـم الآن.ومـن هنـا، نـدرك أن «الإجـازة» كانـت سـبقًا إسـلاميًّا فريـدًا فـي مسـيرة الإنسـانية كلهـا، فقـد سـبقت كبـرى الكليـات والجامعـات الأوربيـة بمـا يزيـد علـى عشـرة قـرون كاملـة؛ ممـا يُدلـل علـى عظمـة الحضـارة الإسـلامية فـي هـذا الشـأن، وإضافتها لشيء تنظيمي جديد، لطالما سارت جميع الأمم على نهجه حتى يومنا هذا»[3].

• نماذج معاصرة من الإجازة عند الإباضية بالمغرب:

وبمـا أن مجـال البحـث هـو المجموعـة الإباضيـة بالمغـرب فـلا مانـع مـن إيـراد بعـض الشـواهد علـى اعتمـاد نظـام الإجـازة عندهـا وبصفـة أخـص عند علمـاء الإباضيـة بـوادي مـزاب جنـوب الجزائـر، فهـي لا تـزال مـن التقاليـد العلميـة السـارية المفعـول وبالأخـص فـي الأطـر التعليميـة الأصيلـة، فمـن ذلـك:

(١)القلقشندي، م س، ١٤/٣٢٥.

(٢) د/ راغب السرجاني، الإجازة سبق إسلامي وتقليد غربي، ص: ٠١، بتصرف وإثراء.

(٣)د/ راغب السرجاني، الإجازة سبق إسلامي وتقليد غربي، ص: ٠٢.

١/ إجازة للتعليم:

وهـي شـهادة منحهـا الشـيخ إبراهيـم بـن عمـر بيوض(ت:١٤٠١هـ/١٩٨١م) لتلميـذه حمـو بـن عمـر فخّار(ت:١٤٢٦هـ /٢٠٠٥م)، وممـا جـاء فيهـا: «...وبعـد فـإن تلميذنـا النجيـب السـيد فخـار حمـو بـن عمـر قـد حفـظ عنـا كتـاب الله أداء ورسـما، وحـذق قواعـد الفقـه الإسـلامي فـي العبـادات والمعامـلات، ودرس قواعـد اللغـة العربيـة مـن نحـو وصـرف واشـتقاق، وتـأدب بـالآداب الإسـلامية، فكان حسـن السـيرة صـافـي الطويـة، وقـد أجزنـاه أن يعلّـم أولاد المسـلمين كتـاب ربهـم وأصـول دينهـم وقواعـد لغتهـم، أخـذ الله بيـده ووفقـه إنـه سـميع مجيـب. كتبـه بغردايـة غـرّة رجـب ١٣٧٣هـ الفقيـر إلـى ربـه الغنـي خـادم العلـم وأهلـه: بيـوض إبراهيـم بـن عمـر»[١].

٢/ إجازة على تأليف:

وهـي شـهادة منحهـا الشـيخ محمـد بـن سـليمان مطهـري(ت:١٤١٩هـ/١٩٩٨م) لتلميـذه سـليمان بـن باسـه بامـون (معاصـر)، إقـرارا لـه علـى تأليفـه منظومـة «معـراج المجتهـد» فـي فنـي التجويـد والقـراءة علـى حـرف ورش، وممـا جـاء فيهـا: «...أمـا بعـد فقـد حضـر لـدي الحسـيب النسـيب الأديـب المجتهـد اللبيـب ليلـة ٢١ جمـادى الثانيـة ١٤١١هـ يوافقـه ٠٧ ينايـر ١٩٩١م الابـن البـار والأخ الكريـم المقرئ الحـاج سـليمان بـن الحـاج باسـه مـن آل بامـون بمليكـة، وقـرأ علـيّ أرجوزتـه المسـماة (معـراج المجتهـد) فـي فنـي التجويـد والقـراءة علـى حـرف ورش قـراءة فهـم وضبـط وإتقـان، وهـي مـن نظمـه، وحمدتـه علـى تلـك الصناعـة الأدبيـة وأجزتـه عليهـا، فهـي مـن المهمـات فـي الشـأن، أرجـو الله أن ينفـع بهـا كل المسـلمين ويجـزل لـه الأجـر والثـواب. وكتبـه الفقيـر إلـى الله الحـاج محمـد بـن الحـاج سـليمان المطهـري...»[٢].

• الإسناد وأهميته في تصحيح العلوم وتوثيقها

مـن قرائـن نظـام الإجـازة فـي تاريـخ الحضـارة الإسـلامية الإسـناد، فالكثيـر مـن الإجـازات تقتـرن بالإسـناد الـذي انتقـل العلـم عـن طريقـه إلـى الشـيخ المجيـز، فنجـد الإسـناد حاضـرا فـي كل مـن:

(١) حمو بن عمر فخار، كان حديثا حسنا، ص:٩٢، ٩٣.

(٢) سليمان بن ج باسه بامون، منظومة معراج المجتهد، ص: ٠٢.

- إجازات رواية الأحاديث.

- إجازات رواية الكتب وإقرائها.

- إجازات رواية القراءات القرآنية.

وقد تعمق المحدثون في مجال الإسناد أكثر من غيرهم، وجعلوا منه علما قائما بذاته، كما شهد خدمات جليلة وتعزّز بتصانيف ومؤلفات تجلّي دقائقه، خدمة للسنة وسعيا لتنقيتها مما داخلها وشابها من الدس والوضع.

- **علم الإسناد مبدؤه وأهميته**

لم تكن كتابة غير القرآن أمرا مسموحا به في أول الإسلام، فقد ثبت منع الرسول ﷺ من كتابة بعض الروايات، وجاء عنه ﷺ أنه قال: «لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه»[١].

وجاء عن أبي سعيد الخدري أنه قال: «جهدنا بالنبي ﷺ أن يأذن لنا في الكتاب فأبى»[٢]، وعنه أيضاً أنه قال: «ما كنا نكتب غير التشهد والقرآن»[٣].

وعن أبي هريرة: «خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نكتب الأحاديث، فقال: ما هذا الذي تكتبون؟ قلنا: أحاديث نسمعها منك. قال: كتاب غير كتاب الله!، أتدرون ما ضلّ الأمم قبلكم إلا بما اكتتبوا من الكتب مع كتاب الله تعالى»[٤].

واستمر هذا الموقف المعارض لتدوين الروايات والأخبار إلى عهد الصحابة، فقد رُوِيَ عن أبي بكر الصديق أنه جمع الناس فقال: «إنكم تحدثون عن رسول الله ﷺ أحاديث تختلفون فيها، والناس من بعدكم أشد اختلافاً، فلا تحدثوا عن رسول الله شيئا، فمن سألكم فقولوا: بيننا وبينكم

(١)رواه مسلم في صحيحه، رقم: ٥٤٦٠؛ والخطيب البغدادي في تقييد العلم، رقم: ٠٤.

(٢)رواه الرامهرمزي في «المحدث الفاصل بين الراوي والواعي»، رقم: ٣٠٣.

(٣)رواه أبو داود في سننه، رقم: ٣٢١٧. والخطيب البغدادي بنحوه في تقييد العلم، رقم: ١٣٥.

(٤) رواه الخطيب البغدادي في تقييد العلم، رقم: ١٣.

كتاب الله، فاستحلوا حلاله، وحرموا حرامه»[1].

وروي عن عمر بن الخطاب أنه طفق يستخير الله شهراً، ثم قال: «إني كنت أريد أن أكتب السنن، وإني ذكرت قوماً قبلكم كتبوا كتباً فأكبّوا عليها وتركوا كتاب الله، وإني والله لا أشوب كتاب الله بشيء أبداً»، ثم كتب في الأمصار «من كان عنده شيء من الروايات فليمحه»، وروي عنه أنه أحرق مجموعة من الروايات وقال: «مثناة كمثناة أهل الكتاب؟»[2].

بل قد وصل به الاحتياط في منع الحديث إلى درجة حبس مجموعة من كبار الصحابة لإكثارهم من التحديث، فقد روي أنه بعث إلى عبدالله بن مسعود وأبي الدرداء وأبي مسعود الأنصاري، فقال لهم: «ما هذا الحديث الذي تكثرون عن رسول الله ﷺ؟»، فحبسهم بالمدينة حتى استشهد[3].

وبالمقابل يذهب بعض الباحثين إلى عدم التسليم بهذا، كما هو رأي د/ نور الدين عتر في كتابه «منهج النقد في علوم الحديث»، حيث يرى أن النبي ﷺ صحّ عنه أنه أذن بكتابة الحديث لكن الكتابة التي لا تتّخذ طابع التدوين العام، أي لا تُتخذ مرجعا يُتداول بين الصحابة، ولذلك لم يأمر ﷺ أحدا بكتابة الحديث كما أمر بكتابة القرآن، وإنما أذن لأفذاذ من الصحابة بذلك، ثم إنهم لم يكونوا يتداولون تلك الصحف من الحديث ولو يوجد في شيء من الروايات أن أحدا منهم فعل ذلك، وإنما كانت تلك الصحف في أيديهم بمثابة المذكرات. فلما انتشر علم القرآن وكثر حفاظه وقراؤه وأمِن الناس من أن يلتبس بالقرآن غيره أقبلت الأمة على تدوين الحديث تدوينا اتخذ صبغة العموم، وتداولت صحفه المكتوبة، وذلك بأمر من الخليفة عمر بن عبد العزيز (ت:١٠١هـ).

وقال د/ عتر: «إن إنكار تقييد الحديث في عهد النبي ﷺ لا يمكن أن يتأتى ممن يتحاكم إلى الإنصاف ويسلك نهج العلم، فإن روايات كتابته قد تعددت بالأسانيد الموثوقة الكثيرة جدا في مختلف مراجع السنة، مما يبلغ بها درجة التواتر الذي يقطع من يطلع عليه من العلماء ويتحقق

(١) الذهبي، تذكرة الحفاظ، ٩/١، وقال إنه من مراسيل ابن أبي مليكة.

(٢) روى ذلك ابن سعد في الطبقات الكبرى، رقم: ٥٧٩٣.

(٣) روى ذلك الطبراني في المعجم الأوسط، رقم: ٣٥٨٣؛ والخطيب البغدادي في شرف أصحاب الحديث، رقم: ١٨٢.

وقوع الكتابة للحديث في عهد النبي ﷺ.

أما تقييد العلم في عصر عمر بن عبد العزيز فليس يعني أبدا أنه لم يُدوّن من قبلُ، غاية الأمر أن هذا الخليفة العادل وجد كثيرا من العلماء يحجم عنه، كما أنهم لم يكونوا يتداولون الكتب ليعتمدوا عليها، فأصدر أمره بكتابة الحديث لينتقل بالعلم إلى التدوين العام، الذي يعتمد مع الحفظ على الكتابة، ويجعل الكتابة مرجعا متداولا معتمَدا لا يختص بصاحبه فقط...» [1].

وبين هذا وذاك نرى أن ما ثبت من نهي النبي ﷺ عن كتابة غير القرآن وما نُقل من استمرار نفس الموقف إلى عهد الخليفة عمر بن الخطاب..إنما يرجع إلى سدّ الذرائع المؤدية إلى تقديس غير القرآن، كما نُقل عن الخطيب أن كراهة الكتاب من الصدر الأول إنما هي لئلا يُضاهى بكتاب الله تعالى غيره، أو يُشتغل عن القرآن بسواه[2].

ومن استقراء تاريخ تدوين السنة ندرك أن المحذور الذي كان يخشاه النبي ﷺ وقعت فيه مجموعة من الأمة فعلا، وتأثر تبعا لذلك فكر الأمة وسلوكها، وذلك من جانبين:

١- توظيف الرواية لأغراض دنيئة غير مشروعة

بعد انقضاء عهد عمر بن الخطاب ونتيجة لظهور الفتنة في آخر أيام الخليفة الثالث ركبت الأحزاب المتصارعة موج الرواية متخذة منها سلاحا لمواجهة الخصوم، فكانت الكثير من المرويات الحديثية للأسف في خدمة المذاهب والتوجهات السياسية. وكانت الكثير من الفرق تطلب النص الذي يؤيد موقفها ضد الآخر، فتضخمت بذلك نصوص السنة تضخماً رهيباً كان للسلطة فيه الدور الأكبر، وكان وراء عملية التضخيم هذه مجموعة من الرواة العوام الذين لم يتمرسوا الفقه ومبادئه قاموا بجمع الروايات وحشوها في مصنفات ضخمة فعرفوا بالحشوية. ونتيجة لإفراطهم في جمع وتخبيش الروايات تعارف الناس على تسميتهم بـ «أهل الحديث»[3].

ومن ذلك تساهل الكثير من الرواة الذين يُعرفون بالقصاص في وضع الأحاديث ودسها ترغيبا

(١)د/ نور الدين عتر، منهج النقد في علوم الحديث، ص: ٤٩ وما بعدها.

(٢) الخطيب البغدادي، تقييد العلم ، تعليقا على ما رواه موقوفا تحت رقم: ١٣٥عن أبي سعيد الخدري «ما كنا نكتب شيئا...».

(٣)ينظر مقدمات ج١ من كتاب: السنة الوحي والحكمة، قراءة في نصوص المدرسة الإباضية.

للنـاس فـي الآخـرة فـي زعمهـم، ومـن أمثلـة ذلـك قصـة مشـهورة وقعت لأحمـد بـن حنبـل ويحيـى بـن معيـن تناقلهـا الـرواة، وذلـك أنهمـا -أي ابـن حنبـل وابـن معيـن- صليـا فـي مسـجد الرصافـة بالعـراق، فقـام بيـن أيديهـم أحـد القصـاص قائـلا: حدثنـا أحمـد بـن حنبـل ويحيـى بـن معيـن قـالا: حدثنـا عبـد الـرزاق أنبأنـا معمـر عـن قتـادة عـن أنـس قـال: قـال رسـول الله ﷺ: «مـن قـال لا إلـه إلا الله يُخلـق مـن كل كلمـة منهـا طيرٌ منقـاره مـن ذهـب وريشـه مـن مرجـان... وأخـذ فـي قصـة نحـوا مـن عشـرين ورقـة، وجعـل أحمد بن حنبـل ينظـر إلـى يحيـى بـن معيـن ويحيـى بـن معيـن ينظـر إلـى أحمـد بـن حنبـل فقـال: أنـت حدثتـه بهـذا؟ فيقـول: والله مـا سـمعت بـه إلا هـذه السـاعة. فلمـا فـرغ مـن قصـه وأخـذ قطاعـه، ثـم قعـد ينتظـر بقيتـه. فقال لـه يحيـى بـن معيـن بيـده تعـال، فجـاء متوهمـا لنـوال منـه، فقـال لـه يحيـى: مـن حدثـك بهـذا الحديـث؟ فقال: أحمـد بـن حنبـل ويحيـى بـن معيـن، فقـال: أنـا يحيـى بـن معيـن وهـذا أحمـد بـن حنبـل مـا سـمعنا بهـذا قـط فـي حديـث رسـول الله ﷺفـإن كان لا بـد والكـذب فعلـى غيرنـا.

فقـال لـه: أنـت يحيـى بـن معيـن؟ قـال: نعـم، قـال: لـم أزل أسـمع أن يحيـى بـن معيـن أحمـق مـا علمتـه إلا السـاعة. فقـال لـه يحيـى: وكيـف علمـت أنـي أحمـق؟ قـال: كأنـه ليس فـي الدنيـا يحيـى بـن معيـن وأحمـد بـن حنبـل غيركمـا، كتبـت عـن سـبعة عشـر أحمـد بـن حنبـل غيـر هـذا، قـال: فوضـع أحمـد كمـه علـى وجهـه وقـال: دعـه يقـوم، فقـام كالمسـتهزئ بهمـا»[1].

٢- جانب تقديس غير القرآن:

إن حركـة كتابـة الحديـث التـي راجـت لـدى المسـلمين بدوافـع سـبق ذكرهـا أنتجـتْ نوعـا مـن الإدمـان علـى المرويـات والاشـتغال بهـا علـى حسـاب الفقـه فـي القـرآن، فأسسـت بذلـك لمنهـج فكـريّ منحـرف يتميـز بتقديـس المرويـات والتطـرف فـي الاعتمـاد عليهـا ولـو تعارضـت مـع القـرآن، وهـذا مـا أدّى بجـزء مـن الأمـة الإسـلامية إلـى الوقـوع فـي خلـل خطيـر، يتمثـل فـي تقديـم الحديـث علـى القـرآن، والسـقوط فـي فـخ تقديـس غيـر القـرآن، والتصـور أن للسـنة أفضليـة علـى القـرآن الكريـم، لأن القـرآن فـي نظرهـم محتـاج للسـنة، والسـنة مسـتقلة غيـر محتاجـة للقـرآن الكريـم، ومـن ذلـك قـول البربهـاري (ت:

---

(١) الخطيب البغدادي، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، ١٦٦/٢.

٣٢٩هـ): «إن القرآن أحوج إلى السنة من السنة إلى القرآن»[1].

ومن المؤسف حقا أن يمتد هذا الانحراف الفكري إلى زماننا هذا، فمن حين لآخر تطالعنا بعض الكتابات والتصريحات للمعاصرين عما ينمّ عن ذلك بكل سفور وجرأة، ولعل من ذلك قول د/ عبد الرحيم الطحان (معاصر) في إحدى محاضراته: «لا خير في قرآن بلا سنة، ولا خير في سنة بلا فهم لسلفنا الكرام»، وقوله: «كل من يدعو إلى كتاب بلا سنة فهو ضال، وكل من يدعو إلى كتاب وسنة بلا فهم لسلفنا الأبرار فهو ضال»[2].

وسعيا لوقف الزوبعة الروائية والحد من مخاطرها إنقاذا للسنة وحفظا لها من الدخيل وصيانة لها من كل فساد وتحريف وتزوير قام علماء الأمة بجهود عظيمة من الضبط والتحري في المرويات، فكان من بين ثمار جهودهم أن تأسس علم الإسناد.

وقد أشار الخطيب البغدادي إلى سبق المسلمين بقية الأمم في هذا المجال، فليس لأحد من الأمم كلها قديما وحديثا إسناد، وإنما هي صحف في أيديهم، وقد خلطوا بكتبهم أخبارهم، وليس عندهم تمييز بين ما نزل من التوارة والإنجيل مما جاءهم به أنبياؤهم، وتمييز بين ما ألحقوه بكتبهم من الأخبار التي أخذوا عن غير الثقات، وهذه الأمة إنما تنص الحديث من الثقة المعروف في زمانه المشهور بالصدق والأمانة عن مثله حتى تتناهى أخبارهم، ثم يبحثون أشد البحث حتى يعرفوا الأحفظ فالأحفظ، والأضبط فالأضبط، والأطول مجالسة لمن فوقه ممن كان أقل مجالسة، ثم يكتبون الحديث من عشرين وجهاً وأكثر، حتى يهذبوه من الغلط والزلل ويضبطوا حروفه ويعدوه عداً[3].

---

(١) حسن البربهاري، شرح السنة، ص: ٨٩. (نقلا عن: السنة الوحي والحكمة، قراءة في نصوص المدرسة الإباضية، ٢٣/١). مع أنه لا خلاف في أن السنة تأتي في الدرجة الثانية بعد القرآن الكريم، فالكتاب مقطوع بثبوته إجمالاً وتفصيلاً لوصوله إلينا بالتواتر، ولم تختلف الأمة بجميع طوائفها عليه، بينما السنة مقطوع بثبوتها إجمالاً، ولكنها مظنونة الثبوت تفصيلاً لأن معظم الروايات أحادية، والآحاد ظني الثبوت. كما أن حجية السنة تنبع أساساً من أمر الله لرسوله ﷺ بتبيين أحكام القرآن للناس ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾. ولا يمكن أن يكون الشرح أفضل من المشروح، لأنه لو عُدم الشرح لم يتأثر المشروح بينما لو عُدم المشروح لم يكن للشرح فائدة.

(٢) أحمد بن حمد الخليلي، وسقط القناع، ص: ٧٨.

(٣) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، ١٦٦/٢.

• علم الإسناد الحديثي:

علم الإسناد من علوم الحديث، وهو يهتم بسلسلة الرواة الذين تتكون منهم قناة نقل خبر من الأخبار، واحداً بعد واحد إلى أن يصلوا بالرواية إلى مصدرها الأصلي مع صيغ أدائهم. ... فكل ما نُقل إلينا من الأخبار.. لا بد وأن يكون بيننا وبينه من طريق، إما مخبر واحد أو أكثر من واحد، ولا بد لكل واحد من وجه في تحمل الخبر عن صاحبه، من سماع وعرض وكتابة ونحو ذلك، فمتى بيّنا الطريق ووجه التحمل فقد أسندنا، ومتى تركنا البيان فقد أغفلنا، فإذا أردنا طلب المعتمد من الأخبار فلا سبيل إلى ذلك إلا بمعرفة الرجال وأحوالهم وصيغ تحملهم فهذا هو علم الإسناد[1].

وعلم الإسناد في اصطلاح المحدثين يتفرع عنه فنان أساسيان:

١/ الجرح والتعديل: وهو فن يبحث في حال الرواة من حيث ما يشينهم أو يزكيهم بألفاظ مخصوصة، ومعلوم أن مرجع ذلك إلى اشتراط عدالة الشهود في الشريعة الإسلامية، وقد عمل بذلك الصحابة والتابعون ومن بعدهم، وبلغ هذا العلم ذروته على يد يحي بن معين (ت٢٣٣هـ) وابن حنبل (ت ٢٤١هـ). ومن أقدم المصنفات الجامعة في هذا الفن كتاب طبقات ابن سعد الزهري البصري (ت ٢٣٠هـ) ويقع في ١٥ مجلدا.

٢/ رجال الحديث: وهو فن يهتم برواة الحديث من حيث إنهم رواة، وتُعرف مصنفاته بكتب الرجال، ومن أقدم من اشتغل بهذا الفن البخاري (ت٢٥٦هـ)، وفي طبقات ابن سعد الكثير من ذلك[2].

• أهمية الإسناد في تصحيح المرويات:

ومما ينبغي الإشارة إليه في صدد بيان أهمية الإسناد ونقده من أجل تصحيح المرويات، أن علم الإسناد وإن كان اكتمال بنائه على يد علماء الحديث فإن مفعوله لا يقتصر على مرويات الحديث فحسب، بل إنه ينسحب على مرويات التفسير والتاريخ وغير ذلك من العلوم التي تُطلب العدالة في ناقليها.على أن كل ذلك يهدف إلى إثبات النص وصحة نقله، أما من جانب المحتوى وخلوه من القوادح فذلك مجال آخر قد يغفل عنه الكثير ممن ينبهرون بظواهر الروايات ولا يهتمون إلا

---

(١) د/ عبد الله خلف الحمد، الإسناد وأهميته في نقد مرويات التاريخ الإسلامي، ص: ١٢ بتصرف (بحث غير منشور).

(٢)د/ صبحي الصالح، علوم الحديث ومصطلحه، ١٠٩ وما بعدها.

بالأسانيد.

يقول د/ عبد الله خلف الحمد: «إن القواعد النقدية التي وضعها العلماء المسلمون للتوصل إلى معرفة النص الصحيح، وإن كانت في الأصل خاصة بالحديث النبوي لكنها صالحة للتطبيق في مختلف العلوم الإسلامية، ولاسيما في مرويات التاريخ الإسلامي التي نهج مؤلفوها على منوال المحدثين في طريقة إيراد الخبر وسرد الروايات بالأسانيد، كما أن التاريخ عبارة عن أخبار ووثائق ونصوص، لا طريق للتثبت من صحتها إلا بتطبيق هذه القواعد المنهجية»[1].

وفي تاريخ الطبري مثلا نجد الإشارة واضحة إلى ضرورة اتباع منهج نقد السند، حيث يقول في مقدمته: «فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين، مما يستنكره قارئه أو يستشنعه سامعه من أجل أنه لم يعرف له وجهاً في الصحة ولا معنى في الحقيقة، فليعلم أنه لم يُؤت في ذلك من قبلنا وإنما أُتي من قبل بعض ناقليه إلينا وإنما أدّينا ذلك على نحو ما أُدي إلينا»، ومع أن الطبري لم يمارس عملية النقد على روايات تأريخه، لكنه سهّل على النقاد من بعده مهمة نقدها داخلياً وخارجياً، أي نقد السند والمتن، حينما اعتمد الإسناد والرواية في تاريخه، فاستخدام الطبري للسند في الرواية، وتنبيهه في المقدمة على وجود روايات غير صحيحة في تاريخه، فتح الباب على مصراعيه لنقد الرواية التاريخية[2].

• المبحث الثاني: الإسناد في التراث الإباضي

مدخل:

لا ريب في أن فكرة الإسناد وتوظيف السند أمرٌ حاضرٌ في تراث المدرسة الإباضية ونتاجها العلمي، فمن جانب الإسناد الحديثي يمكن للباحث أن يلاحظ أن غالب ما أُلّف خلال القرنين الأول والثاني الهجريين يُضبط سنده عند نقل الحديث، خلافا لما بعد القرن ٢ هـ[3].

(١) د/ عبد الله خلف الحمد، م س، ص: ١٢.

(٢)البرزنجي، محمد بن طاهر، صحيح وضعيف تاريخ الطبري، مقدمة المحقق، ص: ٣٢، (نقلا عن: د/ عبد الله خلف الحمد، م س، ص: ١٢).

(٣)الحاج أحمد كروم، الحديث والمحدثون عند الإباضية، ص: ١٢٠، (بحث مرقون).

ويذكر الباحث الحاج أحمد كروم أمثلة لذلك، كالإشارة إلى التمييز بين السند العالي والنازل، والسند القوي والضعيف، والسند المقبول والمرفوض في الحديث، ويقول إن أعلى سند في مسند الربيع بن حبيب (ت:١٧٠هـ) -معتمد الإباضية في الحديث- هو السند الثلاثي فيه، الربيع عن أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة عن جابر بن زيد عن الصحابي. أما السند النازل كثيرا فيه هو في الحديث رقم ٨٢٤: قال الربيع أخبرنا بشر عن إسماعيل بن علية عن داود بن أبي عقيل عن أبي هند عن الشعبي عن مسروق قال... .

أما في مدونة أبي غانم الخراساني (ت:أوائل ق٣هـ)، فالعالي هو: أبو غانم قال أبو المؤرج حدثني أبو عبيدة عن جابر بن زيد عن ابن عباس[1]. وكذلك السند الصحيح الموصول الموثوق هو: أبو غانم عن محمد بن محبوب عن أبيه عن الربيع عن أبي عبيدة عن جابر[2].

وقد أثار بعض الباحثين إشكالية غياب السند الموصول في كل حديث في تراث المدرسة الإباضية، متأثرين في ذلك بالمنهج الروائي عند أهل الحديث، في محاولة لإسقاط منهجهم على الإباضية، وجوابا عن ذلك يقول الباحث الحاج أحمد كروم:

«إشكالية غياب السند الموصول في كل حديث قد استغنى عنها المذهب الإباضي وعوّضها بتنقية سلسلة سند المذهب الإباضي التي هي سندٌ لجميع العلوم الدينية في المذهب»[3].

ويذكر بعض الباحثين المهتمين بالتراث الإباضي أن ثمة نوعا آخر من الإسناد تتميز به المدرسة الإباضية هو الإسناد الكُتبي، ويتعلق الأمر بما استقر عليه العمل وتُلقي بالقبول في القرون الثلاثة الهجرية الأولى من الأحكام الشرعية، حيث تنقلها الكتب اللاحقة عن الكتب السابقة[4]، مثل: مدونة أبي غانم الخراساني(ت أوائل ق٣هـ)، وجامع أبي صفرة عبد الملك بن صفرة (ت أوائل ق٣هـ)، وجامع ابن جعفر الإزكوي (ق٣هـ)، وجامع أبي الحواري (ق٣هـ)، وجامع ابن بركة

---

(١) الربيع بن حبيب، الجامع الصحيح، ٢٦٥/٢ .

(٢) م س، ٠٤/٢ .

(٣) الحاج أحمد كروم، مساهمات المدرسة الإباضية في خدمة السنة النبوية، ص: ٦٨.

(٤) مسعود المقبالي، بشائر ظهور المذهب الإباضي في العالم، (مادة سمعية) محاضرة ألقاها في مسجد بابا السعد الشرقي بغرداية، الجزائر، بتاريخ أفريل ٢٠١٣م.

(ق٤ هـ)، وجامع أبي الحسن البسيوي (ق٤ هـ)، وكتاب المعتبر لأبي سعيد الكدمي (ق٤ هـ)، وغيرها.

• التعريف بنسب الدين واهتمام علماء الإباضية به

إضافة إلى الإسناد الحديثي والإسناد الكتبي فقد تميز التراث الإباضي بنوع خاص من الإسناد يتمثل في إسناد الدين عامة، ويُعرف بـ: «نسب الدين». جاء في معجم مصطلحات الإباضية في التعريف بمصطلح: «نسب الدين» ما يلي:

«رواية العلم في المذهب الإباضي من عالم إلى آخر ومن شيخ إلى تلميذه، بحيث تشكلت من مجموع أولئك العلماء سلسلة متصلة عُرفت بنسب الدين. ونهاية سلسلة نسب الدين: أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة عن جابر بن زيد عن الصحابة رضوان الله عليهم عن رسول الله ﷺ»[1].

إن هذه الطريقة من الإسناد -والتي هي في جوهرها توثيقٌ لطريق نقل أمانة الدين- كانت وليدة حرص علماء الإباضية على سلامة الدين وتحصينه من كل ما يحرفه، وذلك باختيار العلماء الأكفاء الثقات لرواية العلم عنهم.

وحتى نتبين من هذا الأمر بجلاء ينبغي علينا أن نتصور الظروف الصعبة التي كانت تحيط بالإباضية في العصر الأول من الاضطهاد والملاحقة أيام الأمويين والعباسيين بصفة خاصة، عندما شهدت الأمة انتهاكات صارخة لدينها ومنهج حكمها، مما جعلها خارج إطار الخلافة الراشدة، فإن فساد السياسة ينتج عنه فساد الدين .. بحيث يصبح العلم مجاريا لإرادة الحكام مداهنا لفسادهم.. الشيء الذي جعل الإباضية ينأون بأنفسهم مستنكرين للوضع الفاسد معارضين له، ساعين بكل ما أوتوه من قوة إلى الحفاظ على رسالة الإسلام نظيفة غير مشوبة ولا متأثرة بأدران السياسة الفاسدة والحكم المنحرف لمن أساؤوا إلى الإسلام وشوهوه في مهده.. .

ولعلماء الإباضية منذ الرعيل الأول مشارقة ومغاربة اهتمامٌ بهذا التوثيق العلمي لطريق نقل أمانة الدين عبر الأجيال، باعتبار الكفاءة العلمية والعدالة الدينية. ومن شواهد ذلك:

ما نُقل عن الإمام الثاني للإباضية أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة (ت:حوالي ١٤٥هـ)

---

(١)مجموعة من الباحثين، معجم مصطلحات الإباضية، ٢/ ٩٩٦، مادة: نسب.

من قوله: «كل صاحب حديث ليس له إمام في الفقه فهو ضال، ولولا أن من الله علينا بجابر بن زيد لضللنا». وقوله: «من لم يكن له أستاذ من بين الصحابة فليس هو على شيء من الدين، وقد منّ الله علينا بعبد الله بن عباس ... وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن سلام، هم الراسخون في العلم، فعلى آثارهم اقتفينا وعلى سيرتهم اعتمدنا وعلى منهاجهم سلكنا، والحمد لله كثيرا»[١].

- ما أُثر عن عبد الحميد الجناوني (ق٣هـ) أحد كبار علماء الإباضية المتقدين في جبل نفوسة بليبيا من قوله لأهل الجبل: «والله لقد تركتكم على الواضحة النيّرة، تقود الضالَّ، وما بيني وبين رسول الله إلاَّ ثلاثة رجال»[٢].

- حرص كتب السير الإباضية على توثيق حركة التعلم والتعليم ورواية العلم، كتاريخ ابن سلام (ق٣هـ) وسير كل من البغطوري (ق٦هـ) والوسياني (ق٦هـ) والدرجيني (ت:٦٧٠هـ) والشماخي (ت:٩٢٨هـ) وابن مداد (ق١٠هـ) وغيرهم.

ومما جاء الاهتمام به فيها ذكر نسب الدين واحتفاء علماء المذهب به، مثل ما رواه الوسياني في سيره عن الشيخ أبي عمرو السوفي (ق٦هـ) في إسناده يقول: «أخذ الدين أبو عمرو عن أبي العباس عن أبي الربيع سليمان بن يخلف عن أبي عبد الله محمد بن بكر عن أبي نوح سعيد بن زنغيل عن أبي خزر عن سحنون بن أيوب عن سعيد بن أبي يونس وسيم بن نصر عن الإمام أفلح عن والده عبد الوهاب عن الإمام أبيه عبد الرحمن بن رستم عن أبي عبيدة عن جابر بن زيد عن ابن عباس عن النبيء ﷺ عن جبريل عن ميكائل عن إسرافيل عن اللوح المحفوظ عن الله، لا إله إلا الله مخلصين ولو كره الكافرون».ثم قال: «وأما إسناد إخواننا وأهل مودتنا ودعوتنا الأطرابلسيين رحمة الله عليهم: أبو عمرو عن أبي العباس بن أبي عبد الله عن أبي الربيع عن أبي عبد الله عن أبي زكرياء فصيل عن والده أبي مسور عن أبي معروف عن أبي ذر أبان بن وسيم عن أبي خليل عن الخمسة الحملة العلم إلى المغرب عن أبي عبيدة رحمة الله عليهم»[٣].

---

(١)مسلم بن أبي كريمة، أبو عبيدة، مسائل أبي عبيدة، ص: ٤٣ (مخ).

(٢) معجم أعلام الإباضية، قسم المغرب، ترجمة: ٥٣٨.

(٣)الوسياني سليمان بن عبد السلام، سير الوسياني، ٥٣٨/٢.

- تطوير السلسلة الفردية لنسب الدين إلى نمط الطبقات، حيث روى الدرجيني عن أبي عمار عبد الكافي (ق٦هـ) أنه وجد العزابة يسندون أمر دينهم واحدا عن واحد، كابرا عن كابر، وثقة عن ثقة، فرأى من حسن نظره أن يكون ذلك جملة عن جملة[1]. فهذا التصريح من الدرجيني يدل على إبداع أبي عمار ومن بعدِه الدرجيني ثم الباروني محمد بن زكرياء في طبقاتهم بهذه السلاسل من الصورة المفردة إلى الجملة والجمع على شكل طبقة عن طبقة وهكذا؛ وفي هذا تطوير في التعاطي لفن الرجال والكتابة فيه على شكل طبقات.

• خصائص نسب الدين عند الإباضية:

من الخصائص التي يتميز بها نسب الدين عند الإباضية، والتي تُعدّ بمثابة الأطر والضوابط التي تبلورت وفقها حلقات البناء السندي للمذهب الإباضي، أمور ذات أهمية تتمثل في الآتي:

١- الارتكاز على العلم والتعلم

يقول الباحث: إن السِّيرة المتبعة عند مشايخ الإباضية منذ القديم هي أن لا يسمّي التلميذ أحدا ممّن تعلّم عندهم من أساتذته شيخا له إلاّ إذا جلس إليه مرارا و تكرارا في حلقة درسه، وأخذ عنه دروسا كاملة عديدة، وفي الفقه وعلوم الشريعة؛ وبهذين الاعتبارين يسند التلميذ دينه إلى الذي أخذ عنه فتتكون نسبة الدين متسلسلة واحدا عن واحد[2].

ويقول الشيخ محمد بن زكرياء الباروني: «وفي الأثر عن المشايخ ما نصه: والذي يريد أن ينسب دينه إلى أحد من المسلمين فإنه لا ينسبه إليه حتى يتعلم من عنده شيئا من العلم»[3].

ويصرح القطب الشيخ امحمد اطفيش بأن اعتبار المدرس شيخا لتلميذه يكون بالقراءة ثلاث مرات أو أكثر عنده[4].

فالعلاقة التي تكون بين رجال نسب الدين هي علاقة علمية بين شيخ عالم وتلميذ متعلم،

---

(١) أحمد بن سعيد الدرجيني، أبو العباس، طبقات المشايخ بالمغرب، ٦/١.

(٢) بشير الحاج موسى، الشيخ سعيد بن علي بن يحي الخيري الجربي...، حياته ودوره في نهضة وادي ميزاب، ص:١٠.

(٣) محمد بن زكرياء الباروني، نسبة الدين، ملحقة بسير الشماخي، ص:٥٨٣.

(٤) امحمد بن يوسف اطفيش، شرح النيل وشفاء العليل، ١/ ٤١.

وهذا المسلك المتمثل في التعلم والتعليم هو السبيل الوحيد الذي يضمن استقرار الفكر وامتداده واستمراره. ولا ريب في ذلك، فمبدأ الإسلام نفسه واستمراره كان بالتعليم، وهو عين ما قام به النبي ﷺ، كما أقرّه الله تعالى بقوله: {هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ}[الجمعة:٢]، وقوله: {لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُومِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّن انفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِم آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ}[آل عمران:١٦٤].

وقد اقترن الاهتمام بالتعليم بمختلف مراحل حياة الإباضية على تقلب ظروفها، فمثلا كان ذلك صفة بارزة في سيرة الإمام أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة (ت:حوالي ١٤٥هـ) الذي حبس نفسه للتعليم سنين عددا، فانتشرت دعوته في الآفاق بواسطة تلاميذه المعروفين بحملة العلم.

كما انتهج الشيخ أبو عبد الله محمد بن بكر الفرسطائي النفوسي (ت:٤٤٠هـ) نفس المسلك عندما تدهورت أوضاع الإباضية بالمغرب وضعفت شوكتهم بعد سقوط الدولة الرستمية، فلم يكن المخرج من الأزمة إلا النظام التعليمي الذي عُرف فيما بعد بحلقة العزابة، حيث وضع الشيخ خطة تعليمية التف عليها الإباضية، تولى بنفسه شخصيا تجسيدها والإشراف عليها ميدانيا بالارتحال مع طلبته والتنقل بين مواطن الإباضية بالمغرب.

وعلى نفس المسلك سار الشيخ عمي سعيد بن علي الجربي (ت:٩٢٧هـ) في نهضته العلمية بوادي مزاب من تثبيت الأصل الذي قام عليه نظام حلقة العزابة وهو التفرغ للتعلم والتفقه في الدين، فأسس نظام «إروان» لنفس الهدف، إذ أدرك أنه هو المنهج الأمثل للنهوض بالمجتمع فكريا.

ومن مظاهر هذا المسلك وآثاره ما رواه البغطوري (ق٦هـ) في سيره أنه مرّ زمان على أهل جبل نفوسة فشا فيهم العلم حتى لا تحتاج منهم منزل إلى منزل في مسألة إلا من طريق الأدب والورع وما يجمل، فإذا نزلت مسألة في لالُتْ دارتْ منازلَهم إلى تِغَرْمينْ، فإذا نزلت بتغرمين دارت إلى لالُتْ ثم ترجع إلى المنزل الذي نزلت فيه فيفتونها، وذلك من كثرة عنايتهم بالعلم والتفقه ورعهم وزهدهم في الدنيا...[1].

---

(١) مقرن بن محمد البغطوري، سيرة أهل نفوسة، ص:٠٧ (مخ).

٢- نظافة السند وقربه

رجال سلسلة النسب الديني كلهم عدول ثقات، إذ الأمر متعلق بنقل أمانة الدين، فلا يمكن أن يسند الأمر إلى من ليس بثقة أمين. وقد حرص سلف الإباضية على ذلك منذ الرعيل الأول، ومن الشواهد الدالة على ذلك ما يلي:

- ما روي أن ناسا من أهل البصرة قالوا: انظروا لنا رجلا ورعا قريب الإسناد حتى نكتب عنه، ونترك ما سواه؛ فنظروا؛ فلم يجدوا غير الربيع بن حبيب، فطلبوا منه ذلك، وكان يروي لهم عن ضمام عن جابر بن زيد عن ابن عباس؛ فلما خاف أن يشيع أمره أغلق بابه على نفسه دونهم؛ إلا من أتاه من إخوانه من المسلمين[١].

- ما روى الوسياني من أن أبا خليل صال الدركلي النفوسي (ق٣هـ) كان يقول: «والله ما تركتكم إلا على الواضحة النيرة تقود الضُّلال، وما بيني وبين رسول الله ﷺ إلا ثلاثة ولم أرهم»، وقد أخذ عن الخمسة –أي حملة العلم- والخمسة عن أبي عبيدة، وأبو عبيدة عن جابر، وجابر عن ابن عباس، وابن عباس عن النبيء ﷺ[٢].

- ما ذكره الشيخ أمحمَّدْ اطفيش في معرض جوابه لمن سأله ذكرَ فضل الشيخين أبي عبد الله محمد بن بكر الفرسطائي النفوسي و محمد بن عبد العزيز اليسجني المصعبي وهو أحد أجداد الشيخ اطفيش، فقال الشيخ في مقدمة تعداد بعض فضائلهما: «فأما هما فيكفي فيهما ما تقدم من جريان نسبة الدين عليهما»[٣]، ثم ساق جملة من فضائلهما. وفي كلام الشيخ هذا ما يدل على أن نسب الدين لا يجري إلا على العلماء العاملين ذوي الصلاح والعدالة والثقة والاستقامة[٤].

---

(١) السالمي، شرح الجامع الصحيح: ٤/١.

(٢) الوسياني سليمان بن عبد السلام، سير الوسياني، ٥٣٨/٢. وفي رواية أن هذا الكلام لأبي عبيدة عبد الحميد الجناوني (ق٣هـ). ينظر معجم أعلام الإباضية، قسم المغرب، ترجمة: ٥٣٨، ولا إشكال فالعلمان متعاصران.

(٣) محمد بن يوسف اطفيش، الرسالة المختصرة في بعض التواريخ، ص: ١٢٩.

(٤) لمعرفة نماذج من صفات العلماء الذين يجري نسب الدين عليهم ينظر ما ساقه الشيخ اطفيش من فضائل الشيخين في م س، ص: ١٢٩-١٣٣.

٣- الإذن من الشيخ بالإسناد إليه

من ضوابط نسب الدين أن التلميذ الراوي لا ينسب دينه إلى أستاذه بعد الدراسة عليه إلا بإجازته وإذنه، وهذا يُفهم مما نقله الشيخ محمد بن زكرياء الباروني عن الشيخ أبي الربيع -ولعله المزاتي- أنه إذا طلبه أحد ممن يتعلم عنده أن ينسب عنه دينه فلا يجيبه حتى يقرأ عليه عشر كلمات التي يتم بهن التوحيد، فإذا قرأهن الشيخ على من أراد أن ينسب دينه فحينئذ يأمره أن ينسب[١].

• نبذة عن نسب الدين عند العمانيين

اهتم علماء الإباضية في عمان بموضوع نسب الدين وكتبوا فيه توصيفا وتحديدا، فمن التوصيف قول صاحب مخطوطة كشف الغمة وبيان فرق الأمة: «ولم نقلد ديننا أهل الضلال ولا رضينا بحكومة الرجال ولا أخذنا ذلك عن السفهاء والجهال، لأنا سمعنا ربنا يقول في محكم الكتاب المبين: {يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين}، {ولا تطيعوا أمر المسرفين الذين يفسدون في الارض ولا يصلحون}، واتبعنا الصادقين الذين عُرف صدقهم وشُهرت عدالتهم ...الأتقياء الأبرار الفضلاء الأخيار ...الخ»[٢]، ومثل هذا يوجد في العديد من كتب علماء عمان[٣].

ومن التحديد ما جاء في كشف الغمة المذكور في آخر فصل منه حيث ذكر نسب الدين عند أهل عمان ونصه:

«رفعَ المذهبَ:

-الشيخُ أبو الحسن علي بن محمد البسيوي وأبو محمد عبد الله بن محمد بن بركة وسعيد بن عبد الله بن محمد بن محبوب رحمهم الله، ومن كان بعصرهم من المسلمين،

-عن بشير وعبد الله ابني محمد بن محبوب وسعيد بن محرز والوضاح بن عقبة ومن

---

(١)محمد بن زكرياء الباروني، نسبة الدين، ملحقة بسير الشماخي، ص:٥٨٣.

(٢) عماني مجهول، كشف الغمة وبيان فرق الأمة، وجه الورقة:١٣٤(مخ) خزانة الشيخ الحاج بابكر، غرداية/ الجزائر.

(٣) انظر مثلا: بيان الشرع لمحمد بن إبراهيم الكندي، ٣٨٣/٤.

كان بعصرهم من المسلمين،

-عن موسى بن علي وهاشم بن غيلان ومحمد بن هاشم ومحمد بن محبوب ومن كان بعصرهم من المسلمين،

-عن موسى بن أبي جابر ومنير بن النيّر وسليمان بن عثمان ومحبوب بن الرحيل البصري ومن بعصرهم من المسلمين،

-[عن الربيع بن حبيب البصرى] (١) وخلف بن زياد البحراني وشبيب بن عطية العماني، ومن بعصرهم من المسلمين،

-عن الجلندى بن مسعود، وعبد الرحمن بن رسم الفارسي إمام أهل المغرب وجعفر بن السماك، ومن بعصرهم من المسلمين،

-عن أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة وفروة بن نوفل ووداع بن جويرة، ومن بعصرهم من المسلمين،

-[عن عبد الله بن إباض وعروة بن جدير ومرداس بن جدير ومن بعصرهم من المسلمين] (٢)،

-عن أبي الشعثاء جابر بن زيد وعبد الله بن وهب الراسبي وزيد بن صحوان العبدي، من بعصرهم من المسلمين،

-عن عبد الله بن عباس وخزيمة بن ثابت ومحمد وعبد الله ابني بديل بن ورق الخزاعيين، وعمار بن ياسر وبلال وصهيب وسالم مولى أبي حذيفة ومعاذ بن جبل وحذيفة بن اليماني وعبد الله بن مسعود وعبد الرحمن بن عوف وأبي عبيدة بن الجراح والمهاجرين والأنصار رضي الله عنهم أجمعين.

(١)سقط هذا من مخطوطتيْ كشف الغمة (الأولى في خزانة الشيخ الحاج بابكر، والثانية في خزانة الشيخ عمي سعيد الشخصية) وهو مثبت في النسب الوارد في كتاب منهج الطالبين كما سيأتي.

(٢)سقط من نسخة خزانة الشيخ الحاج بابكر.

-عن النبي محمد بن عبد الله «عن جبرائيل الأمين عن الله رب العالمين»[1].

ونفس النسب جاء مثبتا من قبل الشيخ خميس بن سعيد الرستاقي (ت: ق١١هـ)، في كتابه منهج الطالبين وبلاغ الراغبين، ١/٥٠٧.

• **ملاحظة**

ولنا أن نلاحظ تميز هذا الإسناد بعدم تفرد حلقاته بشخص واحد، بل نجد في كل حلقاته مجموعة من ٠٣ علماء فأكثر، وهذا النمط أقرب إلى نظام الطبقات، ولنا أن نقول إن صياغة نسب الدين بنظام الطبقات عند الإباضية سبق فيه المشارقةُ أهلَ المغرب، فصاحب كشف الغمة عاش في القرن ٥هـ بينما يأتي أبو عمار عبد الكافي في ق٦هـ وهو أول من وضع نسب الدين لأهل المغرب على شكل طبقات.

ومن وثائق نسب الدين عند العمانيين ما أورده ابن مداد (ق١٠هـ) في سيرته، حيث أثبت سلسلة تبدأ من الشيخ العوتبي في القرنين ٥، ٦هـ هكذا:

- أبو المنذر سلمة بن مسلم العوتبي الصحاري،

- عن الشيخ سعيد بن قريش،

- عن محمد بن المختار،

- عن الشيخ أبي الحسن علي بن محمد البسياني الأصم،

- عن الشيخ محمد بن أبي الحسن النزواني،

-عن عبد الله بن محمد بن بركة،

- عن أبي مالك غسان بن محمد الصلاني،

- عن بشير وعبد الله ابني محمد بن محبوب،

- عن عزان بن الصقر العقري النزوي،

(١)كشف الغمة وبيان فرق الأمة، الورقة:١٣٥(مخ).

- عن الفضل بن عزان وأبي المؤثر الصلت بن خميس،

- عن محمد بن محبوب ومحمد بن علي والوضاح،

- عن موسى بن علي الإزكوي،

- عن هاشم بن غيلان السيجاني،

- عن موسى بن أبي جابر الإزكوي،

- عن الربيع بن حبيب الفراهيدي،

- عن أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي،

- عن جابر بن زيد الأزدي،

- عن عائشة وابن عباس وابن عمر، وغيرهم من الصحابة،

- عن النبي محمد ﷺ عن جبريل عن ربِّ العزَّة[١].

- **الفرق بين الإسناد الحديثي والنسب الديني:**

يتضح مما سبق أن ثمة فروقا جوهرية بين الإسناد الحديثي والنسب الديني، ولعل أهم تلك الفروق تتمثل في:

١. كون الإسناد الحديثي خاصا والنسب الديني عاما، فالرواية الحديثية تنحصر في نقل حديث أو خبر، بينما الرواية في النسب الديني تتعلق بأمر أعم وأشمل وهو نقل علوم الشريعة وأمانة الدين.

٢. كون الإسناد الحديثي في كثير من الأحيان يُهتم فيه بالنقل الشكلي بغض النظر عن المضمون، وهذا في الحقيقة كان مدخلا تسللتْ من خلاله العديد من المفاهيم التي تحملها مرويات غير صحيحة، خاصة عند تعارض الرواية مع القرآن الكريم، أما في النسب الديني

(١) عبد الله بن مداد، السيرة، ص: ٢٤.

فإن الرواية تكون فيه بالإضافة إلى ضبط جانبها الشكلي مهتمة بالفهم والدراية، ما ينتج عنه سلامة النقل لأمانة الدين عبر الأجيال.

٣. كون الإسناد الحديثي يركز في كثير من صوره على وجود السند ليس إلا، ولا يهتم بنظافة رجاله وعدالتهم، وهذا ما أدى بعلماء الحديث أنفسهم إلى تدارك الأمر بتأسيس علم الجرح والتعديل وبذلك تصبح جميع الروايات الحديثية محل التمحيص والنقد من جانب السند؛ أما النسب الديني فهو أبعد ما يكون عن هذا المسلك، لأنه لا ينتظم في عقده إلا من اشتهر بعدالته العلمية مع العدالة الدينية في الغالب.

•المبحث الثالث: نسب الدين عند الإباضية بالمغرب

بعد بيان اهتمام علماء الإباضية بالإسناد الديني=نسب الدين؛ نأتي إلى عرض ما أُلف في نسب الدين عند إباضية المغرب، بمراعاة الترتيب الزمني.

عرض المؤلفات التي عنيت بنسب الدين عند الإباضية بالمغرب:

١ . نسب الدين المروي عن أبي عمرو عثمان بن خليفة السوفي (ق٦هـ)

أقدم عمل في حدود اطلاع الباحث من المرويات هو ما أثبته الوسياني في سيره (ق٦هـ) من نسب الدين عن الشيخ أبي عمرو عثمان بن خليفة السوفي (ق٦هـ). وهي سلسلة يسند فيها الشيخ أبو عمرو السوفي دينه إلى أبي العباس أحمد بن محمد عن أبي الربيع سليمان بن يخلف عن أبي عبد الله محمد بن بكر ثم تفترق النسبة إلى طريقين:

- طريق إسناد أهل وارجلان: أبو عبد الله عن أبي نوح سعيد بن زنغيل عن أبي خزر عن سحنون بن أيوب عن سعيد بن أبي يونس وسيم بن نصر عن الإمام أفلح عن والده عبد الوهاب عن الإمام أبيه عبد الرحمن بن رستم عن أبي عبيدة عن جابر بن زيد ...الخ.

- إسناد أهل طرابلس: أبو عبد الله عن أبي زكرياء فصيل عن والده أبي مسور عن أبي معروف عن أبي ذر أبان بن وسيم عن أبي خليل عن الخمسة الحملة للعلم إلى المغرب عن أبي عبيدة عن جابر بن زيد ...الخ[1].

(١)الوسياني سليمان بن عبد السلام، سير الوسياني، ٢/٥٣٨.

٢. نسب الدين لمقرن بن محمد البغطوري النفوسي (حي في ٥٩٩هـ)

وفـي نفس الفتـرة الزمنيـة تقريبـا أي فـي ق٦هــ يطالعنـا الشـيخ مقـرن بـن محمـد البغطـوري (حـي فـي ٥٩٩هــ) بعمـل مهـم ألفـه خصيصـا لبيـان نسـبة الديـن عنـد أهـل نفوسـة، وهـو لا يـزال مخطوطـا[١].

وقـد اسـتهل المؤلـف عملـه بمدخـل أصّـل فيـه للنسـب الدينـي عنـد الإباضيـة، حيـث ركّـز علـى حلقـات النسـب التـي هـي الملائكـة ثـم الأنبيـاء ثـم العلمـاء، جمعـا وإفـرادا، حيـث قـال: «تأملـت أن أنسـخ الفضائـل المرويـات عـن الفقهـاء أنـا وجماعـة مـن أشـياخنا أهـل إجنَّـاوْنْ، فابتـدأت أنـا فـي تسـمية مـن أخذنـا عنـه هـذا الديـن مـن خلـق الله أجمعيـن فوجدتهـم علـى الجمـع ثلاثـة: الملائكـة والأنبيـاء والمسـلمون، وعلـى الإنفـراد: مـن الملائكـة أربعـة، ومـن الأنبيـاء ثمانيـة عشـر نبيئـا وبعدهـم النبـيء محمـدﷺ، ومـن الفقهـاء ثلاثـون رجـلا وامرأة.فأمـا الأنبيـاء فهـم الذيـن ذكرهـم الله فـي سـورة الأنعـام فـي قولـه تعالـى: {وتلـك حجتنـا آتيناهـا إبراهيـم علـى قومـه نرفـع درجـات مـن نشـاء} إلـى قولـه: {أولئـك الذيـن هـدى الله فبهداهـم اقتـده}، قـال الله لنبيـه ﷺ: {فبهداهـم اقتـده} فاقتدينـا نحـن بالنبـيء ﷺكاقتدائـه بالنبيئيـن صلـوات الله عليهـم أجمعيـن.

ثـم ذكرنـا تسـمية مـن أخذنـا عنـه هـذا الديـن مـن أشـياخنا رحمهـم الله فوجدتهـم ثلاثيـن رجـلا، مـن عبـد الله بـن عبـاس ابـن عـم النبـيء ﷺ إلـى يومنـا هـذا وكلهـم مـن نفوسـة، غيـر سـبعة مـن غيرهـم وهـم: ابـن عبـاس وجابـر بـن زيـد الأزدي البصـري وأبـو عبيـدة مسـلم ابـن أبـي كريمـة التميمـي البصـري وإسـماعيل بـن درار الغدامسـي وأبـو مـرداس مهاصـر السـدراتي والإمـام عبـد الوهـاب ووالـده الإمـام عبـد الرحمـان بـن رسـتم الفارسـي رضـي الله عنهـم أجمعيـن»[٢].

ثـم أسـند المؤلـف دينـه إلـى الفقيهيـن أبـي محمـد عبـد الله بـن محمـد المجدلـي وأبـي يحـي توفيـق الجناونـي عـن أبـي سـليمان داود بـن هـارون عـن أبـي زكريـاء يحـي بـن الخيـر الجناونـي...إلـى آخـر النسـبة التـي سـتأتي فـي الإسـناد الجامـع.

---

(١)توجد منه نسخة في خزانة مخطوطات دار التلاميذ بغرداية، تحت رقم: ٥٦٢/إ٢١٣. ونسخة ثانية في خزانة الشيخ ج صالح لعلي ببني يزقن.

(٢)مقرن بن محمد البغطوري، نسبة الدين، ص: ٠١ (مخ).

نسب الدين للشيخ مقرن بن محمد البغطوري (ق٦هـ)، نسخة خزانة دار التلاميذ، غرداية

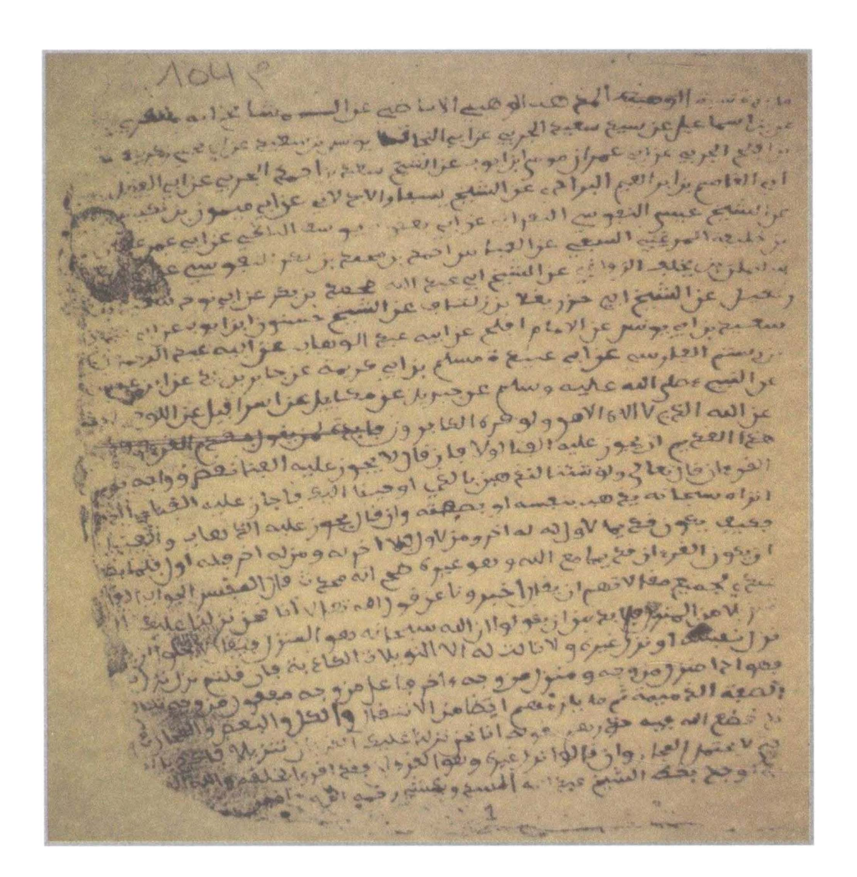
٣. نسب الدين لخليفة وسعيد النفوسيين (ق٨هـ)

عثر الباحث على وثيقة مخطوطة في مكتبة القطب ببني يزقن في وادي مزاب، تضم نسبة الدين للشيخين خليفة وسعيد عن أستاذهما الشيخ عامر بن علي الشماخي (ت: ٧٩٢)، عن عيسى بن عيسى الطرميسي عن يحي بن وجدليش النفوسي عن زكرياء ابن إبراهيم الباروني عن وجدليش بن في الأمليلي... إلى آخر النسبة التي ستأتي في الإسناد الجامع.

ولم يقف الباحث على هوية المُسْنِدَيْن في كتب التراجم، ولعلهما من تلاميذ الشماخي ممن لم يُكتب لهما الاشتهار.

٤.نسب الدين لأبي مهدي عيسى بن إسماعيل المليكي المصعبي (ت: ٩٧١هـ)

وهو في وثيقة مخطوطة بمكتبة الشيخ ج صالح لعلي ببني يزقن، أسند فيها الشيخ أبو مهدي عيسى بن إسماعيل دينه للشيخ سعيد بن علي الجربي عن أبي النجاة يونس بن سعيد التعاريتي ... إلى آخر النسبة التي ستأتي في الإسناد الجامع.



نسب الدين للشيخ أبي مهدي عيسى بن إسماعيل المليكي، مخطوط بمكتبة الشيخ ج صالح لعلي ببنيزقن، وادي مزاب

٥. نسب الدين لمحمد بن زكرياء الباروني (ت: ٩٩٧هـ)

وهو من الأعمال المهمة في هذا الصدد، بناه مؤلفه على نسب الدين لمحمد البغطوري، وقد استهله بمقدمة بين فيها الغرض من كتابة نسبة الدين حيث قال:»قد طال ما يناجيني قلبي

أن أجمع بعض ما انتهى إليّ من أسماء المشايخ الذين أُخذ عنهم الدين ثقة عن ثقة واحدا عن واحد من أهل جبل نفوسة وغيرهم، ليكون المجموع من ذلك مفزعا في مثل هذا الغرض، ...لئلا يختلج الشك بعض الخواص فضلا عن العوام»[1].ثم اقتبس من البغطوري حديثا عن حلقات النسب التي هي الملائكة ثم الأنبياء ثم العلماء، جمعا وإفرادا، وبعدها شرع في بيان نسب الدين فأسند هو دينه إلى أبي سليمان داود بن إبراهيم التلاتي الجربي (ت:٩٦٧هـ) عن أبي زكرياء بن عيسى الباروني وأبي القاسم بن يونس السدويكشي ... إلى آخر النسبة التي ستأتي في الإسناد الجامع.

ثم ثنى بذكر رحلته إلى وادي مزاب سنة ٩٦١هـ وتعلمه عند الشيخ أبي مهدي عيسى بن إسماعيل المليكي، وأثبت تفاصيل هامة عن تلك الطريق من نسب الدين، منها تفرع إسناد أبي القاسم البرادي إلى طريقين، وكذا تفرع إسناد أبي عبد الله محمد بن بكر الفرسطائي إلى طريقين. وختم بتفاصيل هامة عن مقتل أستاذه الشيخ أبي سليمان داود التلاتي سنة ٩٦٧هـ بأمر الحاكم درغوث بن علي التركي.

وقد أنجز الباروني هذا العمل نثرا، ثم صاغه في قالب نظم، في قصيدة ذات ٧٢ بيتا، مطلعها:

قال محمد الضعيف المذنبُ	أحمدك اللهم حمدا أرغبُ
في العون والتوفيق والإياب	صلاتنا على النبي الأواب

ثم قال:

فهذه نسبة دين مسنده	كعقد درّ وياقوت محكمه
بحمد ربي لم أكن مُغيِّبا	في مذهبي ونسبي مخبِّبا

وقد طُبع النسب النثري والنظمي ملحقين بسير الشماخي في الطبعة الحجرية سنة ١٣٠١هـ.

---

(١) محمد بن زكرياء الباروني، نسبة الدين، ملحقة بسير الشماخي، ص:٥٧٨.

(٥٧٨)

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

هذه نسبة دين المسلمين واحد عن واحد

ثقة عن ثقة من زماننا الى نبينا محمد عليه السلام

الحمد لله الذى هدانا الدينه القويم وثبتنا على صراطه المستقيم

وصلاته على صفيه محمد النبي الكريم والرضا عن التابعين لهم بالاحسان

والتسليم فنسأل الله الغفور الرحيم ان يجعلنا واياهم فى دار النعيم

(وبعد) فيقول العبد الفقير الى رحمة ربه محمد بن زكريا بن

موسى البارونى عفى الله عنه قد طال ما ينا جيني قلبي ان اجمع بعض

ما انتهى الى من اسماء المشايخ الذين أخذ عنهم الدين ثقة عن ثقة

واحد عن واحد من اهل جبل نفوسة وغيرهم ليكون المجموع من

ذلك مفزعا فى مثل هذا الغرض وان كان الشيخ مقرين بن محمد البغطورى

شفا فى ذلك وكفى رحمة الله عليه فقد بعى من زمانه الى زماننا هذا

لانه رحمه الله فى آخر المائة السادسة ونحن الآن قاربنا السبعين من

المائة العاشرة لئلا يخلج الشك بعض الخواص فضلا عن العوام فأستخير

الله فى ذلك وهو ولى الخيرات فنسأله ان يجعل ذلك خالصا لوجهه

انه رفيع الدرجات قال البغطورى رحمه الله الذين اخذنا عنهم

الدين من خلق الله اجمعين ثلاثة الملائكة والانبياء والمسلمون جبريل

وميكائيل واسرافيل واللوح المحفوظ من الملائكة ومن الانبياء ثمانية

عشر وذلك قوله تعالى وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم الى قوله فبهداهم

نسب الدين للشيخ محمد بن زكرياء الباروني، مطبوع ملحقا بسير الشماخي

٦. نسب الدين لسليمان بن أحمد الحيلاتي (ت: ١٠٩٩هـ)

نقل الشيخ أبو يعقوب يوسف بن محمد المصعبي (ت:١١٨٧هـ) في شرح القصيدة الحائية نسب الدين للشيخ سليمان الحيلاتي (ت: ١٠٩٩هـ) نقلا من خطه، وقيده هكذا:

سليمان بن أحمد الحيلاتي عن قاسم بن سعيد الصدغياني عن شيخه أبي زيد عبد الرحمن بن أحمد الحيلاتي عن أبي يوسف بن صالح التندميرتي عن أبي النجاة يونس التعريتي الخيري عن أبي زكرياء بن أفلح الصدغياني عن أبي عمران موسى بن أيوب عن أبي الحياة يعيش بن موسى الزواغي بحومة أولاد أبي علي مسكنا عن أبي البر صالح المغراوي عن عمنا أبي سعيد عثمان الزراتي عن يفاو الأبدلاني عن ميمون بن تكيس الورغمي الساكن بأبدِلان عن أبي عمر عثمان بن خليفة عن أبي العباس أحمد بن محمد بن بكر عن أبي الربيع سليمان بن يخلف المزاتي عن أبي عبد الله محمد بن بكر.

ثم تفترق النسبة إلى طريقين:

- طريق إسناد المغرب (أهل وارجلان وأريغ): أبو عبد الله عن أبي نوح سعيد بن زنغيل عن أبي خزر عن سحنون بن أيوب عن سعيد بن أبي يونس وسيم بن نصر عن الإمام أفلح عن والده عبد الوهاب عن الإمام أبيه عبد الرحمن بن رستم عن أبي عبيدة ... الخ.

- إسناد أهل جربة: أبو عبد الله محمد بن بكر عن أبي زكرياء عن أبيه أبي مسور يسجا عن أبي معروف عن محمد بن يانس عن أبي خليل يس من أهل دركل عن حملة العلم وهم: أبو الخطاب المعافري وعبد الرحمن بن رستم وإسماعيل بن درار الغدامسي وعاصم السدراتي وداود القبلّي عن أبي عبيدة[1].

٧. نسب الدين لأبي القاسم بن يحي المصعبي الغرداوي (ت١١٠٢هـ)

الشيخ أبو القاسم بن يحي من علماء وادي مزاب المغمورين، له العديد من المؤلفات، منها شرح على الأجرومية، ومنها ٣ أعمال على نسب الدين:

- الأول: أسند المؤلف فيه دينه إلى أستاذه الشيخ أبي عمران موسى بن محمد التجنيني المصعبي عن عيسى بن سليمان اليسجني عن أبي عبد الله محمد بن سعيد اليسجني عن أبي سليمان داود التلاتي ... إلى آخر النسبة التي ستأتي في الإسناد الجامع. وقد وضع أبو القاسم هذه النسبة نثرا ونظما في ٢٣ بيتا، ومطلع النظم:

-الثاني: وفيه يصرح الشيخ أبو القاسم بأخذه العلم عن الشيخ صالح بن أبي القاسم عن والده، عن أبي عبد الله محمد بن سعيد اليسجني عن أبي سليمان داود التلاتي ... إلى آخر النسبة التي ستأتي في الإسناد الجامع. وقد وضع أبو القاسم هذه النسبة نثرا ونظما في ٢١ بيتا، ومطلع النظم:

(١) محمد بن يوسف المصعبي، شرح الحائية، ص: ٠٩.

أيـا سـائلا عـن نسـبة الديـن هـاك مـا طلبـت بعـون الله قـــولا منظمـا

أخـذتُ عـن الشـيخ المكـرم صالـح عـن والـده أعنـي أبـا الفضـل قاسـما

عـن محمـد اليسـجني وشيـــخه داوود التلاتـــــي لجربـة ينتمـا[1]

الثالث: ويوجد ضمن قصيدة نونية طويلة لأبي القاسم تضم ١٩٩ بيتا، ضمّنها مدحا لعلماء الإباضية، ومدْحَ إمام الإباضية في عمان في عصره أحمد بن يوسف، ومدْحَ شيخ عماني زائر لوادي مزاب واسمه: أحمد بن يحي العماني، ثم ختم القصيدة بنسب الدين حيث صرح بأخذه العلم عن الشيخ أبي عمران موسى بن محمد التجنيني المصعبي، حيث يقول:

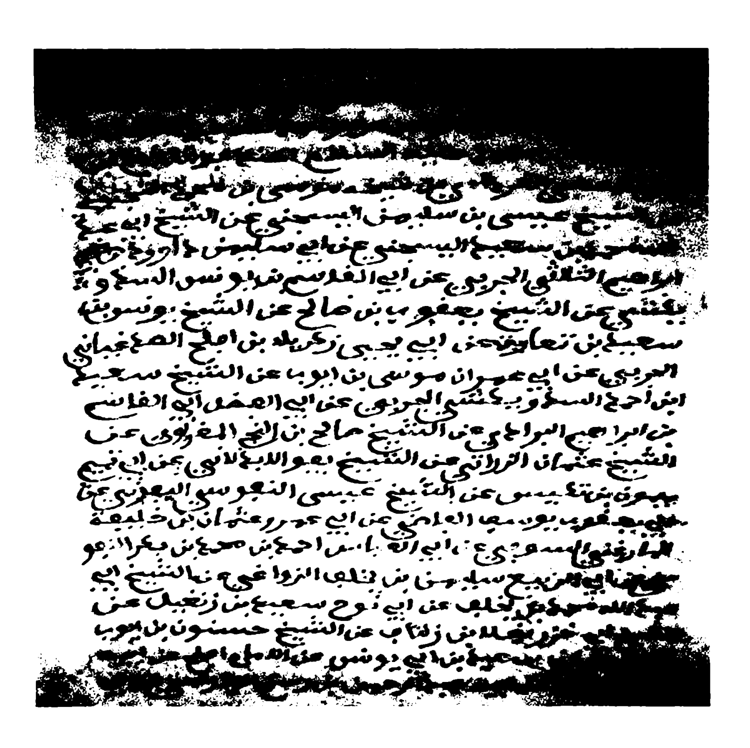
أخذتـه عـن سـيدي وســـــندي وقدوتـي وهـو أبـو عمـران

موسـى سـليل أحمـد المصـــعبي أســـتاذنا ذو العلـم والبيـان

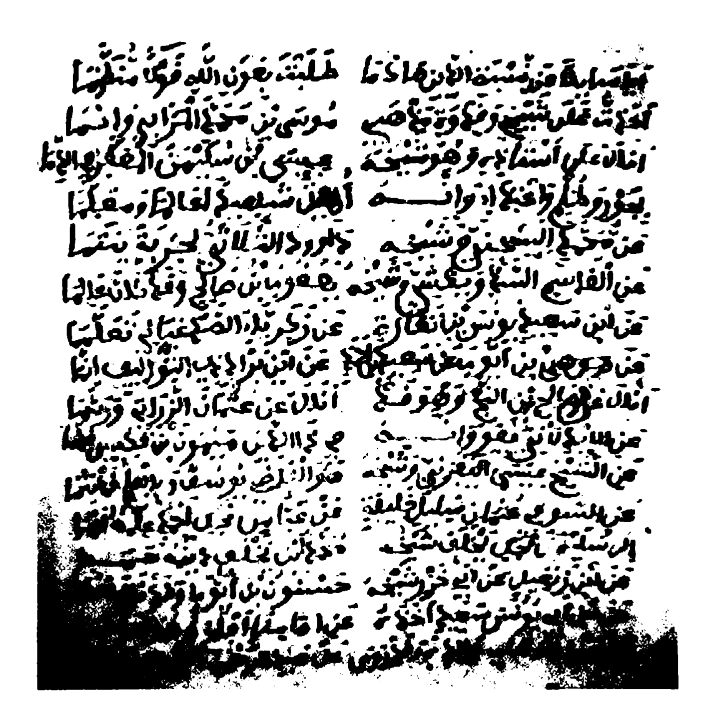
أخـذ عـن عيسـى النفوسـي وهـو قـد أخـذه عـن محمـد اليسجـان[2]

(١) يوجد هذا النسب مخطوطا في خزانة عشيرة آل افضل ببني يزقن.

(٢) توجد نسخ عديدة مخطوطة من القصيدة، بحوزة الباحث ثلاث نسخ إحداهن من مكتبة الشيخ الحاج بابكر بن مسعود الغرداوي، والأخرى من خزانة الشيخ عمي سعيد الخاصة، والثالثة من خزانة عشيرة آل يدر ببني يزقن .



نسب الدين الأول للشيخ أبي القاسم بن يحي المصعبي نثرا بخطه



نسب الدين الأول للشيخ أبي القاسم بن يحيى المصعبي نظما بخطه

٨.عمل الشيخ امحمد بن يوسف اطفيش (١٣٣٢هـ):

أورد الشيخ اطفيش في كتابه «الرسالة المختصرة في بعض التواريخ» نسب الدين بداية من جده الأعلى الشيخ محمد بن عبد العزيز مسندا دينه إلى أبي مهدى عيسى بن إسماعيل عن الشيخ سعيد الجربى عن أبي النجاة يونس بن سعيد التعاريتي... إلى آخر النسبة المعروفة والتي ستأتي في الإسناد الجامع.

ويفهم من كلام الشيخ اطفيش أنه قام بجمع ما أمكن له من طرق نسب الدين وقام بوصلها والمقارنة بينها، ثم سجل ملاحظة هامة قائلا: « ...ثم إنه لا يخفى أن أهل كل عصر لا يجتمعون على الأخذ من عالم واحد بل لهم طرق لا تحصى ومعناها واحد ومنتهاها واحد»[١].

ثم ضرب لتلك الطرق أمثلة، فمن القرن السادس نسب الشيخ مقرن بن محمد البغطورى عن أبي محمد عبد الله بن محمد المجدلي عن أبي الربيع سليمان بن موسى... الخ.

ومن القرن الثامن نسب الشيخ عامر بن علي الشماخي عن عيسى بن عيسى الطرميسي... الخ.

وفي القرن العاشر نسب محمد بن زكرياء الباروني عن أبي سليمان داود بن ابراهيم التلاتي الجربى...الخ[٢].

وقريبٌ من عمل الشيخ اطفيش ما قام به الشيخ عبد الله بن يحي الباروني (ت:١٣٣٣٢ه) في مؤلفه «رسالة سلم العامة والمبتدئين»، وقد اكتفى بنقل ما كتبه سابقوه من نسب الدين عند أهل جبل نفوسة، مبينا لطرق النسب ولم يضف اطفيش ولا الباروني النسب الذي يصلهم ويصل معاصريهم بمن قبلهم[٣].

---

(١) امحمد بن يوسف اطفيش، الرسالة المختصرة في بعض التواريخ، ص: ٨٥.

(٢) امحمد بن يوسف اطفيش، م س، ص: ٨٥.

(٣) عبد الله بن يحي الباروني، رسالة سلم العامة والمبتدئين، ص: ٤٤.

٩. نسب الدين لأبي اليقظان إبراهيم بن عيسى المزابي (ت ١٣٩٤هـ)

من علماء الإباضية المعاصرين الذين اهتموا بكتابة نسب الدين كسلفهم الشيخ أبو اليقظان إبراهيم بن عيسى القراري المزابي، ويعد عمله هذا ذا أهمية من قِبل ما أضافه من حلقات الاتصال لطريق رواية العلم في وادي مزاب، بحيث تتصل سلسلة النسب من عصر الكاتب إلى العصر النبوي، وقال في مستهل ما كتبه من نسبه الديني: «أما بعد فهذا ما ثبت عندنا من نسب الدين وسنده منا إلى رسول الله ﷺ وهو كما يأتي:

أخذت أنا أبا اليقظان إبراهيم بن الحاج عيسى وأنا معاصر للشيخ بيوض إبراهيم بن عمر، أخذنا معا عن شيخنا الحاج عمر بن يحي عن الشيخ اطفيش أمحمد بن يوسف عن أخيه الحاج إبراهيم بن يوسف عن عمر بن سليمان نوح عن الشيخ أبي بكر بن كاسي القراري عن الشيخ الحاج يوسف بن حمو عن الشيخ عبد العزيز الثميني عن الشيخ يحي بن صالح...الخ»[1].

١٠. عمل الأستاذ ج أحمد بن حمو كروم (معاصر)

قام الباحث ج أحمد كروم في بحثه «الحديث والمحدثون عند الإباضية» وفي صدد معالجته لإشكالية الإسناد عند الإباضية بإيراد سلسلةٍ لإسناد المذهب الإباضي، وقال إنه اقترحها مما توصل إليه جراء البحث في كتب التاريخ، رجاء أن تكون نواة لسلسلة تامة يمكن أن تكتمل في المستقبل.

وامتازت سلسلته بربط العلماء الأحياء الذين عاصرهم وهم من طبقة تلاميذ طلبة الشيخ امحمد بن يوسف اطفيش، وهي تبدأ بفرعين يلتقيان عند القطب، الأول يبدأ من الشيخ الناصر بن محمد المرموري عن الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض عن الشيخ الحاج عمر بن يحي ويرو عن القطب اطفيش، والثاني يبدأ من الشيخ بالحاج بن عدون قشار عن الشيخ محمد بن سليمان مطهري عن الشيخ إبراهيم بن بكير حفار عن القطب اطفيش، إلى آخر النسبة المعروفة والتي ستأتي في الإسناد الجامع[2].

---

(١)أحمد فرصوص، أبو اليقظان كما عرفته، ص: ١٣٧.

(٢)الحاج أحمد كروم، الحديث والمحدثون عند الإباضية، ص: ١٢١، ١٢٢.

١١. عمل أمغار بن صابر الصدغياني (ق١١هـ)

ذُكر في ترجمة الشيخ أمغار بن صابر الصدغياني (ق١١هـ): في معجم أعلام الإباضية[1] أن له نظما في رفع المذهب الإباضي - في السند والرواية - إلى الرسول ﷺ، لكن لم نقف على ذلك في حدود اطلاعنا المتواضع.

- **ملاحظات:**

عند التأمل فيما سبق من المؤلفات التي عُنيت بنسب الدين عند الإباضية بالمغرب فإنه تبدو للباحث جملة من الملاحظات هي في الحقيقة مكمن الأهمية في هذه المؤلفات، ويمكن إيجاز تلك الملاحظات فيما يلي:

١. إن كل عمل مما سبق عرضه من المؤلفات التي عُنيت بنسب الدين عند الإباضية بالمغرب يعكس جانبا مهما من واقع النشاط العلمي والحراك الثقافي الإباضي في إقليم المؤلف، فنسب أبي عمرو عثمان بن خليفة السوفي (ق٦هـ) مثلا يعكس ذلك في منطقة أريغ ووارجلان.

ونسبه مع نسب مقرن بن محمد البغطوري النفوسي (حي في ٥٩٩هـ) ونسب الدين لخليفة وسعيد النفوسيين (ق٨هـ) يعكسان ذلك في منطقة جبل نفوسة، وفي نسبة الدين للشيخ محمد بن زكرياء الباروني (ت: ٩٩٧هـ) شيء من ذلك.

كما أن نسب الباروني مع نسب الدين للشيخ سليمان بن أحمد الحيلاتي (ت: ١٠٩٩هـ) يعطيان صورة للحركة العلمية وروادها في جزيرة جربة.

أما نسب أبي مهدي عيسى بن إسماعيل المليكي المصعبي (ت: ٩٧١هـ) ونسب أبي القاسم بن يحي المصعبي الغرداوي (ت١١٠٢هـ) مع عمل الشيخ امحمد بن يوسف اطفيش (١٣٣٢هـ) ونسب أبي اليقظان إبراهيم بن عيسى المزابي (ت ١٣٩٤ه) كل ذلك يشكل صورة جلية عن الازدهار العلمي والرواج الثقافي في منطقة وادي مزاب.

٢. هذه الأعمال المعروضة من طرق نسب الدين لمؤلفين مختلفي البلدان تفيد عند تأملها زمنيا تطور مسيرة التواجد الإباضي بالمغرب، فالتأليف في نسب الدين يدل نسبيا على استقرار الحركة

---

(١) قسم المغرب، الترجمة: ١٢٠.

العلميـة وتجذرهـا ورواجهـا، فنلاحـظ ذلـك بنـاء علـى التأمـل فـي الأعمـال السـابقة أن التواجـد الإباضـي تطـور بالانتقـال مـن وارجـلان إلـى جبـل نفوسـة إلـى جزيـرة جربـة، ثـم إلـى وادي مـزاب مؤخـرا.

٣. هـذه الأعمـال المعروضـة تمكـن الباحـث مـن معلومـات مهمـة تتعلـق بالتواصـل بيـن مناطـق التواجـد الإباضـي ومـا كان بينهـا مـن هجـرات للعلمـاء وبعثـات طلابيـة ورحـلات فـي طلـب العلـم ومـا إلـى ذلـك، فممـا أفادتـه هـذه الأعمـال:

- تنقل أبي سليمان داود التلاتي الجربي بين جربة وجبل نفوسة لطلب العلم.
- تنقل محمد بن زكرياء الباروني النفوسي بين جبل نفوسة وجربة ووادي مزاب لطلب العلم.
- هجرة عائلة أبي يعقوب المصعبي من وادي مزاب إلى جربة للتعلم والتعليم.
- هجرة الشيخ عمي سعيد الجربي إلى وادي مزاب للدعوة والتعليم.

• السلسلة الجامعة (الإسناد الجامع) لطرق نسب الدين عند الإباضية بالمغرب:

يرجـع اهتمـام الباحـث بجمـع طـرق نسـب الديـن عنـد الإباضيـة بالمغـرب إلـى مـا قبـل عقـد ونصـف مـن الزمـن، وذلـك فـي إطـار السـعي لاسـتجلاء تاريـخ الحركـة العلميـة بـوادي مـزاب وتتبـع مراحلهـا، وقـد تـم لـه جمـع كل مـا أُلـف فـي هـذا الصـدد، فمنـذ ذلـك الحيـن وضـع مسـودة لسلسـلة جامعـة[١]، وقـد اسـتثمرها بعـض الباحثيـن فـي أعمالهـم[٢].

ولـم أجـد -بعـد بحـث طويـل- عمـلا يضـم ربطـا لـكل طـرق نسـب الديـن، إلا مـا اطلعـتُ عليـه قبـل سـنتين تقريبـا مـن محاولـة مطبوعـة علـى شـرائح مـن الـورق المقوى، بعنـوان «السلسـلة الذهبيـة» قـام بإعدادهـا مجموعـة مـن الطلبـة تحـت إشـراف الأسـتاذ موسـى بـن إبراهيـم قزريـط. وقـد ظهـر فـي هـذا العمـل الاهتمـام بإبـراز رجـال الحركـة العلميـة فـي مدينـة غردايـة بـوادي مـزاب ومشـايخ العزابـة بمسـجدها[٣].

---

(١) كان ذلك بتحفيز ومساعدة بعض الإخوان، وهم بالأخص: الأستاذ سعيد بن قاسم بوكرموش، والفاضل إسماعيل بن محمد بوررو.

(٢) منهم الباحث نور الدين كروشي في إطار أطروحته للماجستير في التاريخ، المتضمنة تحقيقا لجزء من كتاب «ملحق لسير الشماخي» تأليف الشيخ أبي اليقظان إبراهيم.

(٣) طلبة حلقات العلم لأهل الحق والثبات، إشراف قزريط موسى، السلسلة الذهبية، كله.

خاتمة: نتائج وتوصيات

١. أتاح هذا البحث التعرف على نمط خاص من الكتابة التاريخية عند الإباضية، يُعرف بنسب الدين، أو رفع المذهب أو إسناد المذهب، وهو فن يكاد يكون خاصا بالإباضية بالنظر إلى الاهتمام به والتأكيد على توثيقه في مختلف العصور، وهو يعدّ ضرباً من ضروب الكتابة في السيرة عند الإباضية. وشبيه به ما عرف عند علماء الأندلس بكتب البرامج.

٢. يكتسي فن نسب الدين أهمية من عدة جوانب:

- من الجانب التاريخي للحركة العلمية، حيث يفصح عن قنوات التواصل بين المناطق الإباضية، ويدل على تاريخ الوجود الإباضي في المناطق المختلفة، كما يفيد فيما يتعلق بالرحلات والبعثات العلمية.

- من الجانب التوثيقي للإسناد الديني بحيث يعتبر نسب الدين هو الطريقة المعتمدة لدى الإباضية منذ القديم لرواية علوم الدين عامة، عن طريق العلماء والشيوخ المتصدرين لحلقات التعليم والإفتاء.

٣. تبيّن بعد جمع طرق نسب الدين عند الإباضية بالمغرب أن في النسب الجامع حلقات مرجعية كان علماؤها انتهى إليهم العلم في المغرب الإباضي بكافة، وتتمثل هذه الحلقات فيما يلي:

- حملة العلم وهم:في ق٢هـ: عبد الرحمن بن رستم الفارسي، أبو داود القبلي القنطراري، أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري، عاصم السدراتي، أبو الزاجر إسماعيل بن درار الغدامسي.
- في ق٥هـ: أبو عبد الله محمد بن بكر الفرسطائي النفوسي.
- في ق١٠هـ: أبو سليمان داود بن إبراهيم التلاتي.
- في ق١٣هـ: القطب الشيخ امحمد بن يوسف اطفيش.

٤. يوصي الباحث بضرورة تجلية موضوع الإسناد والنسب الديني والتعمق فيه، فهو من صلب الكتابة التاريخية عند الإباضية، وهو مما يميز الهوية الإباضية عبر مراحلها التاريخية.

المصادر والمراجع

• أحمد بن حمد الخليلي:

١. وسقط القناع، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، السيب، سلطنة عُمان، ط١: ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

أحمد بن سعيد الدرجيني، أبو العباس:

٢. طبقات المشايخ بالمغرب، تحقيق براهيم محمد طلاي، ط٢، د.م.ط، د.ت.ط.

أحمد بن سعيد الشماخي، أبو العباس:

٣. كتاب السير، طبع على ذمة ملتزمه محمد بن يوسف الباروني وشركاؤه، ١٣٠١هـ.

أحمد بن علي القلقشندي، أبو العباس:

٤. صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر. مطابع كوستاتسوماس وشركاؤه، القاهرة.

أحمد بن علي الخطيب البغدادي:

٥. الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع،مؤسسة الرسالة للطبع والنشر والتوزيع: بيروت. ط٣: ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

أحمد بن محمد فرصوص:

٦. أبو اليقظان كما عرفته، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، السيب، سلطنة عُمان، ط٢: ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

• أمحمد بن يوسف اطفيش:

١. الرسالة المختصرة في بعض التواريخ، ط١، على يد الحاج بكير بن الحاج قاسم بن الشيخ بالحاج القراري، طبعة حجرية، من نسخة نسخت بتاريخ: ٢٨ محرم ١٢٩٩هـ.

٢. شرح النيل وشفاء العليل، نشر: دار الفتح، بيروت؛ مكتبة الإرشاد، جدة؛ دار التراث العربي، ليبيا. ط٢: ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.

• الأمل المشرق، الموقع:

١. معجم أعلام الإباضية: الإصدار ٠٢، (نسخة الكترونية).

• بشير بن موسى الحاج موسى:

١. الشيخ سعيد بن علي بن يحي الخيري الجربي..، حياته ودوره في نهضة وادي ميزاب، نشر مؤسسة الشيخ عمي سعيد، غرداية. ط٢: ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

٢. الشيخ أبو القاسم بن يحي المصعبي الغرداوي: مدخل لدراسة حياته وآثاره، (مقالات غير منشورة).

٣. سلسلة نسب الدين وطريق انتقال أمانة الإسلام عبر الأجيال وبيان مراحل وصولها إلى مواطن الإباضية بالمغرب من ق١ إلى ق١٤هـ، (عمل غير منشور).

الحاج أحمد بن حمو كروم:

٤. الحديث والمحدثون عند الإباضية، بحث مرقون، نشر جمعية عمي سعيد، ١٩٩٨م.

٥. إساهمات المدرسة الإباضية في خدمة السنة النبوية،نشر: مركب المنار بالجزائر، ط١: ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.

• حمو بن عمر فخار:

١. كان حديثا حسنا، نشر: جمعية التراث، القرارة-غرداية-الجزائر.ط١: ١٤٢٠ه/٢٠٠٠م.

خميس بن راشد العدوي، زكرياء بن خليفة المحرمي، خالد بن مبارك الوهيبي:

٢. السنة الوحي والحكمة، قراءة في نصوص المدرسة الإباضية، مكتبة الغبيراء: سلطنة عُمان.ط١: ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

• راغب السرجاني:

١. الإجازة سبق إسلامي وتقليد غربي، مقال منشور في الموقع الالكتروني: «قصة الإسلام».

رواية إيجيكوم (شركة):

٢. الجامع للحديث النبوي، أدق وأعظم موسوعة لكتب السنة (موقع الكتروني: www. sonnaonline.com).

• سليمان بن ج باسه بامون:

١. منظومة معراج المجتهد في علم التجويد، نشره المؤلف بالتصوير، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

سليمان بن عبد السلام الوسياني، أبو الربيع:

٢. سير الوسياني، دراسة وتحقيق: عمر بن لقمان حمو سليمان بوعصبانة، ط١: ٢٠٠٩.

• صبحي الصالح:

١. علوم الحديث ومصطلحه، دار العلم للملايين: بيروت-لبنان. ط١٤: ١٩٧٢م.

عبد الله بن حميد السالمي أبو محمد:

٢. شرح الجامع الصحيح مسند الإمام الربيع بن حبيب، نشر: مكتبة الإمام السالمي، سلطنة عُمان. ط١٠: ٢٠٠٤م.

• عبد الله خلف الحمد:

١. الإسناد وأهميته في نقد مرويات التاريخ الإسلامي، بحث غير منشور.

عبد الله بن مداد العماني:

٢. سيرة ابن مداد، نشر وزارة التراث: سلطنة عُمان. ط١: ١٩٨٤م.

عبد الله بن يحي الباروني النفوسي:

٣. رسالة سلم العامة والمبتدئين إلى معرفة أئمة الدين، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، سلكنة عُمان. ط١: ١٤١٢ه/١٩٩٢م.

• عماني مجهول:

١. كشف الغمة وبيان فرق الأمة، مخطوط، خزانة الشيخ الحاج بابكر، غرداية/ الجزائر.

• مؤسسة الشيخ عمي سعيد، غرداية/ الجزائر:

١. الفهارس العشرة للمخطوطات، (قرص مضغوط): ٢٠١٠م.

• مؤسسة المكتبة الشاملة:

١. المكتبة الشاملة،برعاية مكتب الدعوة بالروضة، (موقع الكتروني: shamela.ws)

• محمد بن زكرياء الباروني:

١. نسبة الدين، ملحقة بسير الشماخي، طبع على ذمة ملتزمه محمد بن يوسف الباروني وشركاؤه، ١٣٠١هـ.

• محمد بن يوسف المصعبي:

١. شرح الحائية المسماة بتحريض الطلبة، طبع على ذمة ملتزميه: رمضان يحي الليني الخيري الجربي وشريكه الحاج محمد بن عيسى اليسجني، مطبعة كستليولا، مصر، ط١: ١٣١٥هـ.

• مجموعة من الباحثين:

١. معجم مصطلحات الإباضية: وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عمان، ط١: ٢٠٠٨.

• مسلم بن أبي كريمة، أبو عبيدة:

١. مسائل أبي عبيدة، مخطوط، نسخة خزانة دار التعليم بغرداية، الجزائر (نسخة مصورة بحوزة الباحث).

• مصطفى بن محمد شريفي:

١. المكتبة الشاملة الإباضية: جمعية التراث، القرارة، الجزائر، الإصدار٠٢: ٢٠١٠،(نسخة الكترونية).

• مقرن بن محمد البغطوري:

١. سيرة أهل نفوسة، مخطوط، مصور بمكتبة مؤسسة الشيخ عمي سعيد، غرداية الجزائر.

٢. نسبة الدين، مخطوط، خزانة دار التلاميذ، غرداية، الجزائر.

• نور الدين عتر:

١. منهج النقد في علوم الحديث، دار الفكر المعاصر: بيروت-لبنان، دار الفكر: دمشق-سورية.ط٣: ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

• هناء دويْدري:

١. السّند العلمي في كتب برامج العلماء في الأندلس، مقال منشور في الموقع الالكتروني: «شبكة سحاب السلفية».

منهجية الشيخ محمد بن عبدالله بن مداد الناعبي في كتابة سيرته المعروفة بسيرة العلماء

بدرية بنت علي بن جمعة الشعيبي

أستاذة محاضرة بجامعة السلطان قابوس/ سلطنة عُمان

baj1332003@gmail.com

المقدمة

تعد سيرة ابن مداد من المصادر المهمة في دراسة التاريخ العماني ؛ نظرا لكونها من أقدم المصادر العمانية التي تستعرض علماء الإباضية بداية بالإمام جابر بن زيد وتلامذته بالبصرة مرورا بعلماء عمان في القرن الأول الهجري وحتى القرن التاسع الهجري، قدم ابن مداد أثناء استعراضه لأسماء العلماء، وكنيتهم ،وحالتهم الصحية ، ومن الأمثلة على ذلك تحديده للعالم ما إذا كان العالم أصم أو أعمى أو أعرج ، وحدد الطريقة الصحيحة في نطق اسم العالم حيث ذكر « وأما صحار بضم الصاد صحار بن العبد» . وفي موضع آخر يقول ابن مداد « ومسعدة بن تميم ومسعدة بفتح الميم»، كما حدد أماكن إقامة العلماء ، والمناصب التي تبوؤها ، وحدد تاريخ وفاتهم .

تأتي أهمية السيرة أنها تفردت بذكر عدد من العلماء لم يعرف عنهم حتى الآن الكثير من المعلومات ، وإنما تعد السيرة هي المصدر الأول الذي ذكرهم فلو لم يذكرهم ابن مداد لطواهم الإهمال والنسيان على مر الزمن ولما عرفوا في وقتنا الحاضر ولو بالاسم فقط ، منهم على سبيل المثال أحمد بن محمد بن عمر المنحي ، أحمد بن محمد بن صالح النزوي ، أحمد بن أبي الحسن بن سعيد بن أحمد النزوي ، جعفر بن المبشر ، جعفر بن زياد ، جيفر بن محمد بن النعمان ، الحسن بن زياد النزوي ، سعوة بن الفضل الإبراني ، عبدالمقتدر بن جيفر ، عبدالله بن

الحكم النزوي ، وعبدالمقتدر بن الحكم ، وعبدالله بن محمد بن زنباغ وغيرهم كثيرون ذكرهم ابن مداد ، ولكن لا يعرف عنهم إلا ما كتبه عنهم في سيرته .

اعتمدت الكثير من الكتابات اللاحقة على سيرة ابن مداد ، حيث نقلت المصادر اللاحقة عليها مثل سرحان بن سعيد الأزكوي في كتابه كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة ، و عبد الله بن محمد بن عامر الخراسيني في الجزء الأول من كتابه فواكه العلوم في طاعة الحي القيوم ، والشيخ خميس بن سعيد الشقصي في الجزء الأول أيضا من كتابه منهج الطالبين وبلاغ الراغبين ، حيث نقل العلماء الثلاثة السالفين الذكر عن ابن مداد نقلا حرفيا . واعتمد الشيخ نور الدين عبد الله بن حميد السالمي على سيرة ابن مداد اعتمادا كبيرا في كتابه اللمعة المرضية من أشعة الإباضية ، التي خصصها للمؤلفات الإباضية ، كما رجع السالمي للسيرة في كتابة عدد من مواضيع تحفته .

وفي هذه الدراسة سنتناول سيرة الشيخ محمد بن عبدالله بن مداد الناعبي من حيث :

أولا : التعريف بمؤلف السيرة الشيخ محمد بن عبدالله الناعبي ، ودراسة حياته العلمية والتعرف على مؤلفاته والعصر الذي عاشه ، ودوره السياسي والاجتماعي.

ثانيا : التحقيق في نسبة سيرة العلماء إلى الشيخ محمد بن عبدالله ، وتوثيق العنوان من خلال دراسة نسخ مخطوطات السيرة .

ثالثا : منهجية ابن مداد في كتابة السيرة ، ودراسة فصول السيرة للتعرف على محتوياتها .

رابعا : مصادر ابن مداد في كتابة السيرة ، وقسيمها إلى مصادر إباضية وغير إباضية .

• أولا : التعريف بالشيخ محمد بن عبد الله المدادي الناعبي :

أ. اسمه ونشأته

هو أبو عبد الله ، محمد بن عبدالله بن مداد بن محمد الناعبي ، ولد بقرية العقر بسفالة نزوى، لم تذكر المصادر سنة ولادته ولكننا نرجح أنها كانت في النصف الأول من القرن التاسع

الهجري ، نشأ وأخيه الأصغر مداد في كنف والديهما ، ورباهما أبوهما تربية علم وحب للمعرفة والاطلاع ؛ فنبغ الولدين وبلغا درجة كبيرة من العلم وأصبحا في مصاف العلماء ، وكان محمد أكثر الولدين حبا للمعرفة والاطلاع الديني واللغوي ، و أيضا في مجالي الفلسفة والطب ، وبلغ من العلم مكانة أهلته لتقدم والده وأخاه ، وأصبح مرجع لفتاوى العامة ومجال احترام وتقدير العلماء[1]، ويتضح ذلك من خلال ما أورده البطاشي من استعراضه لنصوص وردت في الأثر تشير إلى تقدم محمد بن عبدالله وتصدر مكانته العلمية، وبلوغه منزلة علمية مرموقة ، حيث ذكر» ومما نقل من خط الفقيه محمد بن سليمان صحيح عندي وثابت لدي ما قد صح عند الشيخين عبد الله بن مداد ، ومحمد بن عبد الله واثبتاه في هذه الورقة ، فهو عندي ثابت كتبه محمد بن سليمان بن أحمد بيده» [2] .

شارك الشيخ محمد بن عبدالله في الحياة الثقافية ، فكانت له الكثير من الآراء حول المسائل الفقهية أو الطبية التي تعرض على العلماء في عصره ، حيث كانت تعرض مسائل فقهية على عدد من الفقهاء ويطلب رأيهم فيها ، أو قد يناقش أحد العلماء أقرانه من العلماء للتباحث في مسألة ما ، شارك الشيخ محمد في مثل هذا النوع من المناقشات ، وكانت له آراؤه التي حظيت بتقدير من زملائه علماء عصره ، ففي كثير من هذه الفتاوي يوصف الشيخ محمد بأنه الشيخ العالم الحبر، أو العلامة ، ويصفه الشيخ ابن عبيدان وهو أحد علماء دولة اليعاربة حين يستشهد بالشيخ محمد بن عبد الله بقوله : « بأنه الشيخ العلامة محمد بن عبدالله»[3]، كما وصفه أحد النساخ بأنه " الشيخ العالم الأبر، شمس الملة والدين ،جمال الإسلام والمسلمين» [4].

ب. تعليمه وشيوخه :

لم تورد المصادر أي معلومات حول نوعية التعليم الذي تلقاه محمد بن عبد الله بن مداد ، ولا من هم شيوخه ، إلا أنه يمكن استنباط ذلك من خلال مؤلفاته ، و أبرز علماء نزوى في فترة

(١) البطاشي ، سيف بن حمود بن حامد . إتحاف الأعيان في تاريخ بعض علماء عمان . ط١ ، مكتبة السيد محمد بن أحمد البوسعيدي . السيب . ١٩٩٤ م ، ج٢ ، ص ٧١ .

(٢) نفسه ، ص ٧١ .

(٣) نفسه ، ص ٧٤- ٧٥.

(٤) مخطوط لبيان الشرع ، مكتبة الشيخ ناصر بن راشد الخروصي ، العوابي ، رقم المخطوط NK11 .

طفولته والذين بلا شك التقى بهم ابن مداد ودرس على يديهم أو تأثر بهم ، ومن أهم علماء نزوى في تلك الفترة :

١.الشيخ عبد الله بن مداد بن محمد الناعبي

تلقى محمد بن عبدالله علومه الأولى على يد والده عبد الله بن مداد الذي كان من أبرز علماء عصره ، ومرجع الفتيا ، ومحل تقدير واحترام من العلماء والأئمة ، عرف عنه ضلوعه في الطب ، وعلم السر والأوفاق [١]، وفي علم الكيمياء ، والفقه ، والشعر، وله مناظرات شعرية مع الشيخ مفرج بن أحمد بن أبي النضر ، ولم يكن الشيخ محمد هو التلميذ الوحيد عند والده بل كان برفقته أخاه مداد ، وظل الشيخ عبدالله محمد بن علي المعروف بابن عبد الباقي .

شارك الشيخ عبد الله بن مداد في المناقشات العلمية الفقهية التي كانت تتم بين علماء عصره حول المسائل الفقيه التي ترد من الناس والتي يطلبون فيها معرفة الحكم الشرعي ، ومن الأمثلة على تلك المناقشات حين ورد للشيخ ابن عبد الباقي مسألة حول امرأة وعدت زوجها بتمليكه نصف بيتها إن أنفق على ابنتها اليتيمة عشر سنين ، فوافق الزوج على ذلك وفعلا أنفق على الفتاة عدد من السنين ، إلا أن الفتاة وافها الأجل قبل انقضاء المدة المحددة ، فما رأي الشرع في ذلك . هنا دار نقاش فقهي بين عدد من العلماء في تلك الفترة منهم الشيخ صالح بن محمد، والشيخ ابن عبد الباقي ، وشارك عبد الله بن مداد في هذا النقاش فكان رأيه أن الاتفاق أصبح ملغي وتعاد له نقوده التي أنفقها على الفتاة ، أما الشيخ صالح فقد قال أن للرجل نصف البيت وأن عليه تعويض السنين الباقية عليه بأن يدفعها لورثت الفتاة ، أما الشيخ ورد بن أحمد فقد قال أن الرجل ليس له من البيت شئ ولا من ماله الذي أنفقه ، وساند الشيخ ابن عبد الباقي استاذه الشيخ عبد الله بن مداد واعتبر رأيه هو الأقرب إلى الصواب [٢].

---

(١) علم الأوفاق هو علم يبحث في التوافق بين الحرف والرقم وتستخرج منه أسرار الآيات القرآنية .

(٢)البطاشي ، المرجع السابق ، ج٢ ، ص ١٤٩ – ١٥٠ .

ظل الشيخ عبدالله منارة للعلم سخر وقته لخدمة العلم والعلماء حتى آخر نفس من حياته حيث رثاه أحد طلابه وهو الشيخ محمد بن علي بن عبدالباقي ، الذي حزن كثيرا على فراق معلمه فكتب قصيدة يصف فيها أستاذه فنعاه بأجمل العبارات وأعذبها ، حيث قال :

بقراط مفلوجا مضى لسبيله ... ومبرسما قد مات أفلاطون

وكذلك رسطاليس مفلوجا مضى ... أيضا وجالينوسهم مبطون

وأبو علي هالك في شجة ... ومع الخلافة ساورته منون

ما إن دواء الداء إلا للذي ... إن قال للمعدوم كن فيكون

وكذلك عبد الله مات ميبسا ... ولسانه في حلقه مخزون

فهو الحكيم ولا حكيم كمثله ... تاهت به يوم الفخار مزون

شذاك ابن مداد الفقيه المرتضى ... بحر العلوم مهذب مأمون

علامة في دهره فهامه ... در العلوم بقلبه مكنون

فلتبكه محاجرنا دما ... ولتذر أدمعها عليه عيون

فلكم وكم ماهر في طبه ... أودى ببطن ضريحه مدفون

فعليه رحمة ربه وسلامه ... ما لاح برق في الوكور حنون

فأذهب عليك من المهيمن رحمة ... وأعلم بأني بعدك المحزون (١)

(١) المرجع السابق ، ج٢،ص ٨٦-٩٦.

٢. الشيخ محمد بن مداد بن محمد بن مداد الناعبي

من أبرز شيوخ محمد بن عبد الله عمه الشاعر والفقيه محمد بن مداد ، الذي بلا شك درس على يديه الشعر وعلوم اللغة العربية ، فالشاعر محمد بن مداد قرأ الشعر ، وتعلم علوم اللغة العربية وآدابها، فنبغ في نظم الشعر[1]، وله ديوان شعري تناول فيه الكثير من المواضيع والمناسبات وله عدد من القصائد تتناول علماء المذهب الإباضي[2] .

٣. القاضي ورد بن أحمد بن مفرج بن أحمد بن مفرج البهلوي

القاضي ورد بن أحمد من عائلة علمية اشتهر أفرادها بالعلم ، تلقى تعليمه عن أبيه الشيخ أحمد بن مفرج ، نال الشيخ ورد احترام العلماء والأئمة الذين عاصرهم ، حيث استشاره الإمام أبو الحسن بن خميس بن عامر في أموال بني ربيعة الذين خرجوا عن طاعة الإمام ، فأفتى الشيخ ورد بمعاقبة بني ربيعة وذلك بقطع نخيلهم ، و له عدد من الفتاوى في كتب الأثر ، ويرجح البطاشي أن من تأليف الشيخ ورد كتاب المآثر ، انتقل الشيخ ورد إلى رحمة الله تعالى يوم الأربعاء عند زوال شمس السابع والعشرين من شهر ذي الحجة سنة ٨٧٤ هـ / ٢٧ يوليو ١٤٧٠ م [3].

٤. الشيخ صالح بن وضاح بن محمد بن أبي الحسن المنحي

نشأ في بيت علم و دين ، فوالده الشيخ وضاح من علماء عصره ، تلقى تعليمه على يد والده والشيخ أحمد بن مفرج البهلوي ، يصفه البطاشي بأنه من أغزر علماء عصره من خلال الأجوبة الفقهية التي أفتا فيها ، حصل الشيخ صالح على إجازة علمية في القراءات السبع من

---

(١) المرجع نفسه ، ج٢ ، ص ٢١ .

(٢) صدر ديوان الشاعر محمد بن مداد بعنوان الإعجاز والإشهاد في أشعار ابن مداد ، حققه الشيخ مهنا بن خلفان الخروصي .

(٣) السالمي ، عبد الله بن حميد . مكتبة الإمام نور الدين السالمي . السيب ، ٢٠٠٠، ج١ ، ص ٣٧٧؛ البطاشي ، المرجع السابق ، ج٢ ص ٢٤ ؛ الهاشمي ، سعيد بن محمد ، دراسات في التاريخ العماني . ط١ ، النادي الثقافي . مسقط . ٢٠١٠ م ، ص ١٨٦ ؛ السعدي ، فهد بن علي بن هاشل . معجم الفقهاء والمتكلمين الإباضية . ط١ ، مكتبة الجيل الواعد . مسقط : ٢٠٠٧ م ، ج٤ ، ص ٢٩٧ .



أحد علماء الشاطبية في الحرم المكي ، ألف كتاب التبصرة في الأديان والأحكام ، ويقع في جزئيين ، وله عدد من الأجوبة الفقهية ، وعدد من القصائد الفقهية . كان الشيخ صالح محل ثقة من رجال السلطة في عصره حيث استشاره السلطان سليمان بن المظفر بن سليمان النبهاني (ت : ٨٧٢ هـ / ١٤٦٧م) هو وزملاؤه من العلماء ، في مسألة إقامة صلاة الجمعة في نزوى، فأفتت اللجنة المشكلة بعدم جواز ذلك على اعتبار أن نزوى غير ممصره ، وأن السلطان لم ينتخب من قبل العلماء [١] . توفي الشيخ صالح في يوم الثلاثاء الثالث من جمادى الآخرة سنة ٨٧٥ هـ / ٢٧ نوفمبر ١٤٧٠م [٢] .

قد لا يكون الشيخ محمد بن عبد الله تلقى العلم عن الشيخ صالح لفترات طويلة بحكم أن الشيخ صالح مقيم في منح ، ولكن مما لا شك فيه أن للشيخ صالح زيارات عدة لنزوى، وقد تستمر هذه الزيارات لعدة أيام أو شهور ، بحكم أن نزوى عاصمة الإمامة وتعج بعدد كبير من العلماء ، وكان الهدف من هذه الزيارات من قبل الشيخ صالح الالتقاء بغيره من العلماء والتباحث معهم ، وفي المقابل فرصة ذهبية لطلاب العلم في الجلوس معه والاستفادة من علمه الغزير ، ومن ضمن هؤلاء الطلاب محمد بن عبد الله الذي بلا شك التقى بالشيخ المنحي وجلس إليه وتلقى على يديه عدد من الدروس القيمة ، كما حضر الجلسات الحوارية التي كانت تجمع الشيخ المنحي بغيره من علماء نزوى ، ونهل كغيره من طلبة العلم من الكثير من المعرفة من خلال هذه الحوارات العلمية .

ج. دور الشيخ محمد بن عبدالله بن مداد التعليمي :

حين بلغ الشيخ محمد بن عبد الله مبلغ الرجال ، واصبح في مصاف العلماء الذين يعتد بفتواهم وتقصد مجالسهم ، حرص عدد من طلاب العلم على أخذ العلم منه ، وحضور مجلسه ، ومن بين هؤلاء الطلاب:

---

(١) البطاشي ، المرجع السابق ، ج١ ، ص ٤٨٨ ؛ الهاشمي ، المرجع السابق ، ص ١٨٤ – ١٨٥ .

(٢) ابن مداد ، محمد بن عبدالله . سيرة ابن مداد . سلسلة تراثنا . العدد ٥٦ . وزارة التراث والثقافة . مسقط : ١٩٨٤ ، ص ٤٥ ، ص٢٦ ؛ البطاشي ، المرجع السابق ، ج٢ ، ص ١٣٣ – ١٣٦؛ الهاشمي ، الرجع السابق ، ص ١٨٤ ، ١٨٥؛ السعدي ، المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ١٩٦ – ١٩٨ .

١. الشيخ محمد بن علي بن محمد بن أحمد عبد الباقي النزوي

من عقر نزوى ولد ونشأ فيها ، عرف عنه حبه واجتهاده في العلم ، وحبه لشيخه محمد بن عبد الله بن مداد ، الذي تلقى على يديه الكثير من المعارف ، حيث يقول في شيخه :

عنيت ابن عبد الله ذاك محمدا تقيا نقيا عالما وهو عادل [١]

تلقى ابن عبد الباقي تعليمه على يد عبد الله بن مداد ، وابنه محمد بن عبد الله حيث ذكر الشيخ ابن عبد الباقي في بعض اجوبته « هكذا حفظت من الأثر ومن أفواه اشياخي الذين ادركت وعنهم حملت كصالح بن وضاح وورد ومحمد بن عبد الله وعبدالله بن مداد» [٢] ، عرف الشيخ ابن عبد الباقي باحترامه لجميع مشايخه إلا أنه كان أكثر تقدير للشيخ عبد الله بن مداد وابنه محمد ؛ ويتضح لذلك من خلال المناقشات الفقهية التي كانت تدور بين العلماء حيث نجد الشيخ ابن عبد الباقي يقف إلى صف ابن مداد ووالده ، ويرى أن رأييهما هو الأقرب إلى الصحة من وجهة نظره ، ومن الأمثلة على ذلك يقول ابن عبد الباقي في مسألة فقهية شارك فيها عدد من الفقهاء بالإضافة إلى محمد بن عبد الله ووالده الشيخ عبد الله ، حيث يقول ابن عبد الباقي :

ابن مداد وجدت مسطرا كما قلت أني للذي قلت قابل

وشايعه من قد روى عن محمد فذاك أبو عبد الاله المطاول

وهذا القول الصحيح نقلته وبينت قول الكل فاسموا وسائلوا

أولوا العلم والقرآن والذكر أنهم مصابيح دجن والسيوف الفواصل[٣]

---

(١)البطاشي ، المرجع السابق ، ج٢ ، ص ١٤٤ .

(٢)نفسه ، ص ١٣٩ .



حضر الشيخ ابن عبد الباقي مصادرة أموال النباهنة سنة ٨٨٧هـ / ١٤٨٢ م وكتب نص قرار المصادرة ، كما حضر مصادرة أموال بني رواحة في عهد الإمام محمد بن اسماعيل . وللشيخ عبد الباقي عدد من الأجوبة والأراجيز الفقهية ، و كتاب في الأصول ، وكتاب المراقي (١) .

٢. الطبيب الشيخ راشد بن خلف العيني الرستاقي

ومن الذين تلقوا العلم على يد محمد بن عبد الله بن مداد ، الطبيب الشهير راشد بن خلف بن محمد بن عبد الله بن هاشم العيني الرستاقي، حيث تلقى عن ابن مداد الطب ، فنبغ راشد بن خلف في علم الطب وبلغ مبلغا تمكن من خلاله معارضة استاذه في بعض الأدوية ، حيث ذكر في لاميته التي كتبها في علم الطب وما توصل اليه من خلال تعلمه وتجاربه الطبية وعنوانها ب « زاد الفقير وجبر الكسير» و مطلعها :

أقولا مقالا محكما ومفصلا   لأهل النهى في الطب علما مكملا

وقال أيضا في لاميته معارضا استاذه الشيخ محمد بن عبد الله بن مداد في مدى الجدوى من شرب بول الإبل كعلاج لبعض الأمراض :

ويشرب بول الإبل والرسل للوبا   وأما ابن مداد فقد قال فيه لا

يصح روايات الرسول حفظته   بفرق شفاها عنه في جملة الملا

جزى الله عنا الخير من بحرعلمه   لنا كان عند الظماء وردا ومنهلا(٢)

اشتهرت عائلة ابن هاشم راشد بن خلف ، بمعرفتها الواسعة بعلم الطب وصاروا ممن يشار لهم بالبنان في الطب ليس في عمان فقط بل في عدد من الدول مثل بلاد فارس والهند ، وكان للطبيب راشد بن خلف مراسلات مع أطباء بلاد فارس (٣) .

نقل الطبيب راشد بن خلف العلم الذي تعلمه إلي ابن أخيه الفقيه والطبيب عميرة بن ثاني

---

(١) نفسه ، ج٢ ، ص ١٣٩ ؛ الهاشمي ، المرجع السابق ، ص ٢٢٢ ؛ السعدي ، المرجع السابق ، ج٣ ، ص ١٤٠– ١٤١ .

(٢) البطاشي ، المرجع السابق ، ج٢ ، ص ١٥٥ – ١٥٦ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٦٠ .

الذي نقله إلى ابنه الشيخ الطبيب راشد بن عميرة ، الذي بدوره رجع إلى مؤلفات عم أبيه ، فاستفاد منها وسعى إلى اكمال مالم يجده في كتاباته ، كما انتهج نفس نهجه في التأليف ، حيث يقول الطبيب راشد بن عميرة : « أنني لم أجد غير ذكر بعض الأدواء وعلاجها في نظم الشيخ العالم العلامة راشد بن خلف ابن محمد بن عبد الله بن هاشم – رحمه الله – ولم يستقص في ذلك ، فأحببت ان اضع مختصرا نظمته في التشريح» [١].

كتب الطبيب الفقيه راشد بن عميرة عدد من الكتب الطبية وهي : فاكهة ابن السبيل ، ومختصر فاكهة ابن السبيل ، مقاصد الدليل وبرهان السبيل ، رسالة في الكي بالنار ، وعدد من المنظومات الطبية [٢].

٣. الشيخ سعيد بن زياد بن أحمد بن راشد البهلوي

تلقى الشيخ سعيد بن زياد تعليمه على يد عدد من كبار عصره من بينهما الشيخان المداديان محمد ، و مداد ، حيث يقول الشيخ سعيد بن زياد في سؤال عرض عليه ، وطلب رأيه فيه بعد أن كتب الشيخان محمد ومداد رأيهما ، حيث كتب " صحيح وثابت ما صح عند أشياخنا من مسألة وجواب في هذا الكتاب إذ هو الحق والصواب كتبه أفقر عباد الله إلى رحمته سعيد بن زياد بن أحمد بيده حامدا لله وحده " [٣] .

والشيخ سعيد بن زياد من العلماء الذين حضروا مصادرة أموال بني نبهان سنة ٨٨٧ هـ /١٤٨٢م ، ومن ضمن اللجنة التي شكلها الإمام محمد بن إسماعيل لمناقشة مسألة بيع الخيار واتخاذ قرار فقهي بخصوصه ، وذلك سنة ٩٢٨ هـ / ١٥٢١ م [٤] .

---

(١)العبري ، حسين . قراءة في ثلاث قصائد طبية مخطوطة للشيخ الطبيب راشد بن عمير بن ثاني العيني . بحث مقدم لندوة من أعلام الطب في عمان في القرنين التاسع والعاشر الهجريين . ط١ ، المنتدى الأدبي . مسقط : ٢٠٠٨ م ، ص ٢٤ .

(٢) الهنائي ، علي بن طالب . التطبيقات الطبية في مؤلفات راشد بن عميرة الرستاقي . بحث مقدم لندوة من أعلام الطب في عمان في القرنين التاسع والعاشر الهجريين . ط١ . المنتدى الأدبي . مسقط : ٢٠٠٨م ، ص ٣٣- ٣٤ .

(٣)البطاشي ، المرجع السابق ، ج٢ ، ص ٧٤ .

(٤)ابن مداد ، المصدر السابق ، ص ٥٤ ؛ السالمي ، المصدر السابق ، ج١ ، ص ٣٧١ ، ٣٨٠ ، السعدي ، المرجع السابق ، ج٢ ، ص ٨٩ – ٩٠ .



• آثار الشيخ محمد بن عبدالله بن مداد العلمية

المتتبع للآثار العلمية للشيخ ابن مداد يجد التنوع في موضوعات المؤلفات ، وبالرغم من ضياع عدد من مؤلفاته وعدم القدرة على الاطلاع عليها ، إلا أنه يمكننا ان نستشف من خلال ما تبقى من المؤلفات مدى سعة اطلاعه ، وموسوعية معرفته ، ومن مؤلفات الشيخ ابن مداد ، بالإضافة إلى سيرة العلماء ، كتاب اللأل في أبنية الأفعال ، لم تتبق منه إلا بعض الأوراق ، وكتاب في الصرف ، وهو الآخر لم تتبق منه إلا اوراق قليلة ، اختصر فيه أبنية الأفعال ، وله كتاب اعتقاد دينونة ، وعدد من الفتاوي ، كما أعاد ترتيب أجزاء من بيان الشرع (١) ، ولكونه طبيب فله عدد من الوصفات الطبية ، منها ما وصفه لرجل يعاني من مرض في رئته ، حيث كان يخرج من صدره قيح وصديد كثير ، فوصف له ابن مداد وصفة طبية مكونة من بعض الأعشاب مضاف إليها حليب الغنم ، كما وصف لرجل يعاني من ألم في الجانب الأيسر من بطنه أن يأكل الزبيب وقليل من القرفة .

للشيخ محمد بن عبد الله من القصائد التي كتبها في الحث على عباده معينه أو في التقرب من الله تعالى ومنها :

كن في المساجد ساكنا متواضعا	وابسط إذا صليت ظهرك راكعا
فإذا سجدت فناجي ربك واقترب	بالقلب منه في سجودك خاشعا
ولجعل همومك في صلاتك ولحدا	هما يكون لما أهمك جامعا
ومن الموسوس فاحترس متيقظا	واحذر سنانا نحو صدرك شارعا
متعوذا بالله من نزغاته	إني رأيت له التعوذ قامعا
متخشعا فيها وقورا ساكنا	للقلب في كل الخواطر نازعا
أقم الصلاة فإنها موزونة	إن لم تقمها كان سعيك ضائعا

(١)مخطوط بيان الشرع ، مكتبة الشيخ ناصر بن راشد الخروصي ، NK١١ ؛ البطاشي ، المرجع السابق ، ج٢ ، ص ٧٢ .

(٣) نفسه،ص١٤٤.

كـن بيـن راج للقبـول وخائـف ... للـرد واجعـل حسـن ظنـك شـافعا

وإذا دعـوت الله فاضـرع وابتهـل ... حقـت إجابـة مـن دعـاه طائعـا [١]

ومـن أعمالـه أن طلـب منـه بعـض الأشـخاص مشـورته فـي أن يحولـوا مسـجد ضـوت فـي نـزوى مـن الجهـة الشـرقية للفلـج ضـوت إلـى الجهـة الغربيـة نتيجـة لتدمير بعـض أجـزاؤه بفعـل الأوديـة والأمطـار [٢].

يتضـح مـن خـلال مؤلفـات ابـن مـداد ، وشـيوخه وطلابـه مـدى توسـع اهتماماتـه العلميـة ، فهـو مفتـي ومحـل ثقـة النـاس واحترامهـم ، وعالـم بشـؤون اللغـة العربيـة حيث ألـف فيهـا كتابيـن ، ولـه عـدد مـن القصائـد الشـعرية ، وعالـم فـي التاريـخ وخصوصـا تاريـخ المذهـب الإباضـي ، كما سـيتضح لنـا مـن خـلال سـيرته ، وطبيـب يشـار إليـه بالبنـان يقصـده النـاس للتـداوي علـى يديـه ، وفيلسـوف درس الفلسـفة ، حيـث ارتبطـت الفلسـفة فـي العصـور الإسـلامية بتعلـم الطـب لأنهـم أخذوهـا مـن الأطبـاء اليونانييـن ، وارتبـط الطـب بتعلـم علـم الكيميـاء، حيـث كان الأطبـاء هـم مـن يقومـون بـدور الصيدلـي فيصنعـون الأدويـة ، فـكان لزامـا علـى الطبيـب أن يكـون ملمـا بعلـوم الأغذيـة والكيميـاء ، ولأن أطباؤنـا كانـوا فقهـاء وذو علـم واسـع فـي الشـريعة ؛ تعلمـوا علـم السـر والأوفـاق ، نظـرا لقـدرة كلام الله علـى الشـفاء ، وتأثيـره علـى نفسـيات المرضـى حيـث يذهـب عنهـم الخـوف والحـزن ويـزرع فـي نفسـهم إيمانـا صادقـا بالشـفاء بإذنـه تعالـى .

إن الشـيخ محمـد بـن عبـد الله عالـم موسـوعي ذو علـم واسـع ودرايـة كبيـرة فـي عـدد العلـوم ، وهـذا شـأن علماؤنـا الذيـن يبـدأ تعلمهـم بحفـظ القـرآن الكريـم ، وتدبـر معانيـه ، ودارسـة النحـو وعلـوم اللغـة، ثـم التعمـق فـي علـم الفقـه وعلـم العقيـدة ، حتـى يصبـح فقيهـا عالمـا بأمـور دينـه ودنيـاه ، بعدهـا يتخصـص كل فـرد فـي العلـم الـذي يسـتهويه ، فمنهـم مـن يشـتغل بعلـوم اللغـة والشـعر ومنهـم مـن يشـتغل بالطـب ، ومنهـم مـن يـدرس الفلـك ، وهـذا مـا نأمـل أن يصـل إليـه التعليـم المعاصـر ، أن يخـرج علمـاء موسـوعيين .

---

(١)السيفي ، محمد بن عبد الله . النمير حكايات وروايات : ٢٠٠٧ م . ج٢ ، ص ١٥٥ .

(٢)البطاشي ، المرجع السابق ، ج٢ ، ص ٧٥ .

هـ - الأوضاع السياسية خلال الفترة التي عاصرها الشيخ محمد بن عبد الله ودوره السياسي :

شهد القرنين التاسع والعاشر الهجريين العديد من الأحداث السياسية ، فعمان خلال هذين القرنين كانت الامامة الخامسة (٨٠٩ هـ / ١٤٠٦ م – ٩٦٤ هـ / ١٥٥٧م) التي تولى الإمامة خلالها ١٠ أئمة ، وهم : الإمام مالك بن الحواري بن مالك (٨٠٩ هـ - ٨٣٢) ، الإمام الحواري بن مالك بن الحواري (٨٣٢هـ - ٨٣٩ هـ) ، والإمام أبو الحسن محمد بن خميس بن عامر (٨٣٩ هـ - ٨٤٦ هـ) و الإمام عمر بن الخطاب الخروصي (٨٨٥ هـ - ٨٩٤ هـ) ، و الإمام محمد بن سليمان بن أحمد بن مفرج البهلوي [١] ، الإمام عمر الشريف ، والامام أحمد بن عمر الربخي ، والإمام أبو الحسن بن عبد السلام ، الإمام محمد بن إسماعيل القضاعي (٩٠٦ هـ - ٩٤٢ هـ) والامام بركات بن محمد بن اسماعيل (٩٤٢ هـ - ٩٦٤ هـ) [٢] .

شهدت إمامة الإمام عمر بن الخطاب الخروصي (٨٨٥هـ - ٨٩٤ هـ / ١٤٨٠م - ٠٠٠) صراع بين الإمام والملك النبهاني سليمان بن سليمان ، نتج عنه تمكن الإمام عمر بن الخطاب من السيطرة على نزوى وانتزاعها من السيطرة النبهانية ، وذلك عام ٨٨٦ هـ / ١٤٨٢ م [٣].

بعد أن استقر الأمر للإمام عمر في نزوى واجهته اشكالية أموال بني نبهان في نزوى، لمن تؤل ملكيتها بعد خروج بني نبهان منها ، فشكل الإمام محاكمة لعرض القضية ومن ثم الحصول على قرار قضائي يوم الأربعاء الثامن من جمادى الأخرة سنة ٨٨٧هـ /٢٥يوليو ١٤٨٣ م [٤] . تشكلت المحكمة من رئيس قضاة الإمام عمر بن الخطاب ، القاضي العلامة أبو

---

(١) تولى القاضي محمد بن سليمان بن أحمد الإمامة ثلاث مرات على سبيل الاحتساب إلى أن يتم تعين إمام . الهاشمي ، المرجع السابق ، ص ١٩٥

(٢) المعولي ، محمد بن عامر بن راشد بن سعيد ، قصص وأخبار جرت في عمان ، تحقيق عبد المنعم عامر ، ط٢ ، وزارة التراث والثقافة ، مسقط ، ١٩٨٣ م ، ص ٨٢ – ٨٥ ؛ السالمي ، المصدر السابق ، ج١ ، ص ٣٧٦ – ٣٩٥ .

(٣) المعولي ، المصدر السابق ، ص ٨٣ ؛ السالمي ، المصدر السابق ، ج١ ، ص ٣٧٨ ؛ الخصيبي ، محمد بن راشد بن عزيز ، شقائق النعمان على سموط الجمان ، ط٣ ، وزارة التراث القومي والثقافة ، سلطنة عمان ، ١٩٩٤، ج ٢ ،ص ٢١٣ ؛ الحارثي ، سالم بن حمد الحارثي ، العقود الفضية في أصول الإباضية ، وزارة التراث والثقافة ، مسقط ، ١٩٨٢م ، ص ٣٥٨ .

(٤) حدد المعولي تاريخ المحاكمة عشية الأربعاء لسبع ليال او لتسع ليل خلون من جمادى الأخرة سنة ٨٨٧ هـ . المعولي ، المصدر السابق ، ص ٨٤ .

عبد الله محمد بن سليمان بن أحمد بن مفرج كرئيسا للمحكمة [1] ، والشيخ أحمد بن صالح بن عمر بن أحمد قاضيا للمحكمة ، وتولى الشيخ محمد بن عمر بن أحمد الدفاع عن المظلمين الذين ظلمهم بنو نبهان ، أما محامي الدفاع عن السلطان النبهاني فهو الشيخ أحمد بن عمر بن أحمد . وبالرغم من أن جميع أعضاء هذه المحاكمة من أسرة واحدة فالشيخين أحمد بن عمر و محمد بن عمر أخوين وهما أبناء هم للشيخ محمد بن سليمان ، والشيخ أحمد بن صالح هو ابن أخاهما الشيخ صالح بن عمر ، وعلى الرغم من أن جميع أعضاء هذه المحاكمة هم من عائلة واحدة إلا أن جميعهم عرف عنهم الصلاح والورع ، فحظيت هذه المحاكمة باحترام الجميع . صدر حكم القاضي أحمد بن صالح بمصادرة أموال النباهنة وأن تعود ملكيتها إلي الفقراء ومن ظلمهم بني نبهان من أهل عمان [2] .

كان الشيخ محمد بن عبدالله ووالده الشيخ عبدالله بن مداد شهود علي هذه المحاكمة ، كما شهدا على نص الحكم ، فقلد عرض عليهما نص الحكم ، فأفتيا بنفاذ الحكم ، وكتب الشيخ محمد بن عبد الله « صح عندي وثبت لدي أن جميع هذه الأملاك التي خلفها السيد سليمان بن المظفر قد استهلكتها الديون التي على سليمان و الضمانات ، وقد صارت جميع هذه الأملاك والأموال دون أولاد سليمان ينفذها في عز الدولة وكذلك الزروع الحاضرة وغيرها صارت للإمام . كتبه الفقير لله محمد بن عبد الله بن مداد بيده [3] .

بعد وفاة الإمام عمر بن الخطاب الخروصي سنة ٨٩٤ هـ / ١٤٨٨م ، شهدت الإمامة وضعا مضطرب غير مستقر ، حيث شهدت الإمامة أكثر من إمام خلال الفترة من (٨٩٤ هـ - ٩٠٦ هـ /١٤٨٨م - ١٥٠٠ م) كما أن القاضي محمد بن سليمان بن أحمد بن مفرج شغل منصب الإمامة ثلاث مرات محتسبا ، ولم يستقر منصب الإمامة إلا بتولي الإمام محمد بن إسماعيل الحاضري،

---

(١)شغل القاضي محمد بن سليمان منصب القاضي العام بعمان بعد وفاة القاضي ورد بن أحمد بن مفرج سنة ٨٧٥ هـ / ١٤٤٢ م . الهاشمي ، المرجع السابق ، ص ١٩٧ .

(٢)الأزكوي ، سرحان بن سعيد ، كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة ، تحقيق حسن محمد عبد الله النابودة ، دار البارودي ، ج٢، ٩١٦ – ٩١٧ ؛ المعولي ، المصدر السابق ، ص ٨٣ – ٤٨ ؛ السالمي ، المصدر السابق ، ج١ ، ص ٣٧٨ – ٣٧٩ ؛ الهاشمي ، المرجع السابق ، ١٩٧ – ١٩٨ .

(٣)السالمي ، المصدر السابق ، ج١ ، ص ٣٨٠ .

الذي شغل المنصب لمدة ٣٦ سنة [١] ،و دخل في صراع مع الملك سليمان بن سليمان النبهاني وبني رواحه الذين ساندوا الملك النبهاني، وتمكن الإمام من هزيمة الملك ، فصادر الإمام أموال بني رواحه ، وذلك بحضور كبار العلماء في تلك الفترة ومن بينهم الشيخ محمد بن عبد الله وأخيه مداد ، وكان ذلك سنة ٩٠٩ هـ / ١٥٠٣ م [٢].

و - وفاة الشيخ محمد بن عبد الله :

انتقل الشيخ محمد إلى رحمة الله ليلة الجمعة من شهر جمادى الآخرة سنة ٩١٧ هـ / ١٥١١م [٣]، ودفن بالقرب من مساجد العباد بنزوى [٤] ، بعد حياة حافلة بطلب العلم ، وتعليم طلاب العلم، ومشاركة للناس في حياتهم اليومية .

• ثانيا : التحقيق في نسبة سيرة العلماء إلى الشيخ محمد بن عبدالله ، وتوثيق العنوان من خلال دراسة نسخ مخطوطات السيرة .

تمكنت إلى الآن من الحصول على ١٣ نسخة من مخطوط سيرة العلماء سواء من داخل السلطنة أو خارجها ، وسنستعرض هنا أقدم النسخ فقط مع ملخص بسيط عن كل مخطوط وذكر العنوان الذي وجد في المخطوط ، وبداية كل مخطوط ونهايته ، والهدف من ذلك استيضاح بعض النقاط لدارستها وهذه النقاط هي :

١- دراسة نسبة السيرة إلى الشيخ محمد بن عبدالله الناعبي .

٢- دراسة فصول السيرة ومعرفة خاتمتها .

---

(١)الأزكوي ، المصدر السابق ج ٢، ص ٩١٦ – ٩٢٠ ؛ السالمي ، المصدر السابق ، ج١ ، ص ٣٨٦ ؛ الخصيبي ، المرجع السابق، ج ٢ ، ص ٢١٣ – ٢١٤ ، الحارثي ، المرجع السابق ، ص ٢٥٩ .

(٢) السالمي ، المصدر السابق ، ج١، ص ٣٨٠ – ٣٨٢ ؛ البطاشي ، المرجع السابق ، ج٢ ، ٧٣ ؛ الهاشمي ، المرجع السابق ، ص ٢٠٠ .

(٣)الأزكوي ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص ١٠٢٢ ؛ السالمي ، المصدر السابق ، ج١، ص ٣٨٣؛ البطاشي ، المرجع السابق ، ج ٢ ص ٧٢ .

(٤)مساجد العباد ، مساجد بنيت بين الجبال والوديان ، ذات مساحة صغيرة ، بنيت بهدف التعبد والاعتكاف بعيدا عن ضوضاء الحياة، وتوجد في كل من نزوى وبهلا ومنح والرستاق . موقع وزارة الأوقاف الالكتروني : www. Maraoman.net

• نسخة مكتبة الشيخ ناصر بن راشد الخروصي :

أقدم هذه النسخ نسخة مكتبة الشيخ ناصر بن راشد الخروصي بولاية العوابي ، نسخ المخطوط محمد بن علي بن راشد بن يحيى بن عبدالله بن ناصر بن محمد بن حارث بن منصور الخروصي ، نسخه لنفسه يوم الخميس الأول من شهر ذي القعدة سنة ١١١١هـ / ١٦٩٩ م . يقع المخطوط ضمن الجزء الخامس من كتاب بيان الشرع .

العنوان : معرفة جميع العلماء وأكنيتهم وبلدانهم وموتهم .

أول المخطوط : الحمد لله الذي لا تكفيه الأفكار ، ولا تحويه الأقطار ، ولا تحجبه الأستار ، ولا تدركه الأبصار .

آخره : هزيمة السلطان سليمان بن سليمان على يد عامل ابن جبر سنة ٨٩٣ هـ / ١٤٨٧ م .

• نسختا مكتبة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي :

تضم مكتبة المفتي العام للسلطنة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي بين جنابتها العديد من المخطوطات، وفيما يتعلق بمخطوط سير العلماء فالمكتبة تضم مخطوطان أولهما :

تقع هذه النسخة ضمن مخطوط يضم عدد من السير الإباضية وعددها أثنان و أربعون سيرة، يبدأ المخطوط بسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم كتبها المعلى الحضرمي ، و كتبت سيرة العلماء في نهاية المخطوط أي أنها السيرة الثانية و الأربعون ، وتقع سيرة العلماء في ١٦ورقة، وفي كل صفحة حوالي ٢٥ سطرا ، وهو بحالة جيدة ، وكتب بخط واضح ، تم الانتهاء من نسخه يوم السبت ٢٩ صفر سنة ١١٣١ هـ / ١١٧٣ م ، نسخه سعيد بن عبدالله بن أحمد بن خلف بن أحمد أمبوسعيدي نسخه للشيخ محمد بن سليمان بن محمد بن بلعرب بن عبدالله من بني محمد بن سليمان .

العنوان : صفة نسب العلماء وموتهم وبلدانهم والأئمة رحمهم الله .

أوله :الحمد لله الذي لا تكفيه الأفكار ، ولا تحويه الأقطار ، ولا تحجبه الأستار ، ولا تدركه الأبصار .

آخره : حرب حصن بهلاء في شهر المحرم في أول السنة سنة تسع عشر سنه بعد ألف سنة الموافق ١٦١٠ م . النسخة الثانية :

- تحمل هذه النسخة الثانية رقم ٥٦٥ بالمكتبة ، وهي ضمن مخطوط السير والجوابات الجزء الثاني ، وفقدت الصفحات الأخيرة من مخطوط السير والجوابات ، وبالتالي تعذر معرفة الناسخ والمنسوخ له ، نسخت هذه السيرة يوم الأربعاء ٢٩ ذي القعدة سنة ١١٧٥ هـ / ١٧٦١ م ، وتقع في ٢٩ ورقة وفي كل صفحة ٢٧ سطرا ، كتبت بخط واضح وجميل ، والمخطوط في حالة جيدة .

وعنونه الناسخ ب « صفة نسب العلماء وموتهم وبلدانهم والأيمة رحمهم الله " .

أوله : الحمد لله الذي لا تكفيه الأفكار ولا تحويه الأقطار ولا تحجبه الأستار ولا تدركه الأبصار .

- نسخة مكتبة وقف بني سيف :

نسخ المخطوط سعيد بن محمد بن عدي نسخه لشيخه سالم بن راشد بن سالم بن ربيعة البهلوي ، نسخ في سنة ١١٥٨ هـ / ١٧٧١ م ، و يقع المخطوط في ٣٣ صفحة وفي كل صفحة ١٨ سطر ، وهو بحالة جيدة ، وكتب بخط واضح وجميل .

وعنونه الناسخ ب « معرفة جميع العلماء وأكنيتهم وبلدانهم وموتهم " .

أوله : الحمد لله الذي لا تكفيه الأفكار ، ولا تحويه الأقطار ، ولا تحجبه الأستار ، ولا تدركه الأبصار .

وآخره حوادث سنة ٨٦٦ هـ / ١٤٦١ م.

- نسخة مكتبة الشيخ سالم بن حمد الحارثي

يقع المخطوط في ٣٧ ورقة ، وفي كل صفحة ١٤ سطرا ، نسخ المخطوط ناصر بن سالم بن مبارك بن سعيد بن مبارك البوسعيدي نسخه للشيخ حمد بن سعيد بن محمد بن عبدالله بن خلف البوسعيدي ، في زنجبار يوم ٢٩ شعبان ١٢١٦ هـ / ١٨٠١ م .

وعنونه الناسخ ب « هذه النبذة في معرفة أسماء أهل العلم وكناهم وبلدانهم وقراهم

أولـه : الحمـد لله الـذي لا تكفيـه الأفـكار ، ولا تحويـه الأقطـار ، ولا تحجبـه الأسـتار ، ولا تدركـه الأبصــار .

آخره : استعراض لخلفاء بني العباس .

● نسخة مكتبة الشيخ سيف بن حمود البطاشي :

بولايـة دمـاء والطائيين ، ولا يوجد بـه رقـم خـاص بالمكتبـة . يوجد بالمخطـوط أن صاحـب النسخة الأصليـة للمخطـوط هـو الشيخ نـور الديـن السـالمي .

تكمـن أهميـة هـذه النسـخة أن كاتبهـا رجـع إلـى نسـخة قديمـة تعـد مـن أقـدم النسـخ ، حيـث نسـخت النسـخة القديمـة فـي منتصـف القـرن العاشـر الهجـري ، نسـخها القاضـي الشـيخ عبـدالله بـن عمـر بـن زيـاد بـن أحمـد بـن راشـد الشـقصي [١] ، ومـن المتوقـع أن الشيخ الشـقصي هـو مـن أضـاف خبـر مـوت الشيخ محمـد بـن عبـد الله بـن مـداد صاحـب السيرة ، إلـى السيرة ثـم تبعهـا بتأريـخ مـوت عـدد مـن العلمـاء ، بعدهـا أضـاف خبـر خـروج السـلطان سـليمان بـن سـليمان النبهانـي مـن حصـن بهـلا سنة ٨٩٣ هـ / ١٤٨٧م، ثـم شـرع فـي حسـاب السـنين منـذ خلـق آدم وحتـى عـام ٩٤٨ هـ / ١٥٤١م، وأرخ لوفـاة والـده الشـيخ عمـر بـن زيـاد الـذي كانـت وفاتـه سـنة ٩٥٠ هـ ومـوت جـده الشـيخ زيـاد بـن أحمـد سنة ٨٩٢ هـ / ١٥٤٣م .

رجـع الشـيخ عمـر بـن سـعيد بـن عبـد الله إلـى النسـخة التـي كتبهـا القاضـي عبـد الله بـن عمـر الشـقصي ونسـخها لنفسـه وأضـاف عليهـا خبـر مـوت جـده الشـيخ عمـر بـن أحمـد بـن أبـي علـي بـن معـد [٢] ، و نسـخة الشـيخ عمـر بـن سـعيد هـي النسـخة التـي اطلعـت عليهـا وفيهـا اشـارا إلـى أن

(١) الشيخ عبدالله بن عمر بن زياد بن أحمد بن راشد الشقصي ، أحد علماء بهلا ، من علماء القرن العاشر الهجري ، نشأ أسرة علمية ، من المبايعين للإمام بركات بن محمد بن إسماعيل سنة ٩٤٢ هـ / ١٥٣٦ ، من مؤلفاته شرح قصيدة أبي نصر في الصلاة ، ألف الجزء الرابع والعشرين المفقود من بيان الشرع ، له عدد من الأراجيز وعدد من الأجوبة في كتب الأثر ، وعرف عنه والكثير من أسرته نسخهم للكثير من المخطوطات ، حيا في شعبان ٩٨٣ هـ / نوفمبر ١٥٧٥م . انظر السعدي ، المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢٨٠ – ٢٨١ .

(٢) الشيخ عمر بن أحمد بن معد ، أحد علماء مدينة بهلا ، من علماء القرن التاسع الهجري ، الخامس عشر الميلادي ، عاصر الشيخ صالح بن وضاح المنحي ، وصف الشيخ صالح الشيخ عمر بأنه كان تقيا رضيا . المرجع نفسه ، ج٢ ، ص ٣٧٥ .

الناسخ الأول هو القاضي عبد الله بن عمر بن زياد الشقصي ، ومن ثم نسخ نسخته الشيخ عمر بن سعيد بن عبد الله بن سعيد ، سنة ١٣٢٩ هـ / ١٩١١م .

نسب الناسخ الشيخ عمر بن سعيد بن عبدالله السيرة لغير مؤلفها ابن مداد ونسبها للشيخ محمد بن عبدالله بن جمعة بن عبيدان [1] ، يقع المخطوط في ٤٠ ورقة ، عدد الأسطر ١٤ سطر في كل صفحة .

• **أهم الملاحظات من خلال دراسة النسخ المتعددة للسيرة :**

١- نسب أكثر النساخ وأقدمهم السيرة إلى الشيخ محمد بن عبد الله الناعبي ، وإن وجدت بعض النسخ التي نسبتها إلى غيره نسبتها للشيخ محمد بن عبدالله بن عبيدان، إلا أن هذه النسخ قليلة إلا أن أكثر النسخ أكدت إلى نسبتها إلى ابن مداد .

٢- لم يضع ابن مداد عنوان لسيرته ، وهذا يبدوا جليا من خلال النسخ حيث وضع كل ناسخ عنوانا للنسخة الخاصة به ، ووضع النساخ هذه العناوين بناء على موضوع السيرة ، ووضع لها عنوان اشتهرت به وهو « سيرة العلماء « .

٣- لا توجد في جميع النسخ خاتمة للسيرة أو ما يشير إلى أن ابن مداد وضع لها خاتمة ، بل نجد بعد الفصل الخاص بوفيات الصحابيات رضوان الله عليهن ترد معلومة تاريخ موت ابن مداد وتحديد المكان الذي دفن فيه . ومن بعدها تختلف النسخ في عدد الفصول التي تم إضافتها وتم الإشارة إلى جيع هذه الإضافات أنها من أصل السيرة .

٤- يبدو أن ابن مداد مات قبل أن يتم كتابة السيرة وقبل حتى أن يعدها لصيغتها النهائية ، وهذا يتضح من خلال الاطلاع على السيرة والتي لا تتعدى ٢٦ ورقة [2]حيث يوجد فيها الكثير من تكرار المعلومات ، مثل المعلومة الخاصة بأصل جابر بن زيد

(١) الشيخ محمد عبدالله بن جمعة بن عبيدان النزوي ، من العقر من مدينة نزوى ، كان أعمى ، أخذ العلم عن الشيخ صالح بن سعيد الزاملي ، عمل قاضيا للإمام سلطان بن سيف والإمام بلعرب بن سلطان الذي قربه واسكنه في حصن جبرين للتدريس في مدرسة الحصن ، توفي صباح الخميس ٢١ من محرم ١١٠٤ الثاني من اكتوبر ١٦٩٢ م . السعدي ، المرجع السابق ، ج٣ ، ص ١٣٠ - ١٣١ .

(٢)هذا بحسب أقدم النسخ التي حصلنا عليها وهي نسخة مكتبة الشيخ ناصر بن راشد الخروصي .

بأنـه مـن اليحمـد وأنـه مـن فـرق بيـن منـح ونـزوى كررهـا خمـس مـرات ، وكـرر معلومـة أن الربيـع بـن حبيـب مـن غضفـان ثـلاث مـرات ، وكـرر أن بلـج بـن عقبـة مـن مجـز أربـع مـرات ، وأن المختـار بـن عـوف مـن خرمـة كررهـا مرتيـن .

كمـا أن ابـن مـداد لـم يسير فـي بعـض أجـزاء السـيرة إلـى فـي اتجـاه واحـد فأحيانـا يتنـاول موضـوع وفجـأة يخـرج منـه إلـى موضـوع بعيـد عنـه ، ومثـال ذلـك حيـن كتـب عـن وفيـات العلمـاء الإباضيـة فـي الفصـل الثالـث فبعـد أن ذكـر تواريـخ وفيـات عـدد مـن العلمـاء نجـده يتوقـف ليكتـب خبـرا عـن خـروج أولاد الرئيـس علـى عمـان وعنونـه ب « خبـر آخـر « ، ثـم كتـب عـن حادثـة السـيل الـذي وقـع سـنة ٢٥١ هــ وعنونـه بعنـوان « خبـر قديـم « ، ثـم يكتـب عـن زهـد بعـض العلمـاء ، بعدهـا يعـود مجـددا إلـى الكتابـة عـن وفيـات العلمـاء ويذكـر تاريـخ وفيـات عـدد مـن العلمـاء ، ليعـود مجـددا إلـى ذكـر بعـض المعلومـات التـي لا تتعلـق بوفيـات العلمـاء كاسـم النملـة واسـم الهدهـد الاذان ذكـرا فـي القـرآن الكريـم .

• **ثالثا : منهجية الشيخ محمد بن عبدالله بن مداد الناعبي في الكتابة من خلال السيرة :**

كتـب الشـيخ محمـد هـذه السـيرة ردا علـى رسـالة كان قـد أرسـالها لـه أحـد أصدقـاؤه يطلـب فيهـا مـن الشـيخ محمـد أن يذكـر لـه فـي رسـالة أسـماء العلمـاء الإباضيـة بـدء مـن الإمـام جابـر بـن زيـد وحتـى عصـر صاحـب الرسـالة أي القـرن العاشـر الهجـري ، كمـا طلـب منـه أن يكتـب لـه كنيـة العلمـاء وتاريـخ وفاتهـم .

اسـتجاب الشـيح محمـد لطلـب صديقـه وكتـب لـه رسـالة ردا علـى رسـالته ، ووضـح فـي بدايتهـا أنـه واجـه صعوبـة فـي تنفيـذ طلـب صديقـه بسـبب خلـو المصـادر مـن اسـتعراض لتسلسـل العلمـاء الإباضيـة ومـن تحديـد كنيتهـم وتاريـخ وفاتهـم ؛ ممـا دفـع الشـيخ محمـد إلـى البحـث فـي المصـادر ودراسـتها مـن أجـل تحقيـق طلـب صديقـه . وبعـد دراسـة وتقصـي وبحـث فـي المصـادر كتـب الشـيخ محمـد رسـالة قسـمها إلـى :

١- مقدمـة يبدأهـا بالحمـد والثنـاء لله تعالـى والصـلاة والسـلام علـى سـيدنا محمـد ، بعدهـا

ذكر السبب الذي جعله يكتب رسالته أو سيرته ومدى الصعوبة التي واجهها في تنفيذ طلب صديقه .

٢- الفصل الأول من سيرته عنوانه (ممن أخذ العلماء الإباضية علمهم) ، حيث بدأ السلسلة بعبد الله بن عباس الذي أخذ عنه جابر بن زيد أكثر علمه ، بعدها استعرض بقية علماء الإباضية بدأ بالإمام جابر بن زيد ، مع إعطاء معلومة موجزة عن العالم مثل مكان إقامته وأشهر ما يروى عنه والمكان الذي مات فيه ، وفي أحيانا يذكر بعض مؤلفات العلماء خاصة المؤلفات التي اشتهرت مثل كتاب بيان الشرع والمصنف والضياء .

٣- أما الفصل الثاني فوضع له عنوان وهو (فصل في معرفة إسناد دين أهل الفوز ونقلهم إياه عن بعضهم بعضا) تناول هذا الفصل سلسلة إسناد العلماء وممن أخذوا العلم بدأ هذه السلسلة بسلمة بن مسلم العوتبي وممن أخذ العلم وظل يتتبع هذه السلسلة حتى انتهى بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ومن بعده جبريل عليه السلام ثم ذكر أن سيدنا جبريل ما هو إلا وحي الله تعالى، بعدها استعرض سلسلة أخرى من العلماء بدأها بالشيخ أحمد بن عبدالله بن موسى الكندي ويظل يتتبع ممن أخذ العلم ، إلا أنه هذه المرة يتوقف عند القاضي أبي علي الحسن بن أحمد بن محمد بن عثمان العقري .

وهدف ابن مداد من استعراض هذه السلسلة الرد على البعض ممن يعيب على المذهب الإباضي وعلماؤه ، فأراد إيضاح أن مصدر علم علماء الإباضية ما هو إلا من عند رسول الله الذي لا ينطق عن الهوى ، وفي ذلك يقول « ... فليس لطاعن في ديننا مغمز ولا لقائل فيه مهمز ، والحمد لله على ما هدانا ومحنا وأعطانا «[1] .

٤- الفصل الثالث خصصه لتواريخ وفيات الأئمة الإباضية و العلماء ، وجعل له عنوان وهو (وهذه تواريخ الأئمة والعلماء وتواريخ موتهم) ويلاحظ من خلال دراسة هذا الفصل الدقة الكبيرة في تحديد تاريخ الوفاة حيث يحددها بالسنة واليوم وفي أي وقت

(١) ابن مداد ، المصدر السابق ، ص ٢٦ .

أثنـاء اليـوم .

٥- الفصـل الرابـع ذكـر فيـه ابـن مـداد تاريـخ وفـاة الرسـول الكريـم ووفيـات الصحابـة رضـوان الله عليهـم وعـدد مـن علمـاء العالـم الإسـلامي ' وعنونـه ب(تاريـخ مـوت النبـي صلـى الله عليـه وسـلم والصحابـة مـن بعـده والتابعيـن مـن بعدهـم) .

٦- الفصـل الخامـس تنـاول فيـه تاريـخ وفيـات الصحابيـات رضـوان الله عليهـن ، وعنونـه ب(ذكـر تواريـخ المصطفيـات مـن النسـاء) . عنـد هـذا الفصـل انتهـت سـيرة الشـيخ محمـد بـن عبدالله بـن مـداد ومـا جـاء بعـده مـن فصـول مـا هـي إلا زيـادات مـن النسـاخ ؛ لأن أول خبـر جـاء بعـد هـذا الفصـل هـو وفـاة الشـيخ محمـد بـن عبـدالله فـي سـنة ٩١٧هـ وأنـه قبـر بمسـاجد العبـاد فـلا يعقـل أن يسـجل الإنسـان تاريـخ وفـاة وأن يحـدد أيـن دفـن .

كمـا أن النسـخ التـي اطلعنـا عليهـا تختلـف فيهـا كل نسـخة فـي مواضيـع الفصـول التـي جـاءت بعـد الفصـل الأخيـر (ذكـر تواريـخ المصطفيـات مـن النسـاء) حيـث تنتهـي بعـض النسـخ عنـد هـذا الفصـل بينمـا يزيـد بعضهـا فـي الفصـول ويضـع فصـول أخـرى تبـدأ جمعيهـا بتحديـد وفـاة الشـيخ محمـد بـن عبـدالله بـن مـداد ، كمـا أن عـدد مـن الفصـول المضافـة تحتـوي علـى أحـداث حدثـت بعـد مـوت الشـيخ محمـد بـن عبـدالله ، أو فصـول تحتـوي معلومـات مكـررة لمـا ورد فـي السـيرة .

رابعا : المصادر التي اعتمد عليها محمد بن عبدالله في كتابة السيرة :

رجـع الشـيخ محمـد بـن عبـدالله لعدد مـن المصـادر فـي كتابـة سـيرته ، وكان كثيـر مـا يشـير صراحـة إلـى المصـدر الـذي اسـتقى منـه معلومتـه ، كمـا اعتمـد ابـن مـداد علـى الروايـات الشـفهية ومـا يتـداول فـي عصـره مـن معلومـات وقصـص عن بعـض العلمـاء الإباضيـة :

أولا : المصنفات الإباضية :

١- سيرة محبوب بن الرحيل بن سيف بن هبيرة القرشي

محبوب بن الرحيل بن سيف القرشي المخزومي ، من علماء القرن الثالث الهجري، ربيب الربيع بن حبيب الفراهيدي ، تلقى العلم على يديه وعلى يد أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة ، تعاقب عدد من العلماء من نسله منهم أولاده محمد وسفيان والمحبر وحفيداه عبدالله وبشير أبناء محمد بن محبوب ، والإمام سعيد بن عبد الله بن محمد بن محبوب [١] . استعان ابن مداد مرتين بهذه السيرة أشار إلى ذلك بقوله : « وقال أبو سفيان محبوب بن الرحيل بن سيف بن هبيرة القرشي « [٢] ووجدت في سيرة محبوب في أمر هارون بن اليمان « [٣] ، ويبدو أن الكتاب الذي رجع إيه ابن مداد كان يتناول قصص وأخبار علماء المذهب الإباضي وأهم الأحداث التي تزامنت مع قيام المذهب، وهذا يتضح من خلال القصة التي أوردها ابن مداد حيث ذكر قصة التقاء بعض علماء المذهب الإباضي بالخليفة عمر بن عبدالعزيز، ووفاة ابن عبدالملك بن عمر الذي وافته المنية والإباضية موجودين في مجلس أبيه ، فاشتركوا في مراسم غسله ودفنه ، ويعد كتاب محبوب بن الرحيل هذا من الكتب المفقودة في وقتنا هذا .

أما « سيرة محبوب بن الرحيل إلى أهل عمان في أمر أهل هارون بن اليمان " فهي سيرة مطبوعة ضمن السير والجوابات [٤] ، ولقد رجع ابن مداد إلى سيرة محبوب بن الرحيل في معرض حديثه عن صحار بن العباس العبدي حيث ذكر انه معلم أبو عبيدة ، « ... قال صحار رحمه الله ، وكان من فقهاء المسلمين وعلمائهم وهو معلم أبي عبيدة الأكبر رحمهم الله جميعا» [٥].

---

(١) الشماخي ، المصدر السابق ، ج١ ، ص ١٠٨ – ١٠٩ ؛ البطاشي ، المرجع السابق ، ج١ ، ص ٢١٧ – ٢١٩ ؛ السعدي ، المرجع السابق ، ج٣ ، ص ٣٥ – ٤٠ .

(٢) ابن مداد ، المصدر السابق ، ص ٨ .

(٣) نفسه، ص ١٩ .

(٤) مجموعة من العلماء ، السير والجوابات ، ج١ ، ص٢٧٦ – ص ٣٠٧ .

(٥) المصدر السابق ، ص ٢٩١ – ٢٩٢ .

٢- كتاب الوضاح بن عقبة النزوي

من علماء القرن الثالث الهجري ، من العلماء العاقدين للإمام الصلت بن مالك بالإمامة ، و من خلال سيرة ابن مداد يتضح أن لأبو زياد كتاب إلا أن هذا الكتاب مفقود ولم يبق منه أثر، استعان ابن مداد برواية عن أبي زياد مرتين حين تناول قصة عن المختار بن عوف ودخوله المدينة المنورة [١] ، والرواية الثانية حول تنصيب الإمام غسان بن عبد الله اليحمدي [٢] .

٣- مؤلفات محمد بن محبوب بن الرحيل المخزومي

محمد بن محبوب بن الرحيل بن سيف بن هبيرة القرشي المخزومي ، أبو عبد الله ، نشأ في أسرة علمية ، ولد في العقد الأخير من القرن الثاني الهجري في البصرة ، ونشأ في أسرة علمية حيث أن والده محبوب بن الرحيل هو ربيب الربيع بن حبيب الفراهيدي ،والذي اهتم بتربيته تربية دينية قائمة على طلب العلم والتبحر فيه ، وقام الشيخ محبوب هو الأخر بتربية أبناؤه تربية تعتمد كثير على مما تعلمه من مربيه العلامة الربيع بن حبيب ، حيث ربى أبناؤه محمد وسفيان ومحبر تربية دنية محبه للعلم والمعرفة ، عرف عن الأخوة الثلاثة ضلوعهم في العلوم الفقهية إلا أن محمد كان أبرزهم وأفقههم [٣]. وكان كبير علماء عصره وممن قال بخلق القرآن ، على رأس المبايعين للإمام الصلت بن مالك ، تولى للإمام الصلت قضاء صحار وظل بمنصبه حتى توفاه الله سنة ٢٦٠ هـ / ٨٧٣ م ، له كتاب يقع في سبعين جزء إلا أنه مفقود ، وله عدد من السير [٤].

لا يشير ابن مداد بشكل واضح وصريح الي أي من كتب الشيخ محمد بن محبوب استقى معلوماته ، بل يكتفي بذكر قال أبو عبد الله ، ومن المعروف أن الشيخ محمد بن محبوب لديه من غير الكتب التي ألفها مجموعة كبيرة من الآراء السياسية والتاريخية والفتاوى الفقهية منتشرة

---

(١) ابن مداد ، المصدر السابق ، ص ٧ .

(٢) نفسه ، ص٢٨ .

(٣) الجعبيري ، فرحات بن علي . حياة الإمام محمد بن محبوب القرشي العماني وعصره ، بحث مقدم لندوة تطور العلوم الفقهية في عمان خلال القرن الثالث الهجري الإمام محمد بن محبوب نموذجا ، ط١ ، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية ، مسقط ، ٢٠٠٦ ، ص ٢٧ - ٣٠ .

(٤) الشماخي ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٤٩ - ص ٥٠ ؛ السالمي ، اللمعة المرضية ، ص ١٩ ؛ البطاشي ، المرجع السابق ، ج١، ص ٢٥٠ - ٢٥٣ ؛ السعدي ، المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ١٥٣ - ١٦٠ .

فـي كتـب الأثـر منهـا مـا هـو مطبـوع ومنهـا مـا زال مخطوطـا . وتعـد مؤلفـات الشـيخ محمـد بـن محبـوب مـن أكثـر المصـادر التـي رجـع أليـه ابـن مـداد فـي كتابـة سيرته حيث ذكـر عبـارة « قـال أبـو عبـدالله» ستة عشـر مـرة ورجـع ابـن مـداد إلـى مؤلفـات محمـد بـن محبـوب فيمـا يتعلـق بعلمـاء الإباضيـة مـن الرعيـل الأول وخاصــة مـن كان منهـم بالبصـرة كصحـار العبـدي وجابـر بـن زيـد وضمـام بـن السـائب وأبـو عبيـدة والربيـع بـن حبيـب .

٤- كتاب ينسب لعبدالملك بن غيلان :

يذكـر ابـن مـداد أنـه رجـع " لكتـاب يوقـع لعبـد الملـك بـن غيـلان أخ هاشـم بـن غيـلان "[١] رجـع إليـه ابـن مـداد فـي اسـتعراض عـدد مـن علمـاء عمـان فـي القـرن الخامـس الهجـري . ويبـدو واضحـا أن ابـن مـداد ليس متأكـدا مـن أن هـذا الكتـاب هـو مـن تأليـف عبدالملـك بـن غيـلان .

وكمـا هـو معلـوم أن عبدالملـك بـن غيـلان مـن علمـاء القـرن الثالـث وليـس مـن المعقـول أن يكتـب كتـاب يتنـاول فيـه علمـاء القرن الخامـس الهجـري ، كمـا أنـه لا يوجـد فـي المصـادر العمانيـة مـا يؤكـد وجـود كتـاب لعبـد الملـك ، إذن هـذا الكتـاب ليس مـن تأليـف عبـد الملـك بـن غيـلان ، واعتمـد ابـن مـداد علـى هـذا الكتـاب مـرة واحـدة حيـن اسـتعرض تسلسـل العلمـاء الإباضيـة فـي القـرن الخامـس الهجـري.

٥- كتـاب لسـعيد بـن الحكـم ، أبـو جعفـر: سـعيد بـن الحكـم مـن علمـاء القـرن الثالـث الهجـري ، تلقـى العلـم عـن بشـير بـن محمـد بـن محبـوب وعـن عـزان بـن الصـقر[٢] ، ولسـعيد بـن الحكـم كتـاب إلا أن هـذا الكتـاب مـن الكتـب المفقـودة ولا يعـرف علـى وجـه الدقـة ماهيـة الكتـاب أو مواضيعـه ، ورجـع ابـن مـداد لكتـاب أبـو جعفـر مـرة واحـدة حيـن كتـب عـن أول مـن اتخـذ السـجن مـن الخلفـاء الراشـدين.

٦- كتـاب جريـر بـن نافـع الخراسـاني ، أبـو هاشـم ، مـن علمـاء القـرن الثانـي الهجـري ، سـأل الربيـع بـن حبيـب ، لـه مسـائل فـي كتـب الأثـر[٣]. رجـع إليـه ابـن مـداد مـرة واحـده فـي حديثـه عـن صـالح

(١) ابن مداد ، المصدر السابق ، ص ١٥.

(٢) السعدي ، المرجع السابق ، ج٣ ، ص ١٧.

(٣) المرجع نفسه ، ج١ ، ١١٤.

بن نوح وعن ضمام بن السائب وصحار العبدي وحاجب

٧- كتاب محمد بن سعيد بن أبي بكر ، أبو ابراهيم ، من علماء النصف الأخير من القرن الثالث والنصف الأول من القرن الرابع ، من علماء المدرسة النزوانية ، له عدد من المسائل في كتب الأثر [١].

٨- كتاب سعيد بن خميس الحداني[٢] .

٩- وجدت في الأثر : كثير ما يستخدم ابن مداد هذه العبارة « وجدت في الأثر للدلالة على الكتب الفقيهة الإباضية ، التي تورد بين ثناياها الكثير من المعلومات عن الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية .

١٠- مصادر لم يذكر ابن مداد عنوانها وإنما اكتفى بذكر معلومات منها حيث يورد عبارة « وفي بعض آثار المسلمين» [٣] أو عبارة « وفي نسخة» [٤] أو « وكثيرا ما يوجد» [٥] .

ثانيا : المصادر الغير الإباضية

رجع ابن مداد في كتابة الفصلين الرابع والخامس إلى طبقات ابن سعد حيث يتضح ذلك من تشابه المعلومات وتشابه الترتيب حيث كتب ابن مداد عن مجموعة من الصحابة واختار الكتابة عن أشهرهم إلا أنه اتبع نفس ترتيب ابن سعد .

ثالثا : الروايات الشفهية

استعان ابن مداد بعدد من الروايات الشفهية التي تتداول في عصر ، واستخدم عبارات

---

(١) المرجع نفسه ، ج٣ ، ص ٩٧ .

(٢) لم أجد له ترجمة .

(٣) ابن مداد ، المصدر السابق ، ص ٣٩ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٩ .

(٥) ابن مداد ، المصدر السابق ، ص ١٠ .

تـدل علـى استعانته بهذه الروايـات ، منهـا :

١١- روي لنـا أن الحتـات ، يستخدم أحيانـا عبـارة أخـرى للتعبير عـن الروايـة الشـفهية « وبلغنــا»[1] أو عبــارة « ويوجـد» [2] « ويقــال» [3] .

١٢- حدثنـا يعقـوب بـن غيـلان فـروي عـن الفضـل بـن الحـواري السـامي ، وروى عـن أحمـد بـن محمـد بـن أبـي بكـر ، أبـو بكـر ، روايـة شـفهية عـن شـخص معاصـر لـه مـن الفقهـاء الإباضيــة .

١٣- يذكـر أكثـر مـن روايـة لحـدث واحـد مثـال ذلـك حيـن تحـدث عـن أول مـن اتخـذ السـجن مـن الخلفـاء الراشـدين ممـا يـدل علـى أنـه لا يكتفـي بمصـدر واحـد وإنمـا بأكثـر مـن مصـدر للاطـلاع علـى المعلومـة ، وحيـن تنـاول موضـوع المفاضلـة بيـن الإماميـن الجلنـدى بـن مسـعود والإمـام سـعيد بـن عبـد الله بـن محمـد بـن محبـوب فإنـه يـورد أكثـر مـن مصـدر حيـث يعتمـد علـى روايـة عـن أبـو محمـد عبـدالله بـن محمـد بـن أبـي المؤثـر

مـن خـلال دراسـة مصـادر ابـن مـداد يتضـح لنـا مقـدار الجهـد الـذي بذلـه فـي جمـع المعلومـات ، حيـث أنـه قـد يستفيد مـن المصـدر الواحـد فـي كتابـة سـطر واحـد فقـط أو فـي أن يتحقـق مـن معلومـة واحـدة .

كثيـر مـا يقـارن ابـن مـداد بيـن المصـادر ليتحقـق مـن معلومـة ، ويـرود عبـارات تـدل علـى قيامـه بالمقارنـة مثـل عبـارة « وفـي نسـخة « ، «وكثيـر مـا يوجـد « وبعدهـا يرجـح معلومـة معينـة مـع ذكـره لسـبب ترجيحـه .

(١) نفسه ، ص ٢٢ .، ص ٢٣ .

(٢) نفسه ، ص ٢١.

(٣)نفسه، ص ١٥ .

الخاتمة

أدرك العمانيون بعد اطلاعهم على سيرة ابن مداد حجم أهميتها ، فأولوها اهتمامهم وعنايتهم، ويتضح لنا ذلك من خلال كثرة النسخ عن المخطوطة الأم . حيث حرص علماء عمان و مثقفوها خلال العصور اللاحقة للسيرة على الاهتمام بها والاطلاع عليها ، والطلب عليها وعلى نسخها، فشجعوا النساخ على نسخها بخطوطهم الجميلة . هذا الشعور بأهمية السيرة لم يظهر في كثرة النسخ فقط وإنما في كثرة الزيادات أيضا على أصل السيرة ، ويبدو أن موضوع السيرة كان مغريا ومحفزا للكثيرين على إضافة بعض الهوامش أو التعليق على المعلومات الواردة فيها، ولم تقف أيدي النساخ عند حد التعليق بل وصل الأمر بعدد كبير منهم إلى إضافة فصول تتشابه مواضيعها مع مواضيع السيرة ، وبالتالي أوجد ذلك صعوبة تحديد الفصل الذي انتهى معه ابن مداد . حيث أن جميع النسخ التي حصلنا عليها وجدنا فيها فصول إضافية وتختلف هذه الفصول من مخطوط لآخر .

قسم ابن مداد سيرته إلى أربع فصول بالإضافة إلى مقدمة يشرح فيها السبب من كتابة السيرة، واعتمد في كتابته على عدد من المصادر الإباضية والغير إباضية كما استعان بعدد من الروايات الشفهية وما يتداول في عصره من قصص وأخبار عن العلماء الإباضية .

ويبدو أن ابن مداد مات قبل أن يتم سيرته وهذا واضح من خلال عدم وجود عنوان لها ، وعدم وجود خاتمة ، وتكرار عدد من المعلومات مما يعني أنه لم يصغها بصيغتها النهائية ، إلا أن ذلك لا يقلل من أهمية السيرة وهذا ما عرفه العلماء وطلاب العلم الذين جاءوا من بعد ابن مداد حيث نقلوا عنها الكثير من المعلومات والأفكار وقام بعضهم بدمجها حرفيا في كتابه وأفرد لها فصلا خاصا .

المصادر والمراجع

أ.المخطوطات :

١- مداد ، محمد بن عبد الله : (٩١٧ هـ/١٥١١م) :

اللآل في أبنية الأفعال ،رقم ٧٣٦، مكتب السيد محمد بن أحمد ،السيب .

٢- مجموعة علماء

مخطوطة كتاب السير ، الرقم ٨٦٥ ، مكتبة السيد محمد بن أحمد البوسعيدي ، السيب .

٣- مجموعة علماء :

مخطوطة السير ، الرقم ٢٠٣٣ – س ، مكتبة السيد محمد بن أحمد البوسعيدي ، السيب

ب. المصادر المطبوعة :

١- الأزكوي ، سرحان بن سعيد ، كشف الغمة الجامع الأخبار الأمة ، (من علماء القرن ١٢هـ / ١٨م) يقع الكتاب في جزئين ، تحقيق حسن محمد النابودة ، دار البارودي ، لبنان ، ٢٠٠٦ .

٢ - الخراسيني ، عبدالله بن محمد بن عامر ، فواكه العلوم في طاعة الحي القيوم ، تحقيق وتعليق محمد بن صال بن ناصر ومهنا بن عمر التيواجيني ، خدمات الإعلان السريع ، مسقط،ط١ ، ١٩٩٤ م .

٣- الدرجيني ، أبو العباس أحمد بن سيد الدرجيني (ت ٦٧٠ هـ / ١٢٧١ م) طبقات المشائخ بالمغرب ، تحقيق إبراهيم طلاى ، جزءان ، مطبعة البعث ، الجزائر .

تم الإفادة من الكتاب من خلال تقديم ترجمة للأعلام الواردة في السيرة .

٤- ابن رزيق ، حميد بن محمد ، (ت:١٢٩٠-١٨٧٤م).

الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين ، تحقيق عبدالمنعم عامر و محمد مرسي عبد الله ، ط٥، وزارة التراث القومي والثقافة ، مسقط ، ٢٠٠١ م

٥- السالمي ، عبدالله بن حميد ، (ت:١٣٣٢هـ/١٩١٣م) ، تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان ، الكتاب يقع في جزأين ، مكتبة الإمام نور الدين السال ، السيب ، ٢٠٠٠ م .

٦- السالمي ، عبد الله بن حميد ، اللمعة المرضية من أشعة الإباضية، سلسلة تراثنا ، العدد ١٨، وزارة التراث والثقافة ، سلطنة عمان ، ١٩٨٣م .

٧ - ابن سعد ، محمد بن سعد بن منيع (ت ٢٣٠ هـ / ٨٤٤م) الطبقات الكبرى ، دار صادر ،

بيروت ، ب . ت .

٨- الشقصي ، خميس بن سعيد (ت ق١١هـ / ق ١٧ م) ،منهج الطالبين وبلاغ الراغبين ، تحقيق سالم بن حمد بن سليمان الحارثي ، وزارة التراث القومي والثقافة ، د،ت ، ٢٠ جزءا.

٩ - العوتبي ، سلمة بن مسلم ، (من علماء ق ٥هـ / ١١ م) ، الأنساب ، جزءان ، وزارة التراث والثقافة ، مسقط ، ١٩٨٤ م .

١٠- مجموعة علماء ، السير والجوابات لعلماء وأئمة عمان ، تحقيق سيدة إسماعيل كاشف ، وزارة التراث القومي والثقافة ، مسقط .

١١- ابن مداد ، محمد بن عبدالله . سيرة ابن مداد . سلسلة تراثنا . العدد ٥٦ . وزارة التراث والثقافة . مسقط ، ١٩٨٤ .

١٢- المعولي ، محمد بن عامر بن راشد بن سعيد ، قصص وأخبار جرت في عمان ، تحقيق عبد المنعم عامر ، ط٢ ، وزارة التراث والثقافة ، مسقط ، ١٩٨٢ .

ج : المراجع :

١- بدوي السعيد محمد وآخرون ، دليل أعلام عمان ، ط١ ، المطبعة العالمية ، مسقط ، ١٩٩١م.

٢- البطاشي ، سيف بن حمود ، (ت ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩م) ، إتحاف الأعيان في تاريخ بعض علماء عمان ، ثلاثة أجزاء. سنوات مختلفة.

٣- الجعبيري ، فرحات بن علي . حياة الإمام محمد بن محبوب القرشي العماني وعصره ، بحث مقدم لندوة تطور العلوم الفقهية في عمان خلال القرن الثالث الهجري الإمام محمد بن محبوب نموذجا ، ط١ ، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية ، مسقط ، ٢٠٠٦ .

٤- الخصيبي ، محمد بن راشد بن عزيز ، شقائق النعمان على سموط الجمان ، ط٣، وزارة التراث القومي والثقافة ، سلطنة عمان ، ١٩٩٤، ات الحصول على الإجازة العالية بمعهد العلوم الشرعية ، سلطنة عمان ، ٢٠٠٠ م .

٥ - السعدي ، فهد بن علي ، معجم الفقهاء والمتكلمين الإباضية ، ط١ ، مكتبة الجيل الواعد ، مسقط ، ٢٠٠٧ .

٦- الهاشمي ، سعيد بن محمد ، دراسات في التاريخ العماني ، ط١ ، النادي الثقافي ، مسقط ، ٢٠١١م.

٧- الهنائي ، علي بن طالب . التطبيقات الطبية في مؤلفات راشد بن عميرة الرستاقي . بحث مقدم لندوة من أعلام الطب في عمان في القرنين التاسع والعاشر الهجريين . ط١ . المنتدى الأدبي . مسقط ، ٢٠٠٨ م.



مطبعة جامعة السلطان قابوس، مسقط- سلطنة عُمان ٢٠١٥م